



[www.alkottob.com](http://www.alkottob.com)



# مكتبة

SEEN BY S. T.  
PRESERVATION  
SERVICES

DATE... 1... 1... 1...

رواية تاريخية شعرية (دعجاء) للناسج بردها الطيب الذكر  
مرحوم الشيخ خليل اليازجي ثمنها اربعة غروش صاغ

تأليف الروائي الشهير اسكندر دوماس الكبير وتعريب  
فقيد النظم والنثر المرحوم الشيخ نجيب الحداد  
عدد صفحاتها ٨٢٠ صفحة ثمنها عشرون قرشاً صاغاً

من الثلاث  
اربعة اجزاء

رواية ادبية فكاهية غرامية معربة عن الافرنسية بقلم  
الروائي الشهير المرحوم شاكر شقير « اللبناني »  
ثمنها عشرون قرشاً صاغاً واجرة البريد ثلاثة غروش

غرائب الاتفاق  
اربعة اجزاء

قصة ادبية تهديبية تعريب الروائي الشهير  
المرحوم شاكر شقير ثمنها ثلاثة غروش صاغ

الزوجت المضطهدة

رواية تاريخية ادبية مترجمة عن الانكليزية  
بقلم نسيب افندي بدر ثمنها اربعة غروش صاغ

بوليس لندن

تأليف يوسف افندي كيال ثمنه ثلاثون قرشاً صاغاً

رشك التاجر

والدليل في مسك الدفاتر

تأليف عزتو نعوم بك شقير ثلاثة اجزاء في مجلد واحد  
عدد صفحاته ١٢٢٨ ثمنه ستون قرشاً صاغاً وأجرة البريد ٨

تاريخ السودان

بقلم فرح افندي انطون : وهي رواية تاريخية فلسفة  
اجتماعية حبية ثمنها عشرة غروش صاغ

اورشليم الجديدة  
او فتح العرب بيت المقدس

هو قاضي قضاة الاندلس واشهر فلاسفة الاسلام على  
الاطلاق واعظم شراح فلسفة ارسطو في العالم ثمن  
النسخة عشرين قرشاً صاغاً

ابن رشك وفلسفته

www.alkottob.com



SEEN BY S. T.  
PRESERVATION  
SERVICES  
DATE.. AUG. 1, 1985

SFP  
25  
1984

FOR USE IN  
LIBRARY ONLY

بينما كان الاحتفال قائماً في دار واصف بك باقتران ابنته كان الخدم يحتفلون باقتران آخر فقد حضر شيخ من المأذونين وكتب كتاب قدم خير جارية بيت الخواجه لاثي على عبد الله خادم بيت واصف بك واستأذن الاثنان اسيادها في السفر الى بلادها واهدت اليها بهية واسنير ومدام واصف بك ومدام لاثي هدايا كثيرة . ولم يكن سرور الخدم اقل من سرور اسيادهم أما زين الدار خادمة عزرا فلم تشاركهم في افراحهم بل ذهبت الى السجن لتخدم سيدها فيه وكانت اعطف الناس عليه وأشدّهم ولاء له





ذي القرنين وعسى ان يتصلا بعد الآن فيزول ما نراه من النفور بين الشرقي والغربي .  
وهذا العقد الشريف عقد الزيجة الذي طالما وصل بين الشعوب والقبائل من عهد  
المصريين القدماء وألف بين الامم المختلفة هو الضمان الوحيد لاعادة الامتزاج بين  
دماء الشعوب ونزع ما تولد فيها من الفوارق بتوالي الازمان

ولقد حضرت الاحتفال باقترانهما في الكنيسة المرقسية الكبرى وحضره غيري  
من ائمتنا مع نظار الحكومة ومستشاريهم ووكلائهم فراقني ما رأيتُه من اجتماع المسالين  
والمسيحيين والاسرائيليين ومن اشترك اساقفة المذهب الانكايزي مع اساقفة المذهب  
القبطي فان ذلك كله من ادلة التقرب الواجب بين المذاهب والملل ولو شاء ربك  
لجعل الناس امةً واحدة وما بينهم من الاختلاف ليس بضائر اذا لم يستعملوه وسيلةً  
للضرر ولا سبيلاً للكسب

وبينما كنا يتكلمان دنا منهما هنري وبهية متكئة على ذراعها وسلماء عليها فهناها  
الامام احمد واعاد لهما بعض حديثه الاخير فشكره هنري على ما سمعه منه من الاقوال  
الفلسفية والتهاني القلبية والتفتت بهية الى حلیم بك وقالت ان جمال تلك الليلة لا ينقصه  
الا حضور حلیمة . ثم اقبل السر ادورد برون مع مدام واصف بك وواصف بك مع  
مدام لافي والخواجه لافي مع لادي برون وامين بك مع استير والخواجه يوسف مع  
دورا ووقف الكل حول هنري وبهية والامام احمد وحليم بك والتفتت بهية الى من  
حولها وفي لحظة من الزمان مر امام محيلتها ما مر بها وبالذين حولها من العبر منذ التقوا  
في البالد الخديوي الى تلك الساعة فجالت الدموع في عينها دموع الشكر للعناية التي  
بدلت ايام البؤس بايام النعم وجمعت شملها بجيبيها بعد ذاك الفراق الاليم

ومعرضت هدايا العروس وكان بينها الماسة اليتيمة المعروفة بباشا مصر وثقلها  
تسعة واربعون قيراطاً ويقدر ثمنها بنحو ستة واربعين ألف جنيه اهداها واصف بك  
الى ابنته بعد ان صاغها لها في قلادة لتعلق في عنقها فدلت على ان ثروتها تفوق ما  
قدرة المقدرون

اتاك على قنوط منك غوث يمن به اللطيف المستجيب  
فكل الحادثات وان تناهت فمقرون بها فرج قريب  
من يحسب اننا في اقل من سنة ينفرط عقدنا ثم ينتظم ويتفرق شملنا ثم يجتمع وتحل بنا البلايا والحن ثم تنفرج ونعود الى احسن مما كنا . من كان يظن ان حليلة يخرق الرصاص صدرها ويتولأها المرض والنحول ويقضي الداء عليها ثم تبعث حية وتسترد قواها في شهر من الزمان . ولطالما كنت اجهل الحكمة من غسل الموتى واقول في نفسي لا بد من سبب له الى ان استفاقت حليلة وهي تغسل وتكفن لتدفن فرأيت الحكمة في ذلك واضحة كالصبح لذي عينين ولولا غسلها لواريناها التراب وهي في قيد الحياة . ولقد قرأت عن كثيرين فتحت قبورهم فظهر انهم دُفِنوا فيها احياء وهم في حالة الانغماء ثم استفاقوا وحاولوا الخروج منها فتبقي عليهم بعد ان ذاقوا العذاب الواناً ومثل حليلة هذا الشاب الانكليزي الذي اكتشفته الحجج ثم قدفت به بعد ان قطع كل رجاء من نجاته ولقد سمعت بالامس قصته وقصة اخيه من بعض الذين شاهدوهما من ركاب الباخرة التي كان فيها فلم ار في افاصيص الاولين والآخرين ما هو اغرب من نجاته

أولاً تحسب نجاة امين بك من هذا القبيل بعد ان سقط امام مركبة التراموي وكاد عجلها يسحق رأسه أضف الى ذلك النجاة من الافلاس الذي قصده عزرا الخليل لهذا البيت الكريم وبيت الخواجه لاثي انتقاماً من استير لانها عرفت مكره وابت ان تقترن به . ولقد جاء الحكم عليه مؤدباً له وراعياً للمحتالين عن التمادي في غيهم وسيق الى السجن عدلاً وعادت الاموال الى اصحابها والفضل في ذلك لاستير التي اكتشفت اكثر مخبات هذه القضية بدكأها وفطنتها فعاد كل شيء الى نصابه وعدنا الى افضل ما كنا عليه بهجى لورد بنشيلد الى هذا القطر لانه ابتاع من الحكومة مئة الف فدان وعقد لها شركة ووزع اكثر اسهمها على بيت الخواجه لاثي وصدقته . واني احسب اقتران هذا الفتى الانكليزي بابنة مصرية من تاشير اقتران الغرب بالشرق فلقد فصلت بينهما الاغراض السياسية زماناً طويلاً من قبل عهد الاسكندر



في تلك الليلة أنيرت دار واصف بك ونصب في حديقته سرادق فخيم قُلت له الرياحين من خمائلها وأبدلت بالبسط الوثيرة ووضعت فيه الكراسي والمقاعد المذهبة وعلقت فيه الثريات الكبيرة وأبدلت شموعها بالكهر بائية وتخللت انوار الكهر باء اغصان الاشجار ونابت فيها مناب الائمة ووقفت الموسيقى العسكرية امام الباب الكبير تحيي المدعوين وجماعة من جلة الشبان يستقبلونهم رجالاً ونساء وهم من كل الامم القاطنة في القطر المصري والسياح الذين يقدون اليه كل شتاء من الاقباط والعرب والشوام والاتراك والجر ايسة والفرس واليونان والطلبان والانكايوز والفرنسويين والالمان ومن كل طبقات الناس من نظار الحكومة ومستشاريها وكبار الموظفين فيها ووكلاء الدول الاوربية وكبار ائمة الدين ورؤساء التجار ومديري الشركات وارباب الاملاك واصحاب الصحف . واكثرهم بالزي الافرنجي او التركي وبعضهم بالزي البلدي وكلهم بافخر ملابسهم ولا سيما النساء الاوربيات والاميركيات فانهن كنّ بحلل المساء تتألق الجواهر في رؤوسهنّ وبحورهنّ وتنضوع الروائح العظيمة من طاقات الازهار في اياديهنّ وفي الساعة العاشرة عزفت الموسيقى الجرية في غرفة عالية تطلّ على الدار الداخلية وكانت هذه الدار قد أعدت للرقص وهي من ارحب دور القاهرة واعلاها بنياناً وقد وقف حولها مئات من الرجال والنساء في الغرف المحدقة بها متهيئين للرقص فيها ودخلها اربعة ازواج كهلان وكهلتان وقتيان وفتاتان فافتتحوا الرقص على نغم الموسيقى فاشترك فيه نحو اربعين او خمسين من الحضور وتناوبوا ادواره الى منتصف الليل وفتحت البوفة حينئذٍ فدخلها المدعوون رجالاً ونساء وهي حاوية افخر ما طهاه الطهاة واندر ما رأته الموائد واعتنق ما حوته الدنان

ووقف الامام احمد مع حليم بك في شرفة من شرفات الدار وقال له لقد صدق

الشاعر حيث قال

اذا اشتملت على اليأس القلوبُ      وضاق بما به الصدرُ الرحيبُ  
واوطنت المكاره واطمأنتُ      وارست في مكانها الخطوبُ  
ولم تر لانكشاف الضرّ وجهاً      ولا اغنى بحيلته الاريبُ

الجنون فارحم شبابه وارحم ذويه ولا تقض عليه قضاء مبرماً  
فتأثر الخواجه لاثي من هذا الكلام وقال لامانع عندي اذا كان احمد بك يرى  
وجهاً للمفوء عنه ولكن لا بد من ان يرد لي اموالي كلها مع فوائظها مدة شهر او اكثر  
فقال حنين الاموال كلها في المحافظة وستسلمها اليك بعد الحكم

الخواجه لاثي — والفوائظ

حنين افندي — أنا اتعهد لك بها على معدل خمسة في المئة كما تقدرها المحكمة

الخواجه لاثي — انت تعلم ان القطع غال الآن والبنوك لا تسأل الا بسبعة

في المئة فلا اقبل الا سبعة في المئة

فقال حنين افندي سبعة في المئة سبعة في المئة فقبل لاحمد بك ان لا يطلب

بالحق المدني بل يؤيدنا في طلب الرحمة

فسر الخواجه لاثي لانه لم يكن يشاء الانتقام من عزرا بل كان يشفق عليه

وطلب من احمد بك ان يفعل كل ما في وسعه لاتقاضه ولما بلغه حكم المحكمة سري

عنه وود لو اطلق سبيله وودت استير ان يكون عقاب عزرا اشد ولكن سرورها

باكتشاف اللصوص وحزنها على هنري وأخته صرفاها عن الاهتمام بأمره ولا سيما بعد

ان علمت انه فعل ما فعل حباً بها

## الفصل التاسع والستون

﴿ الخاتمة ﴾

القمرب بدر والسما صحو وجو القاهرة لا ضباب ولا غبار كأنه تهباً لرصد

الكواكب . وابو الهول يرقب النيل جارياً في مجراه ورمال الصحراء تهيب سماه .

والهرم الاكبر واقف كاسف البال كأنه مجرم يخشى العقاب لانه لم يمنع اللصوص من

هتك حرمة واختلاس وديعته . ورعمسيس الكبير الذي ضاقت به الدنيا بما رحبت

احتواه صندوق صغير في المتحف الجديد وجلس بين آباءه واولاده وقد غارت عيناه

واصق جلده بمظمه



تحسّن للشبان عمل اعمال يتجنبونها لو قدّروا عواقبها وما ذلك عن قصدٍ سيء بل عن خلل في قواهم العقلية سببه شدّة القوة الحيويّة فيهم وكثرة توارد الدم الى ادمغتهم فيحرف احكامهم ويحملهم على ارتكاب الموبقات وشأنهم في ذلك شأن المجانين الذين لا يبالون بما يفعلون . وافاض في هذا الموضوع و اشار الى حب عزرا للسيدة استير والياس الذي وقع فيه لما رآها تعرض عنه ازدراء وتزين الهوى له ان يقع اباها في ورطة ثم ينقذه منها لكي يكتسب رضاه ورضاها . واستشهد على صحة حجته بأقوال كثيرة لمشاهير الاطباء وبأن عزرا احتفظ بكل ما اخذه من خزانة الخواجه لاثي لم يفرط بفرش منه ثم طلب ان يعامل بالرحمة

اما احمد بك المطالب بالحق المدني فلم يطلب سوى ان تردّ الاموال وفوائدها ولم يعارض في طلب الرحمة المدعى عليهم

وقام القضاة للمداولة فتداولوا دقائق قليلة ثم اصدروا حكمهم بنفي بني اكولبولو ورفيقه وبالسجن سنتين على عزرا وبردّ المسروقات الى اصحابها وبأن يدفع عزرا فائدة الاوراق المالية بمعدل سبعة في المئة وسائر النفقات

وكان عزرا قد استدعى حنين افندي الى السجن قبل المرافعة بيوم وانفرد به ساعة من الزمان وعاد حنين افندي من عنده ومرّ على مكتب احمد بك وسار به الى بيت الخواجه لاثي وقال مخاطباً الخواجه لاثي ان عزرا ولدكم وابن امّكم قد زين له الغرور انه اهل لأن يقتنر بابتكم حاسباً ان البنت مها كان ابوها ترتضي بفتى مثل اخيها ولا يقلّ سعياً عن ابيها . وعزرا كما تعلم من اكثر شبان امّكم سعياً وقد كسب ثروة طائلة في سنتين من الزمان فلما رأى ان السيدة استير تنظر اليه شزراً وأن كل تودده اليها لم يجده نفعاً طار صوابه وفعل فعل المجانين وأنا اقدر ان أثبت لك طبيياً يا خواجه لاثي ان الولد جنّ وما هذه أوّل مرة جنّ فيها العاشق ففعل فعل المجانين واتفق مع اللصوص على سرقة مكتبك لا طمعاً بالمال بل لكي يكتشف لك السرقة اخيراً ويقلدك منه وظنّ ان يضيف امواله ايضاً الى المسروقات حتى يجد اموالك بحجة التفتيش عن امواله فالقصد حسن كما ترى ولكن فعله في حدّ الحماقة لا يفعله الاّ

عجز المحامون عن اظهاره

واتفق ان حدثت هذه الامور كلها في غضون التحقيق عن السرقتين فزاد الاهتمام بهما والقي البوليس القبض هلى ثلاثة ترجحت التهمة عليهم وعزرا في جملتهم . ألقى القبض عليهم كلهم في ساعة واحدة وسيقوا الى السجن وُضرب اجل محاكمتهم بعد ستة ايام . ولما شاع ان عزرا في جملة المتهمين تضاربت الاقوال والظنون وظن الاكثرون ان النيابة مخطئة في عملها او انه يتعذر عليها ان تثبت التهمة عليه وغصت المحكمة وساحتها بالناس قبل المرافعة بساعتين وأني بالمتهمين ووضعوا في قفص المجرمين وذكر القاضي خلاصة التهمة وهي ان الخواجه عزرا تواطأ مع اثنين من اللصوص فقلدوا مفاتيح الخزانة التي في بنك الخواجه لاثني وسرقوا ما فيها ثم قصدوا اخفاء فعلتهم فكسروا خزانة الحديد التي في بنك الخواجه عزرا واخذوا كل ما فيها ولا سيما دفاتره وان المسروقات كلها وجدت في بيت الخواجه عزرا نفسه وظهر من فحص دفاتره انه لم يكتفِ بالسرقة ومشاركته اللصوص بل زوّر دفاتره في اماكن كثيرة فاختلس من الذين كانوا يشتغلون معه اموالاً طائلة

ثم وقف رئيس النيابة وجعل يبسط الأدلة التي اوصلتهم الى اكتشاف السرقتين والسارقين وكان اقواها آثار انامل عزرا على الخزنتين كما ظهرت في الصور الفوتوغرافية التي صورت الخزنتان بها بُعِيدَ السرقة وأورد اقوال الثقات في ان آثار الانامل ادلُّ دليل على صاحبها لان شكل الخطوط التي في انامل الشخص الواحد لا يلبس بشكل الخطوط التي في اامل غيره . واستغرقت مرافعة رئيس النيابة نحو ساعتين فلم تبقَ شبهة عند احد ان الاصلين المقبوض عليهما هما اللذان سرقا السرقتين وان عزرا شاركهما في ذلك لا سيما وقد وُجدت المسروقات كلها في بيته اما شريكاهُ يهوذا وحاييم فكانا غائبين

وتكلّم بعده المرافع عن الاصلين فقال انهما أُغريا اغراء اغراها عزرا بذلك لغرض في نفسه لا بقصد السرقة واختلاس الاموال وطلب ان ترفق المحكمة بهما . ثم تكلّم حنين افندي مدافعاً عن عزرا فبسط الكلام على امانى الشبهة وكيف



هذا القبيل ورزح بها الهمُّ فكانت تقضي اكثر وقتها في سريرها. اما يوسف فلم يبالِ بما حدث ولا اقتصد في نفقاته بل كان يقول لمن يكلمه في هذا الموضوع ان ابي يريد ان يترك لي مال رُوْشيلد وانا لا اريد ان احمل حملاً عجز هو عن القيام به . ولكنه لم يكن يجسر ان يكلم اباه في هذا الموضوع لان اباه كان يتهره ويزيد هماً وغماً فترك الامور تجري مجراها

واما استير فكانت كاللبوة الثاكل فلم تترك سبيلاً للبحث الا طرقته لا حباً بالمال بل رغبةً في اكتشاف السارق . وتولّت مقابلة المحامي ورئيس النيابة وروءساء البوليس الى ان انتهت التحقيقات على ما تريد . وقبل ان ترفع القضية الى المحكمة جاء خبر غرق الباخرة التي كان فيها هنري واخته فاسودّت الدنيا في عينيها وطار صوابها وصار شغلها الشاغل تعزية بهية

وقد تضاربت الافوال في امر السرقتين وخاضت الجرائد فيه على خلاف عادتها وجعل بعضها بصدر نشرات اضافية في المساء او في الصباح لاذاعة ما ظهر من محبّات المسألة اولايهام القراء ان آثار السرقة وجدت في اماكن بعيدة . وانتشر البوليس السري في احياء العاصمة ونحاء القطر وجمعت البنوك تفحص كل ورقة مالية تقدّم لها واهتمت النيابة العمومية بالامر اهتماماً غير عادي لا سيما وان رئيسها الاول استعفى من منصبه او أوعز اليه ليستعفى منه . وشاع ان الحاقية اهتمت بمذكرة المحامي عن الخواجه لاثي في مسألة السائق والايطالي حيث قال فيها ان ليس الغرض من المحاكم ان تحكم بأن حجة زيد أقوى من حجة عمرو كما يفعل اهل الجدل بل ان تكتشف الحق وتبينه . وحسبت ان ذلك مبدأ قانوني وآخذت القضاة بأنهم لم يهتموا بالبحث لاكتشاف الرجل الذي اغرى ذاك الايطالي بطرح نفسه امام المركبة . ولما قال لها احدهم انني كنت اعلم ان الرجل مغرّى بهذا الفعل ولكن المحامي لم يبين من اغراه به وليس من شأنى ان اقوم مقام المحامي في اظهار حق موكله عنفتة تعنيفاً شديداً وخيرته بعد ان يستعفى او يُحاكم فاخترت المحكمة اولاً ثم اختار الاستعفاء . ورسخ في الازهان من ذلك الحين ان القضاء يطالب من القضاة ان يظهروا الحق ولو

بها ولو ساعتين من الزمان . ووقع الورقة ودار بها على الركاب في الدرجة الاولى والثانية فوقعوها مبتهجين وكان اذا توقف احدهم عن توقيعها يبسط له الذين حوله واقعة الحال ورفعوا الورقة الى القبطان وتناولها السر ادورد وكتب تحتها انه يقوم بكل النفقات التي تترتب على تغيير خطة الباخرة . فقبل القبطان طلبه ووجه الباخرة الى الاسكندرية فوصلها في اليوم التالي

ولم يكد السر ادورد يصل الى البر حتى بعث بالتلغرافات الى عدن ولندن يسأل عما حل بالباخرة اكاديا وعن اسماء الغرقى واسماء الناجين . وسارت لادي برون معه الى بيت التلغراف وجلست هناك تنتظر الجواب وهي غائصة في بحار اليأس تتصور ولديها تتقاذفها الامواج وقد أمسك هنري بذراع دورا يحاول السباحة يمينه ورفع رأسها فوق الماء يساره فيصعد قلبها بصعودها فوق الماء ويهبط بهبوطها فيه ثم تتعالى اللجج وتغمرها ويرغي البحر ويزبد حيث غاصا فيه فيغوص قلبها في صدرها وينقطع نفسها حتى تكاد تختنق ثم تلوح لها بارقة امل اذ ترى الزوارق مسرعة لاتقاذ ولديها فتدفس الصعداء وتشير بيديها وعينها الى حيث غاصا في الماء وينقطع نفسها ثانية وتتف بين اليأس والرجاء وكأن حياتها معلقة بتلك الزوارق . وظلت على هذه الحال الى ان خارت قواها وكثر الفضول في دماغها فأغمي عليها وتاهت في فيافي البحران لا تعي على شيء

### الفصل الثامن والسلاشون

#### كشفت الخبي

القاهرة قائمة قاعدة ولا حديث للناس ولا بحث للجرائد الا في سرقة بنك الخواجه لاثي والخواجه عزرا . وقد ثقل الرزء على الخواجه لاثي فرزح تحتة مع ان ما سُرق له لا يوازي جزءا صغيراً من ثروته فكيفها التفت اليه رأيتة مبهوناً يتم وينفض رأسه مرة بعد اخرى كأنه يحسب الاموال التي فقدها ويفكر في الاساليب التي توصل الى استرجاعها ثم يرى انها عقيمة فيرفضها . وحذت زوجته حذوه كأنها تشربت اخلاقه كلها من

مكان لا يستلفت النظر يقال فيه ان الباخرة اكاديا من بواخر الباسيفيكي غرقت عند ساحل سقطرى بمن فيها . فلما وقع نظرها عليه ذهلت لحظة من الزمان كأنها في حلم ثم صرخت صرخة منكرة ووقعت الجريدة من يدها وكان زوجها يكتب الى جانبها فنهض اليها مذعوراً وقال ماذا ماذا فألقت رأسها على كتفه وهي تقول اولادنا اولادنا الباخرة التي كان فيها اولادنا الباخرة اكاديا غرقت بهما غرقت آه يا هنري يا دورا يا ولدنا يا ربي ما هذه البلية ما هذه المصيبة انظر انظر اقرأ غرقت غرقت كان قلبي يمددني بذلك من حين ارسلناهما الى هذه الحرب المشومة لعن الله الطمع لعن الله المال نضحي انفسنا واولادنا لاجل مصلحة الامة لكي تزيد الاموال في صناديق الاغنياء آه يا ربي ما هذه المصيبة . وجعلت تبكي وتنتحب . وتناول السر ادورد الجريدة ونظر فيها سريعا الى ان وصل الى التلغراف المرسل من عدن فارتجفت يداها واصططكت ركبته وانقطع عن الكلام . واجتمع الركاب حولها هذا يقول خسر في البورصة وهذا يقول احترقت ادارته . وسمعت امرأة كلام لادي برون فقالت للذين حولها ان اولادها غرقوا في البحر الظاهر انهم نزلوا ليسبحوا فغرقوا . واسرع بعض معارفهما ليسألوهما عن جلية الخبر فأشار السر ادورد الى التلغراف وقال بصوت خافت ان ولدنا كانا في هذه السفينة . فوقع كلامه كالصاعقة على جميع الذين سمعوه وجعلوا يتناجون في ما بينهم قائلين ما اعظم هذه المصيبة وما افدحها . وغلب الحزن على بعض النساء ولا سيما اللواتي هن اولاد في الغربة وجعلت كل واحدة تفكر في اولادها . ثم ان السر ادورد تجدد وقام وسأل القبطان عما اذا كان يستطيع ان يدخل بهم مرفأ من المرافئ القريبة ليجتأ عما حل بركاب اكاديا فقال ان اقرب مرفأ الينا مرفأ الاسكندرية ولكن مرورنا عليها يؤخر البريد ويضر بالمسافرين عدا عما يلحق شركة البواخر من الخسارة . فقال السر ادورد أما خسارة الشركة فانا اتحملها هما كانت وأما البريد والركاب فلا سبيل لي الى ارضائهم وأطرق اطرق البئس القانط . وادرك الركاب مراده وكان بينهم رجل مقدم فأخذ ورقة وكتب فيها سطرين مفادها اننا نحن ركاب الباخرة الكسندرا نلتمس من قبطانها ان يمر بنا على الاسكندرية ويقف



لادي برون — لم اتعب في حياتي كما تعبت الآن . يا حبذا لو أتينا بطريق

جبل طارق

السر ادورد برون — المسافة من لندن الى مصر بطريق جبل طارق اثنا عشر يوماً وبطريق مرسيليا ستة ايام وما ادرانا انه لا يكون نوماً في الاثنتيكي كما يكون عادة في هذا الفصل من السنة ثم اني انا كنت معك ولم اتعب

لادي برون — اتم الرجال تقوون اجسامكم بالرياضة وتنسون اننا نحن النساء لم نكن نفعل ذلك فلا نستطيع تحمل المشاق مثلكم اما بناتنا فرين على غير ما رينا نحن ولا اظن ان هنري اقوى على تجشم المشاق من دورا . كم تظن اننا ابعدا عن البر الآن يا ادورد

السر ادورد — لا اقل من اربعين ميلاً يا ادث لان السفينة تسير ثمانية عشر ميلاً في الساعة وقد مضى الآن اكثر من ساعتين من حين اقلعت بنا لادي برون — ما اسرع ما يمضي الوقت مضت ساعتان كأنهما دقيقتان . اتظن يا ادورد اننا نلتقي بهنري ودورا في بورت سعيد

— كلاً لانهما يدخلان القطر المصري بطريق السويس وسيسبقانا الى مصر بيضعة ايام فنجدهما هناك . وقد اخبرتهما بالتغراف ان ينزلا في هوتل ساقوى حيث نزلا أولاً وحيث استأجرنا شقةً للنزول فيها

ومرّ اليوم الاول والثاني والثالث من غير ان يحدث في الباخرة شيء غير عادي فمضى الركاب هذه الايام الثلاثة في الاكل والشرب واللعب والنوم والتفكير بالحديث . ولما مروا ببوغاز مسينا كان البحر هائجاً ولكن هيجانه لم يكن شديداً فلم يُصب بالدوار الا بعض الركاب . والسفينة كبيرة ووسقها كثير وكل ما فيها نظيف جداً والفحم الذي يوقد فيها قليل الرائحة القطرانية فساعد كل ذلك على اراحة ركابها ونجاتهم من الدوار لا سيما وان الرجفان الذي ترجفه بعض البواخر فيقلق الركاب لم يكن في هذه الباخرة . وفي صباح اليوم الرابع كانت لادي برون تقلب الجرائد في غرفة القراءة فوجدت في جريدة مرسيليا الصادرة يوم سفرهم منها تغرافاً من عدن منشوراً بحروف دقيقة في

واخبرهُ خبراً اوقفهُ مضطرباً ثم قال للخادم متى كان ذلك فقال له منذ ساعة من الزمان والظاهر ان الست الكبيرة وسي بهيمة عرفنا قبلنا وهما تبكيان مع ستي استير في أوضة ستي بهيمة

فدخل غرفته ونفض الغبار عنه وغسل وجهه ودخل غرفة أبنته فلما رأيتهُ عدن الى البكاء فقال لمن لا احدٌ يخالفكن في انها تستحق ان يبكي عليها ولكن كلانا نعلم انها استراحت من الألم وما كان يمكن ان تطول حياتها اكثر من ذلك فنظرن اليه مبهوتات وقلن له بلسان واحد من من من تعني . وقالت استير حليلة حليلة قال أبي في الصباح انها تحت رحمة ربها آه يا حليلة يا أختي حليلة واجتمع الحزان فكلانا اشد مما تحمله تلك القلوب حالة تصوّر لها صعب والتعبير عنها اصعب ولا يدركها الا من فقد حبيباً

تمة القصة في الجزء التالي

## الفصل السابع والثلاثون

من مرسيلا الى مصر

اليوم صحوُّ والبرد قارس والناس يرون في الشوارع ذهاباً واياباً متلفعين متلثمين كأنهم في اواسط فصل الشتاء . وباعة السمك والحار عابسون ممتعون لم يصطادوا شيئاً في الليل الغابر لشدة الانواء . وقد انحل عقد الاعتصاب وعاد عمّال الرصيف الى اعمالهم بعد ان عضهم الجوع فشحنوا السفن وتقموا على رؤسائهم الذين اغروهم باعتصاب لم يجنوا منه غير الضرر

ركب السر ادورد برون وزوجته لادي برون سفينة من السفن الانكليزية الكبيرة التي تذهب الى الشرق الاقصى وفيها عدد عديد من الركاب اكثرهم من الانكليز الموظفين في مصر والمهند استأجروا اماكنهم فيها من لندن ووافوها برّاً الى مرسيلا افتداء للوقت وتخلصاً من انواء خليج بسكي . ولما ابعدت بهم السفينة عن البر نشر البحارة خيمة على ظهرها كالبيت المحكم وانتشر الركاب فيها زرافاتٍ ووحداً وجاست لادي برون الى جانب زوجها ودار بينهما الحديث التالي

وتفرحت قدماها فوقفت تحاول خلع ثيابها لترمي بنفسها الى البحر فوقعت لا تعي على شيء . وكان بعض اهالي الجزيرة قد وصلوا اليها فحملوها وعادوا بها الى البر وهي بين الموت والحياة

## الفصل السادس والتسعون

### ثالثة الاثاني

خادم — مدام واصف بك مشيعه لك لندهي حالا وتري ستي بهية  
 استير — ما لها امس كانت عندي  
 الخادم — يقولوا انها عمال تعيط هي وامها  
 فقامت استير حالا ووضعت برنيطة على رأسها ومشت الى بيت واصف بك  
 ودخلت غرفة استير فوجدتها جالسة وعيناها تدمان ولما رأت استير خفتها العبرات  
 وجعلت تشهق والقت رأسها على سريرها وكانت امها جالسة في جهة اخرى من الغرفة  
 وهي تبكي ايضاً فحارت استير في امرها ودنت من مدام واصف بك اولاً واعتنتها  
 وقالت لها قولي لي ما الخبر . فاشارت الى جريدة مفتوحة امام بهية فاخذت استير  
 الجريدة تنظر فيها حيث تكتب المناعي بين الخطين الاسودين فلم تر اسم احد تعرفه  
 فالتحت وقيت بهية وقالت لها قولي لي ما الخبر ومن مات من معارفنا . فقالت بهية  
 بعد ان كففت دموعها انظري هذا التلغراف فانه يقال فيه ان الباخرة اكاديا غرقت  
 عند ساحل سقطرى وغرق نحو مئة من ركابها آه يا استير ارسل هنري الينا تلغرافاً من  
 بمباي يقول انهم مسافرون في هذه السفينة فحقق قلبي من ذلك الحين والانسان قلبه  
 دليله اندي معي اندي سوء حظي آه يا استير آه يا ربي ما هذه المصيبة . وجلست  
 استير اليها واعتنتها وجعلت الاثنان تبكيان واستير تحاول تصيرها بقولها ما ادرانا  
 انهما ليسا بين الذين نجوا وهي لا تصبر بل تقول الانسان قلبه دليله  
 وذهب احد الخدم بالمركة لمقابلة واصف بك وكان آتياً من الوجه القبلي وقد  
 تأخر القطار عن ميعاده نحو ساعة فعاد به الى البيت ولما دخله استقبله خادم آخر



قارب انقلاب بمن فيه قبلما ابعده عن السفينة فلم ينجح منهم احد  
وحالما وطئت رجل دورا البر تسلقت صخرًا عالياً ووقفت على رأسه نستشرف  
البحر لعلها ترى السفينة او ترى اخاها اما السفينة فلم ترها مع ان السحب كانت قد  
انقضت لان الامواج ابتلعها بعد مغادرتها لها بدقائق قليلة فزاد خفقان قلبها وشعرت  
كأنه كاد ينفطر في جوفها وارتجفت ركبتهما لكن جلد النساء وقت الشدة اقوى من  
جلد الرجال وكان الامل يزين لها ان اخاها في البحر يسبح على مهل لانه من امور  
الشبان في السباحة ثم يراحها اليأس فيضيق نفسها . وكانت حديده البصر لم يتعب الدرس  
الكثير عينها فرأت عن بعد شبهاً خيلاً لها انه اخوها . كان وجدانها يقول لها انه اخوها  
وعقلها يقول انه قطعة من اخشاب السفينة او واحد آخر من الركاب الذين بقوا فيها وهم  
نحو مئة نفس فان صحح ان يكون الشبح اخاها مرة صحح ان يكون غيره مئة مرة .  
وتضاربت هاتان القوتان العقل والوجدان لكن المرأة اخضع لوجدانها منها لعقلها والامل  
يجسّم الاماني فيجعلها حقائق فلبثت في مكانها وقلبها يخفق خفقان امواج البحر الى ان  
دنا ذلك الشبح منها ورأت معه ثلاثة او اربعة يسبحون ويغالبون الامواج فعرفت اخاها  
من قيصره الحمراء ومن ارشاد قلبها فلم تعد تشعر بقيامها على ذلك الشاهق بل شعرت كأنها  
جزء من اخيها تصعد معه وتهبط الى ان دنا من صخور الشاطئ حيث تنتفث الامواج  
وترتد على اعقابها مرغيةً مزبدةً فخافت ان تكون قواه قد خارت فزلت عن  
الشاهق وجعلت تعدو على الصخور لملاقاته وهي تقع وتقوم وشناغيب الصخور تدمي  
يديها وتمزق ثيابها وتبعها بعض الاهالي وبيدهم حبل طويل ووصل اخوها حينئذ الى  
تيار بين صخرين كبيرين فجعل التيار يعده اكثر مما تدنيه ساعده واهالي الجزيرة  
يشيرون اليه ليعبد عن التيار جنوباً وهو لا يسمع كلماتهم ولا يفهم اشاراتهم ومرت على  
دورا بضع دقائق كأنها بضعه اعوام رأت الموت متجسماً امام عينها وقد اتى ليخطف  
اخيها من بين يديها وهي ممسكة به تقول كلانا حي او كلانا ميت وان اقبل ولدي  
بدونه . وظلت تشب من صخر الى صخر ورشاش الامواج يلطم وجهها حاقدًا حردًا  
ومخاوف الموت تتراءى امامها فلا تزيدها الا جرأةً وجلدًا الى ان خارت قواها

والاولاد آباءهم والاخوة اخوتهم فعلت الحسرات وفاضت العبرات وقُطع الرجاء من النجاة . وامسكت دورا بأخيها وقالت له ما قولك يا هنري نجونا من رصاص البنادق لكي نقع فريسة للأسماك وكيف يكون حال والدينا بعدنا . فنظر اليها ثم الى البحر ولم يحرّ جواباً نظر اليها كمن سُدَّت عليه مذهبهُ ورأى الموت امام عينيه ولكن الامل بالحياة قوي في صدره . ثم حاول التخفيف عنها فلم يطاوعه لسانه فقال لا بدّ لهم من انزال القوارب الآن لاني رأيتهم وضعوا فيها الماء والزاد فانزلي في قارب منها وأنا اخذت عوامة حتى اذا امتلأت القوارب ولم تعد تسع احداً تبعتمكم سباحة ولا اظن اننا بعيدون عن البر اكثر من مليون او ثلاثة وقد اعتدت السباحة فلا يعسر عليّ ان اسبح ستة اميال

وقبل ان يتم كلامه ارتجفت السفينة ارتجاجاً عنيفاً وُسْمِع صوت شديد من قعرها لانها اصابت صخرًا خرقتها فأسرع البحارة الى الطلمبات واعملوها ثم رأوا ان الماء الداخل اليها يزيد على ما يستطيعون اخراجه منها فأمر القبطان بانزال القوارب وأن ينزل اليها النساء والاولاد وبعض القادرين على التجديف . وتوسلت دورا الى اخيها لكي ينزل معها لانه من البارعين في التجديف فردّ مفضلاً ان ينزل غيره بدلاً منه وخلع ثيابه واستعدّ للحاق بها سباحة فأمسكت به ولم تشأ ان تتركه وحده وبينما هي على هذه الحال دنا منها احد البحارة ورفعها بين يديه وناولها لآخر فوضعوها في القارب رغماً عنها ووقف القبطان والمسدّس في يده لكي لا ينزل احد في قارب فوق مايحتمل لئلا ينقلب بالركاب كلهم واذا حاول احد النزول في قارب بعد ان يمتلئ رماه بالرصاص . فامتلت القوارب وسارت تتقاذفها الامواج ودورا وكثيرات مثلها ينادين اخواتهنّ وازواجهنّ مازجات الصياح بالنحيب والقوارب تعلو بهنّ حتى تكاد تقف على مؤخرها ثم تسفل حتى يحجبها الموج عن الانظار . وكان البر قريباً كما ظن هنري ولم يكن الا نصف ساعة او حوالها حتى تقشعت السحب ودنت القوارب من البر ورآها السكان الموكلون بحماية من يقف على جزيرتهم فاجتمعوا على الشاطئ والحبال في ايديهم ونزل بعضهم في البحر وجعلوا يرمون الحبال ليمسك بها من في القوارب فنجوا كلهم سوى

وسمع بعض الركاب كلامه فجعلوا يتساءلون ويتباحثون فيه فقال احدهم ان هذه الظاهرة من ظواهر الكهر بائية وقال آخر انها من الشفق القطبي وقال غيره ان مركوبي كهر ب ماء البحر ليرسل به اشارته التلغرافية . وقالت احدى السيدات ان اليابانيين كهر بوا البحر لينسفوا بوارج الروس واتصل الخبر بالخدم فذعروا وهرعوا الى ظهر السفينة فملت الجلبة وشاط الطعام على النار واضطرب القبطان ان يأمر بتفريقهم ورجوعهم الى اماكنهم . وتدانت اذيال السحب فاسست البر والبحر وهطل الغيث مدراراً فزال النور المستطير وعصفت الرياح وتمالت الامواج فهرب الركاب الى غرف الجلوس وكان البارومتر قد انذر منذ يومين بنوء شديد فاتجه القبطان شمالاً لكي لا يداني جزيرة سقطرى واخفى ذلك عن الركاب لئلا يقلقوا على غير جدوى ومرّت تلك الليلة وكانت شديدة عليهم كلهم لم يروا فيها نجماً ولا قرماً وطلع الصباح والسماء ملتحفة بالسحب وأشعة الشمس تحاول اختراقها فيمتصها البخار امتصاص الرمل للماء فأضيت المصابيح الكهر بائية واقام الركاب في اماكنهم يقرأون ويلعبون ويسمعون صوت تقط المطر تفرع كوى السفينة . ومرّ يومان على هذه الصورة ثم زاد اضطراب البحر وقام الجو ولم يكن الوسط كثيراً حتى يخفوه ولا كان خوف القبطان الا من الصخور المنتشرة حول جزيرة سقطرى فكان همه الاكبر اجتنابها وليس في الجزيرة منارٌ يهتدى به فأقام على المرقب لعله يرى البر فيستهدي لكن السحب كانت تحجب كل شيء والدلائل كلها تدل على ان ذلك النوء واسع النطاق وقد يدوم يومين او ثلاثة فأسقط في يده وجعل يطوف في السفينة يتفقد القوارب والعوامات ويوصي البحارة بالسهر والتميقظ حتى اذا خافوا غرق السفينة أنزلوا النساء والاولاد والعجزة في القوارب وألبسوا الرجال أنطقة العوم . وراه الركاب مضطرب البال فاجتمعوا حوله يسألونه فلم يخف عنهم انهم في خطر مبين وطلب منهم ان يستعدوا لملاقاته

فعلت الضوضاء بين الركاب واسرع كلٌّ منهم الى امتعته يحمل منها ما غلائمه وخفّ حملة واجتمعت العيال بعضها مع بعض وجثا اهل التقى منهم يتوسلون الى الحق سبحانه مثير العواصف ومسكن الرياح لكي يلطف بهم . وتذكر الآباء اولادهم



المبيع اليومي من اللدن نيوز بواسطة هذه الحرب حتى فُقد على المليون وها أنا وانتِ  
لسنا اصح بدناً منهم ولا انعم بالأ ومجموع الساعات التي يسرُّ بها الواحد منا مدى عمره  
ليس اكثر من مجموع الساعات التي يسرُّ بها الواحد منهم ثم يأتي الموت ويساوي بيننا  
وبينهم فبماذا نفضلهم . انظري عضلات سواعدهم وصدورهم ما اكبرها وما اقواها لم أرَ  
بين تلامذة اكفرد وكبردج الذين نعدم ابطال العصر لسبقهم في التجديف من  
عضلاته اكبر من هذه العضلات او أشد منها توتراً . انظري لقد اوقفوا التجديف فقد  
هب النسيم البحري بعد ان سخنت اشعة الشمس اليابسة وهم يرفعون الشراع . ما  
اسرع حركتهم رفعوه فامتلاً هواءً ويكاد هذا الزورق يلحق بنا لكنه لا يريد الانفصال  
عن رفاقه . أبعدنا عنهم لا شيء يضاهي البخار

وبينما هما يتكلمان دنا القبطان منهما فقالت له دورا رأيت زوارق الغواصين فقال  
نعم رأيتها فاستغربت خروجها في مثل هذا الوقت وابعادها الى هذا الحد لان زمن  
استخراج اللؤلؤ فات وهو من ابريل الى آخر سبتمبر ولكن المرض الذي اعتراه قلل  
ما استخرج منه هذا العام فاضطرَّ الملتزمون الى ان يصلوا الصيف بالخريف لكي  
يعوضوا عما نقص

واقضى ذلك اليوم والسفينة تمخر في بحر رهو الى ان أدت الشمس بالمغيب  
فتبدلت الغيوم وتكاثفت السحب حتى اظلم الجو ثم بدا على وجه البحر نور مستطير  
وانتشر حتى بلغ الافق فدعر الركاب واجتمعوا على ظهر الباخرة وهم يظنون ان ناراً  
اضطرت في ماء البحر فتهلل وجه القبطان وقال لدورا رأيت هذا النور مرة واحدة  
قبل الآن وهذه هي المرة الثانية وقد حار العلماء في تعاليله واكثرهم على انه من الظواهر  
الكهر بائية النادرة مثل الشفق القطبي

فقالت ان العلماء يحيلون على الكهر بائية كل ما يجاهون سببه كأنها صارت علّة العمل  
فقال ولا غرابة في ذلك بعد ان يدينوا لنا ان جواهر المادة نفسها دقائق من  
الكهر بائية فاذا كانت المادة نفسها كهر بائية فلا عجب اذا كانت ظواهرها كلها من  
نتائج الكهر بائية

من الاكتتاب بالقرض الياباني الجديد وحمل الروس على طلب الصلح والاستفادة من فوزهم سياسياً

ولم يكدر يتم هذا الكلام حتى فُرع التلفون ونعي له ابن عمه البارون سلون من فينأ مات فجأةً وخلف من الاموال ما لا يقع تحت حصر حتى يقال ان ثلث المباني في تلك المدينة الفخيمة له فأطرق هنيهةً وهو يقول في نفسه ماذا ينفع المال . ثم دارت المذاكرات بالتلفون في سبب الوفاة والوقت المعين الدفن . وقد اثر هذا الحادث في نفسه تأثيراً عميقاً فكان يجابو ذويه في مذاكراتهم وصورة الموت مرسومة امام عينيه وكأنها تخاطبه بقول الشاعر

وما المال والاهلون الا ودائعٌ ولا بد يوماً أن تردَّ الودائعُ

وفتحت وصية البارون سلون بعد ايام فاذا هو قد اوصى بمليون جنيه لتبني بها مستشفيات لمعالجة الفقراء فرحموا عليه وهم لا يدرون ان تلك الاموال مبتزة من دماهم ودماء امثالهم ولكنه فعل خيراً من الذين يبتزون الاموال ثم يتركونها كلها لاولادهم لينفقوها في الملاذ والمحارم

### الفصل الخامس والستون

#### الرجوع من السفر

دورا — هذه سفن الغواصين فنحن الآن امام عمان والبحرين من هنا يستخرجون اللؤلؤ النفيس انظر ما اصغر مراكبهم وما ارق حاشيتهم رأيت افقر من هؤلاء المساكين وهم يستخرجون اثمن الجواهر ولكن لماذا أدنونا من جزيرة العرب الى هذا الحد هنري — لقد كنت أفكر في ذلك الآن . نعم هؤلاء هم الغواصون الذين تقلد اعناق ملكاتنا واميراتنا بجواهرهم يعيشون في الماء وتفترسهم كلاب البحر ولا يكتسبون الا ما يسد الرمق لكي تتحلى ربات الجمال وتتفاخر الغواني بالدرر الغوال ولكن اسمعي كيف يوقعون غنائهم على حركات مجاذيفهم وقولي لي أهم انعم بالأم نحن . لا يكادون يتبلغون من العيش تلبغاً ونحن جمع لنا ابونا ثروة طائلة تكفيها وتكفي أوفاً معنا وقد زاد

روسيا سلمت بكل مطالبنا . ثم علمنا ان تلغرافي فعل كل ذلك فان ناظر المحطة في كولون ارسل صورة منه الى بسمارك فرأى اننا عازمون على الحرب ان لم تسلم روسيا بالامور الاربعة التي طلبناها . وكان القيصر قد امر معتمديه ان يسلموا بكل ما تطلبه انكلترا ولا يشتبكوا في حرب معها فلما رأى بسمارك من تلغرافي ومن الكلمة التي سمعها من بيكنسفيلد اننا مصرون على عزمنا اخبر معتمدي الروس بذلك فسلموا حالاً . اما المعتمد الذي ادعى انه ذهب لعرض الامر على القيصر فلم يذهب الا الى كوتنسبرج ولم يكن ذهابه الا خدعةً

هذا ما فعله بيكنسفيلد فغلب الروس في ميدان السياسة ولكنه لم يقدم عليه الا وهو واثق ان تركيا تمده بالرجال وان النمسا تحالفه على حرب الروس . وليس عند اليابانيين رجل يماثله ولذلك لا اعجب اذا خرج الروس منصورين في ميدان السياسة بعد ان دُحروا في ميدان القتال ويجب ان ننتبه لذلك حتى اذا بدت لنا بارقة فوزهم السياسي اشترينا كل ما يمكن مشراه من اوراقهم المالية لانه لا بد من ارتفاع اسعارها حالما يعقد الصلح

ناتان — وما الرأي الآن في هذا القرض الجديد الذي طلبته اليابان

لورد بنشيلد — لا بأس به ولا بد من اكتبنا فيه هنا وفي نيوبورك وبرلين . وسواء اخذت اليابان غرامة او لم تأخذ فان اسعار اوراقها تبقى مرتفعة الى قبيل عقد الصلح ولا سيما ما دامت جرائدنا وجرائد اميركا تظن في مدحها . كم دفعنا ياموريس لجرائد اميركا

فتناول موريس دفترًا نظر فيه ثم قال بلغ المدفوع حتى الآن نحو تسعين الفًا يخرج منها تسعة وعشرون جرائد باريس والبقية لجرائد اميركا وقد اشترينا نحو ثمانين في المئة من اسهم جريدة المساء ونصبنا هوغ على ادارة تحريرها

ناتان — هذه مبالغز هيدة ولكن النفقات الكبيرة في روسيا . كم صار المدفوع حتى الآن

موريس — نحو مئة وثمانين الفًا ومير يطالب اموالاً أخرى

لورد بنشيلد — لا بد من الانفاق ومن لا يزرع لا يحصد . والخلاصة انه لا بد



المطالب وقد صممت على ان نعود الى لندن باسرع ما يمكن حتى نصلها الاحد مساءً فانام واستريح ثم اقوم في الصباح واذهب الى قصر الملكة واعرض عليها نتيجة المؤتمر ثم نشهر الحرب على روسيا فدير مايلزم لسفرنا حالاً . فاحضرت جداول السفر ونظرت فيها فوجدت انه يستحيل علينا ان نصل الى لندن يوم الاحد مساءً ما لم نستأجر قطاراً خاصاً يقوم بنا من كولون وللحال ارسلت تلغرافاً الى ناظر محطة كولون لكي يُعدّ لنا قطاراً خاصاً يكون في انتظارنا الساعة الغلانية

فادار ذلك التلغراف دفة السياسة لاني التقيت في اليوم التالي بالبرنس بسمارك وهو في مركبة مفتوحة فقال لي اين لورد بيكنسفيلد فقلت له انه في النزل فقال هل يسهل عليّ ان اراه الآن . فقلت نعم . فاخرج ساعته ونظر اليها ثم قال الآن الساعة الرابعة الا اثنتي عشرة دقيقة وانا مدعوٌ لمقابلة مولاي الامبراطور الساعة الرابعة تماماً واحب ان ارى لورد بيكنسفيلد فهل تستطيع ان تدخل علينا الساعة الرابعة الا خمس دقائق وتنبهني لكي لا يفوت الوقت عليّ . فقلت له اني افعل وسرت معه الى النزل واريته الغرفة التي فيها بيكنسفيلد . وفي الساعة الرابعة الا خمس دقائق تماماً قرعت الباب عليهما ودخلت وكانا يتكلمان عن عدم انتظام التبليط في الشارع المعروف بولهم ستراس فاعتذرت اليهما وقلت للبرنس بسمارك ان الساعة قد صارت اربعاً الا خمس دقائق وخرجت . وفتح الباب بعد دقيقتين وخرج البرنس بسمارك وصعد الى مركبته ومضى لكي يصل الى القصر الساعة الرابعة تماماً . ودخلت انا واعتذرت الى لورد بيكنسفيلد عن دخولي عليهما فقال لا بأس بذلك وأنا اعلم انك لم تدخل لغير داعٍ ولكن حدث في هذه الفترة حادث في حد الغرابة فان البرنس بسمارك التفت اليّ بعد خروجك وقال « قل لي هل تصرّ انك لترا على هذه الامور الاربعة وتحسبها بمثابة بلاغٍ اخير » فقلت « نعم » ولم يكن كلامنا في هذا الموضوع بل في مواضيع اخرى لا علاقة لها به وفي اليوم التالي اجتمع المؤتمر اجتماعه الاخير وطال الاجتماع ساعتين ثم فتح الباب وخرج المعتمدون والروس في اولهم وبقي لورد بيكنسفيلد الى الاخر حسب عادته فسك بيدي وسرنا معاً ولم نعد الا قليلاً حتى قال لي « لقد حدث امر لم اكن اتوقعه فان

المؤتمر كنتُ مرِيضاً من شدة ما قاسيت من عناءِ الاشغال وانا كاتب بيكنسفيلد وكان هو ايضاً منحرف المزاج فابى ان يذهب الى المؤتمر ما لم اذهب معه . ولما قل لي ذلك وقعت في حيرة ولا حيرة الضب لم اشأ ان اتركه ولا كنت قادراً على الذهاب معه . وبعد حديث طويل في هذا الشأن قلت له انني اضي واستشير طبيبي فان اذن لي في الذهاب ذهبت والا فلا . فمضيت واستشرت الطبيب وهو السر وليم غل ففحصني ملياً ثم قال لي اذهب كمشير لورد بيكنسفيلد ولكن لا تعمل عملاً آخر . ففعلت حسب امره وذهبت ولم أصب بمكروه بل جادت صحي على ضد ما قدّرتُ كأنّ الاهتمام بما جرى في ذلك المؤتمر انعش قواي وقَعَلَ فِعَلَ المنبه والمقوّي . ولما اخبرت لورد بيكنسفيلد انني ذاهب معه اشرت عليه ان لا نذهب مع لورد سلسبري وسائر رجال وزارة الخارجية بل نسبقهم ونمرّ على بركسل ثم نذهب الى برلين وحدنا فعمل حسب مشورتي . وجاء لورد سلسبري برلين بقطار خاص ومعه اربعون موظفاً من نظارة الخارجية . ولم نكد نحن نصل الى برلين حتى ارسل البرنس بسمارك يطلب مقابلة لورد بيكنسفيلد . ولما اخبرته بذلك قال قل للرسول اني انا اذهب واره . وبعد نصف ساعة كنا في قصر ردرزفل حيث البرنس بسمارك فدخل بيكنسفيلد اليه وبقيت انا في حديقة القصر في انتظاره ثم سمعت واحداً يناديني باسمي فالتفت واذا انا بالكونت شوڤولوف سفير روسيا في لندن وكان صديقاً لي فقال ما شأنك هنا وكيف وصلت الى هذا المكان فقلت اني منتظر لورد بيكنسفيلد فقد اتى واختلى بالبرنس بسمارك . ولما قلت ذلك امتنع كأنه كان آتياً لهذا الغرض فسبقه بيكنسفيلد اليه ولا شبهة في ان البرنس بسمارك عرف قدر بيكنسفيلد من تلك الساعة

وعقد المؤتمر وجرى في اعماله وطلب الانكليز من الروس اربعة امور قالوا ان لا بدّ منها فقال معتمدو الروس انها امور هامة جداً لا يمكنهم ان يقبلوا بها ما لم يستشيروا القيصر ولا بدّ لهم ان يبعثوا بها اليه مع رجل من اكبرهم مقاماً . فتأجلت جلسات المؤتمر ثلاثة ايام او اربعة الى ان يمضي الرسول ويعود وفي صباح اليوم التالي دخل بيكنسفيلد غرفتي وقال لي ان الروس لا يقبلون بهذه

فسرّى عنه بعض الشيء وعاد يظهر عزة النفس بعد أن أظهر التذلل وقال لها الله كريم الرجال تجلب المال فقالت والذي اغتنى مثلك في سنةٍ لا يصعب عليه ان يستردّ غناه في سنة . وبقيت نحو نصف ساعة تكلمه في موضوع السرقة وهو على تمام الحذر منها لانه كان يشعر انها اقوى منه . وهذا شأن النفوس الصغيرة متى وقفت أمام النفوس الكبيرة . ثم سألت من من رجال البوليس الموكل بالبحث والتحقيق فقيل لها انه اسمعيل افندي وكان هناك حينئذٍ فسلمت عليه مصافحةً وقالت له اننا نرجو اكتشاف غوامض هذه الجناية بمهارتك وانا واثقة انك لا تعجز عن اكتشافها. ووصل الشيخ احمد في المساء ومرّ بيت الخواجه لاثي فنهضت استير للقائه وعرفت من وجهه انه عارف بما جرى فقالت له كن مطمئن الببال يا استاذ فان المال الحلال لا يضع وان ضاع

فقد تقلب الايام حالات اهلها وتعدو على اسد الدحال الثعالب  
فقال لها لا فضّ فوك يا بنتاه ولكن المال والبنون لذة الحياة الدنيا  
ولا رَفَع النفس الدنيئة كالغنى ولا وضع النفس النفيسة كالفقر

## الفصل الرابع والتلاتون

### القرض الجديد

لورد بنشيلد - لقد نجحت مساعينا فوق ما كنا ننتظر فالفوز حليف اليابان برّاً وبحراً والاسواق المالية تتلقّف سنداتهما تلقفاً ولا بدّ لنا من ان نبيع كل ما عندنا منها قبلما يعتقد الصلح ثم نشترىها بعده لان فوز اليابان في ميدان القتال لا يضمن لها الفوز في ميدان السياسة والروس على ما نعلم من الدهاء فلو كان خصمهم فيها رجالاً من ملتنا مثل لورد بيكنسفيلد لوطننا النفس على الغلبة في السياسة

ناثان - أو كان بيكنسفيلد اقدر من الروس وادهى

لورد بنشيلد - نعم كان كذلك ولقد سمعت عنه بالامس قصة رواها كاتبه الاول لورد روتن بعد ان حفظها في صدره من عهد مؤتمر برلين قال . لما قرّر القرار على عقد

لومي على نفسي ولكن ليس الامر كذلك بل ان لصاً خبيثاً دخل بنكنا في الليل الفاتئ وسرق منه كل ما نملكه حتى الاموال الغير المودعة عندنا ولم يسرقوا بنكنا فقط بل سرقوا بنك عزرا ايضاً

لما سمعت استير ذلك فتحت فاها وجحظت عيناها غصباً عنها أما أمها فعاودها الاغماء وجعل الزبد يخرج من فيها وحضر الطيب حينئذٍ ودخل مع يوسف ووجدهم على تلك الحال فلم يعلم من يكلم ولا من هو المريض الذي دعي له وأشار الخواجه لآثي الى زوجته فبادر الطيب اليها وكان حنجر الامونيا لا يزال الى جانبها ففتحهُ وشمه فعطس ثم ادناه من انف مدام لآثي وانتهت استير الى نفسها وتجلدت ودنت من أمها وعادت تفرك يديها ثم سارت الى ابيها وقالت له قلت انهم سرقوا بنك عزرا ايضاً فأنا لا أصدق ولا بد من حيلة في الامر وسأكشف لك السرقة والسارق . من قال لك انهم سرقوا بنكه ومتى حدث ذلك

فقال لما كان حكمدار البوليس عندنا ينظر ما حدث نادوه من المحافظة بالتلفون وقالوا له ليسرع الى بنك الخواجه عزرا لان اللصوص كسروا خزانة الحديد وسرقوا كل ما فيها البارحة في نفس الوقت الذي سرقوا فيه بنكنا فجعلت تتفرس في ابيها ثم التقت الى أمها فرأت انها اخذت روعها فقالت لابيها أنا ذاهبة الى البنك مع يوسف لأرى بعيني . أنا لا أصدق الا ان في الامر حيلة فقال لها ابوها اذهبي فأت خيراً من ألف رجل

فأمسكت بيد اخيها ونزات وهي تقول للخادم أسرع ناد لنا مركبة من الشارع ثم ركبت أول مركبة التقت بها وحثت السائق على الاسراع الى أن وصلت الى مكتب ابيها ودخلت مكان خزانة الحديد ورأت المصور يصورها فسألت وفحصت ودققت ثم ركبت مع اخيها وسارت الى مكتب الخواجه عزرا . فلما رآها اضطرب في أول الامر لكنهُ تجلد وسلم عليها وقال لها رأيت ما حل بنا أنا وايبك . فلم يخف عليها اضطرابه وقالت له نعم كأنه على ميعاد . فلم يفهم مرادها . ودخلت ودققت نظرها في خزانة الحديد وسألت عزرا مسائل كثيرة كأنها مهتمة بأمره كما هي مهتمة بأمر ابيها .



والرب اخذ ولكن اموال الناس ما الحيلة ما العمل  
 فظنت انهُ خسر خسارة كبيرة في البورصة وقالت لهُ المال فدى الرجال والذي  
 يكسب يخسر أتخاف ان نموت جوعاً خسرنا خسرنا اين همتك والى متى نبقى عبيداً للمال  
 فقال افركي يدي امك وروحي لها روجي لها انظري اظنها فتحت عينها الآن  
 أليس عندنا روح النشادر يا داود يا مريم يا ليلية هاتوا حنجر روح النشادر ها هو فوق  
 المغسلة في اوضة الست

فدخل الخادم واتى به واعطاه لاستير ففتحتهُ وشممت امها فحررت رأسها  
 وفتحت عينها ونظرت الى ما حولها فوقع نظرها على زوجها ثم حاولت النهوض فساعدتها  
 استير حتى نهضت وجلست وقالت لزوجها ماذا جرى هل رأيتك في حلم ولماذا رجعت  
 من المكتب ألم أرا اثنين من الكتّاب يسندانك وانت نازل من المركبة فماذا جرى لك  
 فقالت لها استير خذي راحتك الآن ما ذا جرى له الظاهر ان الاسهم  
 هبطت نصف جنيه فظننا اننا سنموت جوعاً . فالتفتت أمها اليه وقالت لهُ قطعت  
 قلوبنا أنتنتظر ان ترج دائماً ولا تخسر . صدق فيك يوسف فانه يقول ان قاب ابي على  
 ماله اذا خسر غرساً طار عقله معهُ

فقال قولي لهُ ليسد فاهُ أتعلمين ما اصابنا الآن صرنا على الارض  
 استير — صرنا على الارض يا ابي ما هذه المبالغات حتى تقطع قلب أمي آه لو  
 تعلمتم العربية ورأيتم ما فيها من الحكمة . اسمع ما يقولون الدهر يومان يومٌ عليك  
 ويوم لك فان كان عليك فلا تضجر وان كان معك فلا تبطر . وما قال شاعرهم  
 لقد علمتُ وما الاسراف من خلقي أن الذي هو رزقي سوف يأتيني  
 اسعى لهُ فيعينيني تطلبهُ وان قعدتُ أتاني لا يعنيني  
 كم من فقيرٍ غنيّ النفس تعرفهُ ومن غنيّ فقير النفس مسكين  
 ثم فسّرت له ذلك بالفرنسوية فقال لقد اصاب فان الغني هو غني النفس  
 ولكن هذه تسلية المفلس وأنتِ تظنين اني خسرت في البورصة وتحاولين ان تخفني  
 عني . لو خسرتُ بالبورصة لكنك أسكت ولا اشكو الى احد ولا اشكو من احد لان

سرتت من خزانة الخواجه لاثي اوراقاً له من اسهم الدائرة السنية العادية والمؤسسة  
نمرها كذا وكذا . فأسرَّت بذلك الى البنوك وسامسة الاوراق المسالية وقبضت على  
الغفيرين اللذين في بنك الخواجه لاثي واخذت اقرارهما مراراً واخذت اقرار الكتبة  
كلهم في البنكين ورجحت ان لاثين من الكتبة في بنك الخواجه لاثي اشتراكاً مع  
الاصوص فأمرت بالقبض عليها وايداعها السجن

### الفصل الثالث والنمطون

الفقر بعد الغنى

حُمل الخواجه لاثي من مكتبه الى داره وهو يكاد يغيب عن صوابه وعاونهُ  
اثنان من الكتّاب على صعود الدرجات القليلة امام باب بيته . وأطّلت زوجته من  
الطبقة العليا من البيت ورأت اثنين يسندانهُ في نزوله من المركبة فصرخت صرخة  
منكرة وأغمي عليها فبادرت استير اليها وسألت عما اصابها فأخبرها الخدم ان اباه دخل  
البيت واثنان يسندانهُ فلم توجس شراً بل بقيت تعتني بأهله ففكت ازرارها وجعلت  
تفرك يديها وتروّح لها وأمرت احد الخدم ان يسرع ويحضّر الطيب

وكان الخبر قد شاع في العاصمة ان بنك الخواجه لاثي سرق ولكن لم يجسر احد  
ان يوصلهُ الى اهل بيته . وسمعه الطباخ في السوق لكنه كتمهُ ولم يخبر به الا الخدم .  
فلما رأوا سيدهم داخلاً على هذه الصورة لم يخفَ عليهم السبب اما استير فكانت  
تجبل ذلك وبعد قليل أصد ابوها الى الطبقة العليا ولما رأى زوجته مطروحة مغنى  
عليها ارتنى على مقعد الى جانبها وقل بالعبرائية ليتبارك اسم اله اسرائيل . الرب  
اعطى والرب اخذ فليكن اسم الرب مباركاً

فاضطربت استير من هذا الكلام وظنت أولاً ان اخها أصيب بمكروه ولكنها  
عادت فقالت انه لم يزل في البيت ودنت من ايها وقبّلت وجههُ وقالت له ماذا جرى  
يا ابي لا تخف فان أمي يصيبها الاغماء كثيراً وقد أغمي عليها مرتين في السنة الماضية  
فقال لا بأس فركي يديها . لا أقدر ان أساعدك لاني خائر القوى الرب اعطى

مما كان نعم هذا يني بعينه أنفه وجبهته وفاته كل ذلك لم يتغير ولكن شعره اشقر  
وقد كان اسود فاحمًا فكيف صار اشقر

اسماعيل افندي — هذا امرٌ سهل فان الماء المسمى اكسيد الهيدروجين يغير لون  
الشعر ويصيره اشقر . ولا شبهة في ان يني هنا فاذهب وابحث عنه حالاً وراقبه في  
حركاته وسكناته ودخوله وخروجه حتى تعرف كل من يتردد عليه ويكلمه واذا  
أرته يحاول الخروج من مصر فاقبض عليه حالاً وخذ معك مرسي وعبد المجيد ولا  
تخبروا احداً مطلقاً ولا تدعوا احداً يعلم شيئاً من امره

ثم قام وذهب الى بنك الخواجه عزرا وجعل يسأله بعض مسائل وهو يمزح تارةً  
ويجدُّ أخرى ثم قال لعزرا ترى ألم يكتب اللصوص شيئاً وهم هنا . فقال عزرا لا اظن  
ولكن لو كتبوا شيئاً فكيف نستدل عليهم من الكتابة فقال انه قد يمكن الاستدلال  
على الشخص من كتابته احياناً كثيرة ولكنني لا اقصد ذلك وانما اقصد انه ربما  
تلوثت يد احدهم حبراً ولمس الورق بها فقد يمكن الاستدلال عليه من آثار اصابعه

عزرا — ماذا تقول أيمن الاستدلال على الانسان من آثار اصابعه كيف  
ذلك . فقال اسماعيل افندي هكذا ولوث رأس سبابته بالحبر ولمس بها ورقة ففعل عزرا  
مثله ولكن كان الحبر كثيراً فكان الاثر اسود طامساً . فقال له اسماعيل افندي اكرت  
الحبر فقلله . فقلله وطبع عدة طبعات على ورقة أخرى فرماها اسماعيل افندي وقال  
هذا لا ينفع اطبع هكذا ولوث اصبعه وطبعه ففعل عزرا مثله وقال وما فائدة ذلك  
فقال اسماعيل افندي يقال انه يمكن الاستدلال بهذه الآثار على الاشخاص . فضحك  
عزرا وقال كيف يمكن الاستدلال على الاشخاص وأنا ارى ان علامات اصبعك مثل  
علامات اصبعي تماماً . فقال اسماعيل افندي كذا يقولون وعلينا ان نجمع كل  
الاستدلالات حتى لا نقصر في شيء ولكن الاعتماد على تحقيق النياية اكثر من الاعتماد  
على تحقيقنا . ثم سأله مسائل أخرى وكتب اجوبته في مذكرته وقام وانصرف

وكان اسماعيل افندي يحقق وحده والنياية تحقق وحدها فأقامت الدنيا واقدمتها .  
وكان جلُّ اعتمادها على تقرير قدمه لها الشيخ احمد وهو ان بين الاوراق المallee التي

يفهم المراد منها لكن اسمعيل افندي لم يكن بالرئيس العاتي بل كثيراً ما كان يشرح مراده لبدرو ولا يكتمه عنه الا اذا رأى ان الضرورة تقتضي ذلك

وفي اليوم الثالث وضع اثنين من البوليس السري حول بيت الخواجه عزرا يراقبان الداخلين اليه والخارجين منه نهائياً وليلاً ويتبعه واحد منهما اينما سار وكان امام باب بيته رجل يبيع التبغ وهو من رجال البوليس السري ايضاً فلم يكن دكاؤه يخلو من واحد يراقبه ويراقب بيته

وفي مساء ذلك اليوم جلس بدرو مع اسمعيل افندي وجعلا يراجعان الامور التي اكتشافاها والاستعلامات التي وصلا اليها فقال بدرو كل هذا فهمته الا الصور الفوتوغرافية فاني لا ارى لها معنى ولا فائدة

اسمعيل افندي — يظهر لي انك اعترضت عليها من اول الامر ولا تريد ان تحول عن اعتراضك علي جاري عادتك

بدرو — كلاً ليس الامر كذلك ولكنني بذت جهدي لاجد لها معنى فلم اجد ولا نحن طبعناها على الورق بل ابقيناها على الزجاج ولو حاولنا طبعها ما ظهر فيها شيء وقد رأيتك امس تنظر اليها بالمكروسكوب فتناولتها بعد خروجك ونظرت اليها به فلم اجد فيها شيئاً

وكانا يتكلمان باللغة الايطالية لان بدرو يفهم العربية ولكنه لا يحسن التكلم بها واما اسمعيل افندي فيحسن الايطالية تكليماً وكتابةً وهو مثل اكثر الشرقيين في تعلم اللغات الاجنبية . فقال ألم تر في بعض الصور خطوطاً دقيقة

بدرو — كلاً لم أر شيئاً وهب اننا رأينا فيها خطوطاً فما فائدتها . فقال — سأخبرك بذلك في فرصة أخرى هل رأيت هذه الايام بني اكولبلو الذي نفيناه منذ اربعة اشهر

بدرو — بني اكولبلو بني اكولبلو أين رأيتُه أين رأيتُه يا ربي . رأيتُه هنا في مصر او في المطرية امهاني الآن لاقول لك اين رأيتُه نعم رأيتُه في مصر اشبهت به اشتباهاً لان شعر بني اسود وهذا شعره اشقر ولكن وجهه لم يتغير الا انه صار اسمن



جرائد مصر الى الاسكندرية

اما الحكمدار فبحث ودقق وارسل من اخبر النيابة واستدعى اثنين من المعاونين الذين كانوا معه احدهما ايطالي والاخر مصري وقال لهما هذا يومكما وكل اعتمادى عليكم. ثم عاد الى المحافظة وارسل التلغرافات الى كل جهات القطر ولا سيما الى الاسكندرية وبورت سعيد والسويس. واسم المعاونين اسمعيل وبدرو وكان اسمعيل اكبر سنًا من بدرو واوسع خبرةً ولكن بدرو كان اعلم منه بالصمصوم من اليونان والاطليان الذين يترددون على القطر المصري ويُنفون منه اليوم فيرجعون اليه غدًا بعد ان يغيروا اسماءهم واشكاهم

ودخل اسمعيل افندي الى غرفةٍ معه الخواجه بدرو وقال له اذهب الى بنك عزرا وخذ معك مصورًا من مصوري الشمس وصور خزانة الحديد من كل جهاتها وافتح بابها وصورها من الداخل وصور أيضاً باب الغرفة التي فيها الخزانة. فقال بدرو لماذا هذا التعب الفارغ فان النور في البنك حيث الخزانة ضعيف جدًا لا يصور به شيء فنظر اليه اسمعيل افندي وقال له افعّل ما اقوله لك وسأخبرك برادي في ما بعد. وكان مأمورًا بان لا يخالف له امرًا فذهب واحضر مصورًا فصور باب الغرفة وجدرانها وجوانب الخزانة وبابها وفعّل اسمعيل افندي كذلك بينك الخواجه لاثي واخذ اذاجات التصوير بعد تثبيت الصور عليها وجلسا مع سكرتير الخواجه لاثي وحده وسألاه مسائل عديدة كتبها وكتبا اجوبتها ثم سألا كل واحد من الكتبة والفراشين والخفراء وفعلا كذلك بالخواجه عزرا وشريكه وكتبته وخدامه. فعلا ذلك كله في يوم واحد واستحضرا ستة من رجال البوليس السري الذين يعتمدان عليهم واوصياهم بما يريدان واستحضرا ايضًا امرأتين من نساء البوليس السري واوصياهما بأمرى اخرى. وجلس اسمعيل افندي في غرفته في المحافظة يطالع التقارير الواردة اليه من جهات القطر ومن البوليس السري وهو لا يهتم الاّ بهاتين السرقتين وكان العمل كله في يده وبدرو يساعده ويفعل ما يطلبه منه فالامور التي يدرك المراد منها يفعلها حالًا والتي لا يدرك مغزاها يعترض عليها ولكنه لا يلبث ان يفعلها حالما يأمره بفعلها ولو لم

كان تأثيرها في ابي وحتى الآن لا اقدر ان انساها ساعة واحدة ولولاها ملكت صحتي وكنت بألف خير من الله . ولكن ضاع كل ما يملكه الآن لانني لا اظن انه يمتلك شيئاً آخر هو وشريكاه فقد خسروا خسارة كبيرة في الشهر الماضي على ما بلغني لانهم لا يكتبون بالسمسرة وارباحها الوافرة في الصمود والنزول بل يشتملون على حسابهم فخسروا عشرين او ثلاثين الف جنيهه وخسروا نحو عشرة آلاف جنيهه من تقليصة امين باشا على ما سمعت امس في البورصة . الذي تجمعه الريح تبدده العاصفة والمال الحرام يذهب ويذهب معه الحلال

الشيخ احمد — مال عزرا حرام صدقنا ولكن مال الخواجه لاثي ليس كذلك وعنده ودائع لغيره وهي احل من الحلال . والحق يقال اننا لا نعرف كل الاحكام التي يجري عليها نظام هذا الكون لان العمل كثيرة جداً فيتمدّر علينا جمعها كلها رد المعاولات اليها . وعلى كل حال انا مسافر الليلة فماذا توصي

امين بك — السلام يا استاذ وسنتقي في مصر بعد يومين ان شاء الله ونادى الشيخ احمد خادم المنزل الذي كان نازلاً فيه ليهي له امتعته فيقوم في اول قطار الى محطة سيدي جابر حتى يدرك اكسبرس المساء

هذا ما جرى في رمل الاسكندرية اما في مصر فان الخواجه لاثي نزل الى مكتبه نحو الساعة السابعة صباحاً نزل هو وواصف بك ليدفع اليه مبلغاً من النقود فيرسله بوسطة الصباح ولما فتح خزانة الحديد وجدها فارغة لاشي ، فيها فارتجفت مفاصله واصططت ركبته واصفر وجهه وانقطع صوته وكان معه ووصف بك وواحد من الكتّاب فاتياه بكرسي فجلس واخذ العرق يتصبب من جبينه ثم حضر بقية الكتّاب وضربوا التلفون الى حكمدار البوليس فحضر بنفسه هو وثلاثة من المعاوين ولم يكادوا يشرعون في التحقيق حتى جاءهم الخبر بالتلفون من المحافظة ان بنك الخواجه عزرا سرق ايضاً فقام اليه الحكمدار ورأى ما فيه . وكان مع ووصف بك خادمه فرأى ما حدث في البنكين وعاد الى البيت واخبر بما رأى وكانت بهية تكتب الى اخيها فقص عليها ما رأى وسمع فكتبتة في الكتاب وارسلته باكسبرس الصباح فوصل قبلها وصلت

الجرائد . وهنا النفلة فما الغائدة من كتابة نمرها في دفتر ووضعه معها . واخذوا ايضاً الحجب والرهنيات ولم يتركوا شيئاً والضرر من اخذ الحجب والرهنيات قليل لان الخواجه لاقى يستطيع ان يستخرج غيرها من المحكمة المختاطة

وكان امين يتكلم ولحية الشيخ احمد ترتجف وامتعق وجهه وزايله الدم فظهر لونه تريباً وصمت هنيهة ثم قال ألم بهتدوا الى شيء من آثار اللصوص أو لم يكن في البنك خفير يخفره

امين بك — قالت لي بهية في كتابها انه كان في البنك خفيران من البرابرة وقد انكرا انهما رأيا احداً دخل البنك ولا شبهة في انهما كانا نائمين او متواطئين مع اللصوص . وليس الغرابة في ذلك بل الغرابة ان بنك الخواجه عزرا السمسار سرق ايضاً في الليلة نفسها واخذ اللصوص كل امواله ودفتره ولم يبقوا له شيئاً والظاهر انهم متواطئون هم واللصوص الذين دخلوا بنك الخواجه لاقى على تنظيف المكانين . ويقال انه كان عند الخواجه عزرا اسهم وسندات وتقود بقيمة تسعين ألف جنيه بعضها له وبعضها لزابنه وقد وجد باب خزائنه مكسوراً أي ان اللصوص ثقبوا الخزانة بمثقاب عند القفل وفتحوها . ومصر قائمة قاعدة لهذا الخبر

الشيخ احمد — رأيت وكيل الداخلية منذ ساعة فلم يقل لي شيئاً . ثم ماذا ذكرت لك عن الاجراءات التي اتخذوها

امين بك — لا شيء ، ولكن المسألة كبيرة جداً كما ترى فيها اربعمائة ألف جنيه لم اسمع بسرقة مثلها في حياتي . وسأعود الى مصر غداً او بعد غد لان هواء الرمل لم يوافقني كما كنت انتظر ولا سيما بعد ما اشتدت الرطوبة في هذين اليومين

الشيخ احمد — اما أنا فاني راجع الى مصر بقطار الساعة السادسة ثم فتح ساعته وقال بعد ساعة وربع . أنا اعرف الخواجه لاقى وأقدره بأكثر مما سرق منه كثيراً وأما عزرا فن هو ليس هو السمسار الذي اغراك بمشترى القطن امين بك — لم يُعزني عزرا بل رجل اسمه برسوم ولكن عزرا غشني واغتم فرصة سقوطي ومرضي وتصرف بالقطن كما يشاء فحملنا خسارة كبيرة جداً أنت تعلم كيف

وجه ومن قبيل آخر من وجه آخر وهو ان لدينا ادلة قاطعة على ان المجني عليه والحق ان يسمى بالجاني على نفسه انما فعل ما فعل باغراء مغرٍ وقد اودعت بين اوراق القضية شكوانا على رجل اسمه عزرا اغرى الجاني على نفسه بارتكاب هذه الجناية لاسباب عائلية لا داعي لبسطها واني اطلب من المحكمة تحقيق هذه القضية الفرعية لانها مرتبطة بقضيتنا ارتباطاً لا انفكك له حتى اذا ثبتت لها دعوانا برأتنا من كل ما نسب اليها وحكمت على الفاعل الحقيقي بما يستحقه »

وقامت المحكمة للمداولة فقضت نصف ساعة ثم عادت وحكمت على السائق بالسجن تسع سنوات والاشغل الشاقة . فاحاط به الحرس واخذوه الى السجن وزوجته واولاده يعولون وراءه

## الفصل التالى والسارقون

### سرقتان

امين بك — سرقتان في ليلة واحدة سرقتان كبيرتان جداً يا استاذ لم نسمع بمثل هذا قط ولا نسمع به غيرنا . ما قوالك في ذلك

الشيخ احمد — اي السرقتان وعند من ومتى

امين بك — اتاني كتاب من بهية الآن تقول فيه ان بنك الخواجه لاثي سُرق في الليل الماضي دخله اللصوص وفتحوا خزانة الحديد وسرقوا كل ما فيها من النقود والاوراق المالية والسندات . ويقدر المسروق بثمتمئة الف جنيه ووجدت ابواب البنك مقفلة على عاداتها وكذلك باب الخزانة . ويؤكد الخواجه لاثي انه اقفل بابها بيده في المساء وهي كبيرة جداً يستحيل كسرها والظاهر ان اللصوص فتحوها بمفاتيح مثل مفاتيحها واخذوا كل ما فيها . ولم يكن فيها من النقود سوى خمسين او ستين جنهاً ولكن كان فيها من اوراق البنك المصري نحو مئة الف جنيه ومن سندات الموحد واسهم البنك الاهلي والبنك الزراعي والعقاري والدائرة العادية والمؤسسة ما قيمته مئتا الف جنيه . والذي سرقها سرق معها الدفتر الذي فيه نمرها ايضاً فصار يتعدّر الاعلان عنها في



جرّاحاً يضمّد جروحهُ امر السائق ان يدير المركبة ويفرّ بهما لكي لا يكتشف احد فعلتهما الشنعاء ولو حدثت في رابعة النهار وفي اكثر شوارع العاصمة ازدحاماً لكن يد العدل اطول من ان يفر منها جانٍ اما المجنيُّ عليه فكانت جراحهُ مميتةً فلم يعش الا بضعة ايام ثم مات على اثرها بشهادة الاطباء الذين عاجلوه وشهادتهم مع اوراق القضية فلم يبق الا الحكم على الجاني المتعمد تأديباً له وعبرة لغيره واني اترك الى المحكمة تقدير العقاب لان الجناية كبرى والقتل عمد ولو تأخرت الوفاة

ولما لم يكن مطالب بالحق المدني لان المطالبة به انما تكون في المحكمة المختلطة قام احمد بك مدافعاً عن السائق وقدم قضية فرعية وهي ادخال الخواجه عزرا السمسار في الدعوى كمغرٍ للمجني عليه لكي يرتكب الجناية في نفسه

فتباحث القضاة في طلبه لحظة ورفضوه وطلبوا منه السير في المرافعة فقال «ان من الجرائم ما يرتكب عمداً يرتكبه الجاني من تلقاء نفسه لغرض يقصده او مغنم يكسبه ومنها ما يرتكب باغراء مغرٍ يجرّضه على ارتكاب الجناية ولا يندر ان يكون الجاني هو المجنيُّ عليه اي ان ينتحر الانسان انتحاراً كأن يتجرّع سمّاً ناقعاً او يلقي نفسه في البحر او يطير دماغهُ برصاصة اذا ضاقت الدنيا في عينيه وسمّ الحياة او استنقل كرها ولكن يندر جداً ان يفعل الجاني ذلك لكي يتهم غيره بالجناية ويجرّ الى نفسه مغنماً من وراء ذلك

« رجل ضاقت الدنيا في وجهه ولم يعد دخله يكفي للقيام بعائلته اما لقلة الاعمال او لسوء التدبير او لانه مولع بالسكر فينفق على الكاس في يوم ما يكتسبه في اسبوع كما كثير فقراء الاوربين الذي لفظتهم بلادهم الينا ولا سيما الذين من طائفة المدعي علينا . رجل مثل هذا لا يكثر عليه ان يحتمل حيلة تريحه من التعب والكدر وهي ان يقف امام مركبة سائرة فيها رجل من كبار الاغنياء فتطمعه وترميه وقد تجرّحه في يده اوساقه وربما جرح نفسه قبل ذلك ثم يدعي انها هي جرحته فيشفق عليه صاحب المركبة ويعطيه مبلغاً من المال او يضطر الى ذلك اضطراراً بحكم القضاء

« وهذا الامر كثير الحدوث وقد حكمت المحاكم في قضيتين من هذا النوع في العام الماضي فبرأت صاحب المركبة والزم المدعي بالمصاريف . وقضيتنا من هذا القبيل من

ودخل يوسف حينئذٍ لانه يتأخر عادةً في نومه وقيامه فقالت له استير اليوم المرافعة  
ألا تذهب وتحضرها . فنظر اليها كأنه لم يفهم . فانتقل ثم قال اي مرافعة  
فقال ابوها دعيه في احلامه فانه لا يزال نائمًا .

فتبسم يوسف حينئذٍ وقال نعم نعم مسألة السائق والرجل الطلياني ان ابي يظن  
ان كل اللوم عليّ كأن لا احد يركب مركبات مملأة كة غيرنا او كأنني انا قلت للسائق  
ان يقتل الرجل

فقالت له صه وكُلّ البيض قبلما يبرد . ونهض الخواجه لافي وذهب الى غرفة  
زوجته لانها كانت مصابة بزكام شديد فرأى زكامها اخذ يخف ونزل ووضى الى مكتبه  
وجرت المرافعة ذلك اليوم وحجى بالسائق ووضع في قفص الجرمين وافاض وكيل  
النيابة في شرح التهمة واسهب في وصف ما بلغه اهل الترف والبذخ من التفاني في  
اقتناء الجياد لمركباتهم وتوصيتهم السياق بسوقها السوق العنيف حتى تسبق غيرها . وقال  
ان مركبة من مركباتهم كادت تدوسه مرة مع شدة حذره ومركبة اخرى كادت تكسر  
مركبته في نوبة اخرى وانه لا يعجب من ان مركباتهم تقتل رجلاً او اثنين في السنة  
ولكنه يعجب من انها لا تقتل رجلاً او اثنين كل يوم وليس اللوم على المارة لان  
الانسان يندهش اذا رأى مركبة كبيرة مقبلة عليه بعتة وخيلها تنهب الارض نهياً فلا  
يستطيع ان يهرب من طريقها وقد يحاول الهرب منها فيهرب اليها لشدة اندهاله بل  
اللوم على اصحاب المركبات لانهم لا يسوقونها السوق العنيف اغتناماً للوقت كيف لا  
وهم يسوقونها كذلك في النزهة بل افتخاراً وبطراً وما من شيء يردعهم عن هذا الغرور  
والبطر الا سيف العدل . ثم مثل لهم رجلاً مسكيناً سائراً في طريقه ممتماً بالسعي  
لعياله رأى مركبة عن بعد فحسب انه يقطع الطريق من جانب الى جانب قبلما تصل  
اليه ولم يظن انها آتية بسرعة البرق فلم يكذب الى وسط الشارع حتى دعثته وخيلها  
بطرانة لان خيول الاغنياء كثيرة لا يشدونها الى المركبات الا مرة كل يومين او  
ثلاثة فداست قلبه واحشاهه ولم ترحم زوجته واولاده وكان صاحب المركبة وابنه  
جالسين فيها وعوضاً عن ان ينزلا ويرفعا الرجل من تحت حوافر خيلهما ويناديا له

اكراماً لعيني اخيك حتى لا يركب الآء مثل اولاد الباشوات  
فقلت كيف يكون الحال لو برأتنا المحكمة المختلطة ألا يصير تضارب بين الحكامين  
المحكمة الاهلية تحكم بالادانة والمختلطة بالتبرئة

فقال نعم يصير ولكن احمد بك يقول ان المحكمة نفسها تحكم اليوم بالادانة وغداً  
بالتبرئة في مسألتين متشابهتين تمام المشابهة بل أعرف ما هو اغرب من ذلك فان احد  
اصدقائي كان له قضية مدنية فحكمت المحكمة الابتدائية ضده فاستأنف فحكمت  
محكمة الاستئناف له . وسمعته بالامس يتكلم مع احد قضاة الاستئناف فقال له القاضي  
اشكر الصدفة التي جعلت قضيتك في جلسة لست فيها أنا لانها لو أتت أمامي لحكمت  
عليك لا لك . فأنت ترين ان القضاة يحكمون حسبما يترأى لهم لاحسب الحق الجرد  
كأنه لا يوجد ما يسمى حقاً مجرداً . ولا تنسى ان الفواعل الخارجية تفعل بالقضاة كما  
تفعل بغيرهم من الناس لانهم لم يخرجوا عن كونهم بشراً . وقد بلغني أن خصومنا  
استخدموا ذلك الآن فكتبوا في الجرائد كتابةً تظهر كأنها منا وفيها يتهددون القضاة  
بافشاء اسرارهم ان هم حكموا لعزرا ولم يكتبوا بذلك بل كتبوا الى القضاة انفسهم  
مكاتيب من غير امضاء يتهددونهم فيها بمثل ذلك وأنت تعلمين ان هذا الامر لم يخطر  
ببالي قط ولا أنا مجنون حتى افعله لاني اعلم انه يعود عليّ بالضرر ومع ذلك صدق  
حضرات القضاة اننا نحن الكاتبون لتلك المكاتيب واننا نحن نقصد اثاره الرأي العام  
عليهم وعلى الحكومة بما لنا من الصولة وجاراهم رجال الحكومة في هذا التصديق

فقلت أو تظن يا ابي انه يمكن لرجال يشغلون مناصب عالية ان يصدقوا هذه الخزعبلات

فقال ألم اقل لك انهم صدقوا وعاتبونا هم ورجال الادارة ايضاً

فقلت اذاً نحن النساء اقدر منكم على اكتشاف الحقائق فانك حالما قلت لي عن  
الكتابة في الجرائد ادركت انها فعل خصم لا فعل صديق وانها حيلة شيطانية ولكنها  
صبيانية لا تخفى ولا بد من ان يستفيد يوسف من هذه الحادثة

فقال عسى ان يكون ذلك لانه اذا مال الى الاقتصاد وكره الظهور الفارغ احسب

اني ربحت ربحاً وافراً من هذه الحادثة ولو كلفني خمسين الف جنيه

في حكمها واذا بقيت معتمدة اني رشوت الجرائد حتى كتبت ضد عزرا واتهمت رجال الحكومة بمشاركته والتشيع له واستنتجت من ذلك اني مجرم فحكمت على السائس بالسجن وتركت للمحكمة المختلطة الحكم علينا بالحق المدني فهي بلا شك مخطئة ومهما كان لها من العذر في خطأها فهو لا يبررها من الخطاء ولا يقوي ثقتنا بها . والتماس الاعذار للمحاكم بان اصحاب الحق لم يؤيدوا حقهم التأييد الكافي امامها لا يبررها الا اذا كانت غير قادرة ان تكتشف الحق بنفسها لان ليس الغرض من المحاكم ان تحكم بان حجة زيد اقوى من حجة عمرو وكما يفعل اهل الجدال بل ان تكتشف الحق وتبينه . بالامس رفع رجل دعواه الى المحكمة المختلطة على رجل آخر انه استدان منه مالا ولم يوفيه اياه . وقال المدعى عليه انه اوفاه المال ولكن المدعي حفظ السند عنده مدعياً انه لم يكن له وصول اليه حينئذ واعطاه بدلاً منه وصلاً بالمبلغ وان الوصل ضاع منه . فالدي يأخذ بالظواهر يقول ان المدعى عليه لم يستطع ان يثبت براءته وهو ملوم لانه اوفى الدين من غير ان يسترجع السند ان كان قد اوفاه حقيقة وما دام السند في يد الدائن فهو صاحب الحق . لكن المحكمة لم تكتف بهذه الظواهر بل عرفت بالبحث ان المدعى عليه فلاح بسيط وكل القرائن تدل على انه صادق المعاملة واما المدعي فالسوابق تدل على انه غير مستقيم فتكلفت البحث في دفاتره فوجدت منها انه استوفى الدين فبرأت المدعى عليه واحالت المدعي الى محكمة الجنايات اي انها لم تكتف بحجج الخصمين بل بحثت بنفسها عن الحقيقة حتى وجدتها

فقات استير وبماذا يمكن ان يحكموا علينا

قال انهم يحكمون على السائق بالاشغال الشاقة لانه قتل غير متعمد ويحكمون علينا بالتعويض المدني بعد ثبوت الجنابة وقد يحكمون بكل ما يطلبه الخصم وهو عشرون الف جنيه فتكامل معنا هذه السنة خسائر في القنصايد والدين الروسي وبهذه الغرامة فقات ولكن المحاكم المختلطة لا تأخذ بالظواهر كما قلت فترى الحق ولا تحكم علينا بشيء

فقال قد يكون ذلك ولكن من يعتني بعائلة السائس مدة سجنه الا نلزم بها نحن



التشهير . هوذا كلنا نجتمع في هذا المكان وليس منا من هو افضل من الآخر فان كنت اخرج من هنا وأندد بك لانك تأتي اليه فإذا تقول عني ومع ذلك فإني أؤكد لك انني لا اعرف صورة عزرا هذا ولا رايته قط ولا اعرف اين مكتبه ولم اضارب بقنطار قطن عن يده وكل اصدقائك مغتاظون منكم

فوقع هذا الكلام كالصاعقة على احمد بك وجعل يقسم له الايمان المغالطة انه لم يكتب كلمة في هذا الموضوع ولا في غيره وقال له ولو لم اسمع هذا الكلام من سواك لاستغربته منك تمام الاستغراب ولكنني سمعته اليوم وامس وكذبت هذه الاشاعة اليوم في الجريدة الفلانية

وكانا يتكلمان بصوت منخفض لئلا يسمع احد ما دار بينهما من الكلام . ولما راي احمد بك ان صديقه لم يصدق كلامه اغتاظ منه وخرج مغضباً ونام تلك الليلة مبلبل البال مضطرب الافكار وقام في الصباح للرافعة وكان من الخطباء المعدودين وجلس الخواجه لاثي في الصباح مع عائلته ليشرب فنجان الشاي والابن على جاري عادته وكان قلقاً مضطرب البال وعرفت استير ما يجول في خاطره لانها شديدة الفراسة ماهرة في قراءة افكار ايها . فقالت له لما ذا نقلوا المرافعات من عند القناصل الى المحاكم الاهلية

فقال لانهم ظنوا انها صارت كفوءاً لتوثمن على ارواحنا

فقالت وهل تظن انها ليست كفوءاً لذلك

فقال اني لا اكاد اعرف احداً من قضاتها معرفة تامة ولكن ان كانوا يتأثرون من كتابة الجرائد ويعلقون عليها هذا الشأن كما بلغني عنهم وكما يشكون جهاراً فليس ذلك مما يمدح فيهم . ونحن حقننا واضح كالصبح رجل رمى بنفسه عمداً امام مركبتنا وقد فعل ذلك باغراء رجل آخر وقصد المغربي الاتقام منا وقصد المغربي ان ينصب علينا مقابل ما يصله من الاذية ولا لوم علينا ولا على السائس ولكن اللوم كل اللوم على المغربي والمغربي وكلاهما فعل ما فعل عن سوء قصد متعمداً الاضرار بنا فان رأيت المحكمة ذلك جلياً كما نراه نحن وبرأتنا وحكمت على الجاني الاصيل فتكون قد عدلت

## الفصل الحادى والثلاثون

## المرافعة

رشيد بك - لا تكلمني يا احمد بك في هذا الموضوع فانك تعرف اني ان ابديت لك رأيي التزمت ان انسحب من الجلسة ولكنني انصح لكم ان تبطلوا هذا التهييج في الجرائد

احمد بك - اي تهيج وايه جرائد فانت تعلم ان الخواجه لاثي لا يكاد يعرف ان يكتب اسمه بالعربية واما انا فاظن انك تجلني عن ان استنجد بالجرائد في مسألة لم نترافع فيها حتى الآن واست والحمد لله قاصراً عن المرافعة واقامة الحجج حتى التجيء الى اثاره الرأي العام

رشيد بك - قاصراً او غير قاصر فهذه واقعة الحال ولم تكتفوا بالكتابة والتهيج بل ارسلتم الينا اعداد الجرائد التي كتبت فيها حتى تطلعونا على تهيجكم للرأي العام وانتصاركم به على القضاء هذا عدا مكاتيب التهديد والوعيد . نعم ان اليهود اغنياء ولكن لا يليق بهم ان يستخدموا غناهم تهيج البلاد وارجو من فضلك ان تعذرني عن الخوض في هذا الموضوع

لما سمع احمد بك ذلك منه لم يسهه الا السكوت لانه رأى ان القضاة على رأي واحد ونهض بعد قليل وودّع وانصرف وكان ميعاد المرافعة في اليوم التالي فهرع الى ادارة احدي الجرائد وكتب فيها رسالة تبرأ فيها من كل ما نشر في الجرائد الاخرى دفاعاً عن الخواجه لاثي . وكان يتردد في المساء على احد الملاعب الذي يتردد عليه كهراء القوم فذهب اليه تلك الليلة على جاري عادته والتقى فيه برجل من كبار رجال الحكومة وكان من خالص اصدقائه فأعرض عنه بوجه باسر فاستغرب منه ذلك لانه لم ير منه هذا الاعراض قبلاً واوجس شراً وسأله ما الخبر فقال له الى هذا الحد يا احمد بك تهيمنا نحن والقضاة بالانحياز الى رجل سمسار وتزعم اننا شركاؤه في المضاربة . هب اننا نضارب يا اخي أفيلق بك ان تشهرنا في الجرائد هذا

السر ادورد — لا يابانية ولا صينية ولا هندية بل فتاة من بذات فرعون ومن نسل الفراعنة  
 السر كميل — من نسل الفراعنة حسناً حسناً هذا هو الشعر بعينه  
 السر ادورد — لكن الامر لم يزل سرّاً ولم نكاشف به احداً وانت اول شخص  
 اخبرته به لانني لا ازال استبعدهُ جداً . وهزري نفسه لم يصرح بفكره  
 السر كميل — اتخاف ان اذهب وانشره في « المشرق » . ما هو رأي مس  
 برون فيه فاني اعتمد على رأيها قرأت المقالات التي نشرتها باعضاء D في لندن نيوز  
 وهي منها حتماً وقد وصفت فيها المستشفيات النقلة وصفاً لم اقرأ ابغ منه . واتذكر  
 الآن انني قرأت لها مقالة عن مصر وصفت فيها بيت احد الباشاوات وابنته أهذه  
 هي الفتاة السعيدة التي أختليت قلب هنري

السر ادورد — كلاً فان الباشاوات ليسوا من نسل الفراعنة ويندران يكون  
 منهم من هو من نسل المصريين ولكن الفتاة التي احبها هنري قبطية فهي من نسل  
 المصريين الاقدمين ويظهر من وصف دورا لها انها بديعة الجمال طويلة القامة هيفاء  
 القد تشبه صورة مصرية خيالية موجودة في بيتنا

السر كميل — ربما اذهب معكم الى مصر فن مصر صارت لنا الآن بعد الاتفاق  
 الاخير مع فرنسا فصار يسهل علينا ان نزورها كل سنة

السر ادورد — لقد اعجب كل احد بهذا الاتفاق على مصر الا لادي برون  
 فانها تظن اننا غبننا فرنسا اخذنا منها اكثر مما اعطيناها . وقد قالت صريحاً اننا اخذنا  
 اللحم واعطيناها العظم وهي مستغربة كيف رضيت فرنسا بمرآكش لا سيما وان المانيا  
 ستكون لها في المرصاد هناك . لا تزال نحن الى وطنها والدم لا يصير ماءً ويخال لي  
 ان هذا الميل في هنري الى المشاركة موروث من امه لان الدم الفرنسي يميل الى  
 اهل المشرق

وتصافحا وعاد السر ادورد الى بيته فوجد زوجته في انتظاره فقالت له وصل  
 تفراف من هنري ودورا من الهند وسيكونان في مصر في اوائل نوفمبر فيجب ان  
 نصمم على السفر

لانه يدعي الدفاع عن مصالح المشرق والمشاركة ولكنه اشد الناس وطأة على الروس ودخل السر كمبل حينئذ فقال له السر ادورد ماهي اخبارك الآن فقال : يظهر ان الثورة ستعم بلاد الروس كلها ولا سبيل لنا لتوقيف هذه الحرب وجعل الروس يطلبون الصلح الا اذا ثار الروسيون على حكومتهم

فقال له السر هنري استحل ذلك . فقال لماذا لا نستحله من لا يستحل توقيف الحرب ودفع ويلاتهما واصلاح الحكومة الروسية بتبنيه شعبها الى طلب حقوقه

السر هنري — انا لا اسألك عن الغاية بل عن الوسيلة هل تستحل اثاره الثورة في البلاد لكي تنتج عنها نتائج حميدة . ومن يستطيع ان يحتم ان نتائج الثورة تكون حميدة ولماذا لا تقول انها لا تقف عند حد الدستور بل تتجاوزه الى الفوضى ولماذا لا تقول انه اذا صارت بلاد الروس نياية في الاحوال الحاضرة فشعبها يستمر على الحرب الى ما شاء الله ولا نعود نجد احداً مخاطبه في امر الصلح . لا ياسر كمبل انا لست من رأيك في ذلك وبقيني انك لست على الصواب

واجتمع حولهم حينئذ اناس كثيرون وانقسموا فرقاً فرقاً يتباحثون ويتناظرون . وكان اليوم شديد الحر على خلاف العادة في شهر اكتوبر ومشى السر كمبل كرامع السر ادورد برون وسأله عن ابنه وابنته فقال انهما عادا من مواقع الحرب لانحراف ألم بصحة دورا ومرآ على اليابان فزاد الانحراف في صحة دورا واضطرا ان يبقيا هناك مدة ولكنهما سافرا منذ ايام واظن انهما يصلان الى مصر في اواسط الشهر المقبل ويظهر لي ان هنري سيصير من حزبك

السر كمبل — من حزبي اي حزب

السر ادورد — من حزب المشاركة هو لم يكتب شيئا في هذا الموضوع ولكن دروا اشارت الى ذلك في مكاتبتها بل صرحت به وقد اضطر ان اذهب انا ولادي برون الى مصر

السر كمل — ماذا أميرية يابانية او صينية او هندية . لقد كان هنري دائماً

يعيل الى التصورات الشرقية . مثل امه



كث اللحية ايض الوجه برّاق العينين فصيح المنطق مشهور باصالة الرأي بين اقرانه  
فقال له السر ادورد برون ان كان للخطر الاصفر وجود في الحقيقة فلا يمكن ظهوره في  
عشر سنوات ولا في عشرين سنة لان حكومة الصين مبنية على الفساد والرشوة من  
أولها الى آخرها ولا يكفي ان تكون الامة مستعدة الارتقاء بل لا بد لها من قائد يقودها  
ومرشد يرشدها . وعندي انه لو لم توفّق اليابان بأهباطورها الحالي لكانت الآن مثل  
غيرها من ممالك الشرق الصغيرة ولكن امبراطورها هو الذي جمع كلمة شعبها وسار به  
في هذا الطريق . والصين على ما تعلم ليست كذلك والذين يوجسون شرّاً من تقدمها  
لا يتعذر عليهم ان يمنعوا اتصال ملكها الى امبراطور حازم كمبراطور اليابان  
السر هنري غراي — آه هذه مسألة أخرى وأنا اعلم ان كثيرين يستحلّون هذا  
المنكر ولكن نحن الانكايز لا نستحلّه

السر ادورد — لا اعلم ولكن ما معنى الجهاد وتنازع البقاء ان كنت ادع خصمي  
يقوى عليّ ويأكلني ولا اتعدّاهُ قبلما يتعشاني . وأنا اعلم ما يدور في خاطرك الآن  
وهو ان الديانة المسيحية والآداب المسيحية تنهانا عن ذلك وتأمّرنا بأن نفعل بالغير كما  
نريد ان يفعل الغير بنا . ولكن ان كانت الديانة والآداب تأمرنا بشيء والطبيعة نفسها  
تأمّرنا بضده فحكم الطبيعة هو الغالب اخيراً . ولا اوضح من هذا الحكم بين احكام  
الطبيعة ونواميسها وهو ان كل نفس مدفوعة الى الجهاد والتغلب على الغير بالقوة او  
بالحيلة او بهما كليهما وأنا وانت على طرفي نقيض من هذا القبيل ولكنني واثق بصدق  
وطينتك وبأنك لا تشايح اولئك الخونة الذين تحملهم اوهامهم على التنديد بالحكومة  
ولورأيت فتوراً في جريدتك منذ الشهر الماضي

السر هنري — اظنك تشير الى انتقادي الاخبار المبالغ فيها عن الثورات والقلاقل  
في بلاد الروس فأنا لا استحلّ نشر مثل هذه الاخبار على علائتها ولو كنت لا اعلم  
حقيقتها لكان لي عذر أما وأنا عالم مصادرها ومقاصدها فيستحيل عليّ ان اوافقكم على  
نشرها كما هي واطن انه كان يجب عليّ ان أكذبها تكديباً . ولولا اعتقادي ان فيها  
ذرة من الحق لكذبتها حتماً . واستغرابي من السر كبل كار أشدّ من استغرابي منك

هذه اضاليل الروس يريدون ان يثيروا بها الرأي العام الاوربي علينا لاننا حالفنا اليابانيين ووقفنا بينهم وبين دول اوربائلا لتعصب عليهم  
السر هنري — مهما يكن غرض الروس والالمان فهو لا يغير الحقيقة ان كان لما  
يسمى بالخطر الاصفر حقيقة . وأنا لا ارى لماذا لا تكون له حقيقة واقعية فان الصينيين  
ليسوا اضعف من اليابانيين ولا اقل منهم مهارة ولا هم الآن ابعد عن العمران مما كان  
اليابانيون منذ ثلاثين او اربعين عاماً واليابانيون انفسهم يشهدون للصينيين انهم اسياهم  
واساتذتهم . نعم انهم يكرهونهم ولكن كرههم لهم مثل كره الضعيف للقوي اذا كانا  
متجاورين . وهذه الامور قلما كان يختلف فيها احد من كل الذين كتبوا عن الصينيين  
واليابانيين منذ ثلثمائة سنة الى الآن ولا سيما بعد ان نظم غوردون بعض الجيش الصيني  
وشهد له . ولم يتم احد يرتاب فيها الا في هذه الايام بعد ما تغلبت اليابان على الصين  
في الحروب الماضية والذين ارتابوا لم يدعوا ان اليابانيين ارقى من الصينيين بالفطرة بل  
قالوا ان اليابانيين اتفق انهم اقتبسوا اساليب الاوربيين في تنظيم الجيوش واستخدام  
البوارج فجازوا على الصينيين في المكان الذي حاربهم فيه . واذا كان الصينيون  
كاليابانيين في استعدادهم الفطري فلا بد من ان يقووا مثلهم اذا اخذوا اخذهم وتربوا  
تربيتهم وتأهبوا تأهبهم . ثم تأتي مسألة العدد وغنى الارض الطبيعي أما من حيث  
العدد فأهالي الصين اكثر من اهالي اورباكهم وأما من حيث غنى الارض الطبيعي  
فلاغنى من بلاد الصين فهي من اخصب الاراضي الزراعية واكثرها معادن من  
الذهب والفضة والنحاس والقصدير والرصاص والحديد والفحم الحجري والحجارة  
الكريمة على انواعها . وانهارها كبيرة تسير فيها السفن ويكثر فيها السمك فهي من كل  
وجه صالحة لتقدم سكانها مثل احسن الممالك الاوربية فلماذا لا يرتقي اهلها اذا اخذوا  
أخذ اليابانيين وساروا في خطتهم العلمية والحربية . واذا ارتقوا ارتقاءهم واتحدوا معهم  
لم يمكننا ان نقف امامهم في آسيا وقد لا نستطيع ان نقف امامهم في اوربا نفسها  
اذا هاجمونا فيها

وكان السر هنري غراى يتكلم بتأن على جاري عادته وهو كويل طويل القامة

استير — أنا اعلم سبب ما تشعرين به وكيف تحاولين اخفائه وهو لا يجتفي . ان كان هنري قد سافر بعد ما كتب اليكم بأسبوع او اسبوعين فانه يكون ههنا في اواخر هذا الشهر وحينئذ يزول كل ما تشعرين به الان من الغم وصغر النفس وتكون حليلة قد ملكت صحتها فتزول كل المشاغل معاً

بهية — أتظنين يا استير ان حليلة تشفى لا اظن فانها صارت كالخلال جليداً وعظماً أين شعرها الذهبي فقد قصوه ليضعوا الثلج على رأسها . اين تالأو عينها . اين ذلك الوجه الصبيح وذلك الجسم الممتلئ . كنت لا اشبع من النظر اليها قد فارقها كل ذلك الا بشاشة وجهها . وهي نفسها لا تظن انها تشفى ولا يهدمها امر شفائها . اذا فقدناها يا استير فمن يقوم مقامها

فجالت الدموع في عيني استير وهذا نادر وكادت تقول لبهية انك انت تجدين من هنري ودورا خير بديل واما أنا فقلبي فارغ لم يدخله احد لكنها كتمت ما يجول في بالها ولم تقل شيئاً وبعد هنيهة تبسم وقالت لبهية قومي نذهب الى الزهة فنجلو هذا الصدا عن نفوسنا يا حبذا لو سمعت الشيخ احمد يعلل لك فعل الزهة في ازالة صداء الهموم من النفس

بهية — لماذا تلقينهُ مرة بالشيخ ومرة بالاستاذ ومرة بالامام

استير — هو شيخ وهذا لقبه ويلقب استاذاً للتعظيم واذا اردنا المبالغة في التعظيم قلنا اماماً والحق انه امام كبير عند قومه واطنه يعرف كل شيء اوله المام بكل العلوم كما يقولون

## الفصل الثامن

### الخطر الاصفر

السر هنري غراي — أقرأت يا سر ادورد ما كتب امس عن الخطر الاصفر السر ادورد برون — نعم قرأت ما كتب امس وما قبله بل قرأت اكثر ما كتب في هذا الموضوع وعندى انه كله اوهام في اوهام . ذرة من الحق في بحر من الباطل .

يعلمون شيئاً علم اليقين وقد سألت الامام احمد عن رأيه وهو عالم كبير فقال انه لا يعلم عن هذا الامر اكثر مما اعلمه أنا ولكنه لا يقدر أن يتصور ان خالق هذه الاجسام وهذه الارواح خلقها لتعيش سنين قليلة ثم تغنى فكأنه بناه يدي القصور الفخيمة ثم يخرّبها ليتسلى بيناتها وخرابها وهذا امر لا يصدق عقل . فقلت له ولكننا اذا رأينا القصور تبني وتخرّب أمام عيوننا فكيف لا نصدق ما نراه . اين اجدادنا واجدادهم وكل الذين عاشوا في الدنيا من اول وجود الانسان فيها الى الآن . ألم يموتوا وتبلى اجسامهم وتصير تراباً قصوراً تبني وتخرّب أمام عيوننا . اما الامام احمد فيقول ان الاجسام كلاثيء بالنسبة الى الارواح وان النفوس تبقى ولو صارت الاجسام تراباً ورماداً وقد قالت لي حليلة انها رأت أختها وكتبها ولكنها لم تر لها جسماً ولا صورة محدودة

بهية نعم قالت لي ذلك وأنا اظنه من قبيل الاحلام التي نراها في الابل فكم من مرة نحلم بأناس قريين او بعيدين عنا وهذا لا يستلزم انهم هم انفسهم يزوروننا في الليل . مثال ذلك اني حلمت بمس برون منذ يومين وكنت اتكلم معها كأنها واقفة امامي مع انها بعيدة عنا الوفاً من الاميال فلا يدل ذلك على ان نفسها تركت جسمها في بلاد اليابان وأتت وزارتي في الليل بل اني أنا افكرت بالصورة المرسومة لها في ذهني وجعلت اتوسع في الفكر بالتذكر واثلاف الافكار

استير - وهل حلمت بأخيها واين هو الان

فاحمرّ وجه بهية ونظرت اليها نظر اللوم وقالت لها ما لنا وله

استير - ماذا جرى هل كتب اليك شيئاً

بهية - كلاً ولكن قلبي يدلني على انه في ضيق شديد . كان آخر خبر منه ان أخته مريضة وهو ينتظر شفاءها حتى يرجع معها ولكنها اشعر بضيق في قلبي ولا اظن ان السنة تنتهي على خير فانظري ما اصاب اخي وابي وحليمة وما اصاب مركبة ابيك وخسارة امين في البورصة وهذه الامور كلها قد انتهت الا مسألة حليلة وارجو ان تنتهي على خير ومع ذلك فنفسى صغيرة جداً واخشى من شر قريب يحل بنا . ما نفع هذه الحياة اذا كنا لا نجد فيها غير التعب والألم



بجيلةٍ شيطانيةٍ مثل هذه فما العمل  
احمد بك - يظهر لي ان القضاة كلهم مغتاظون منا اشد الغيظ ويستحيل ان لا  
يؤثر فيهم غيظهم لان سلطة الاهواء اقوى من سلطة العقل في اكثر الناس ولذلك لا  
استغرب انهم يبرئون عزرا غيظاً منك

الخواجه لاثي - هب انهم برأوه فهذا لا يضرني ولكن ماذا يفعلون بي  
احمد بك - يحكمون على السائق بالاشغال الشاقة وعليك بالحق المدني ويخرج  
عزرا بريئاً وهو الفاعل المتعمد الذي دبّر هذه المكيدة من اولها الى آخرها . لا لا هذا  
لا يكون اذا لم يكن عندك واسطة لاطهار الحق فأنا اظهره  
فصافحة الخواجه لاثي وقال له افعل ما بدا لك بشرط ان لا تزيد المصاريف  
فضحك احمد بك وقال له طمن بالك وصر على اموالك

## الفصل التاسع والعشرون

النقه

بهية - انا آتية من عندها الآن العملية نجحت وقد توقعوا بجراح من اكبر  
جراحي فرنسا كان ماراً في القطر المصري فاستدعاه طبيها لمساعدتهم في العملية  
استير - كم اعطوه يا ترى فان اجور الجراحين المشهورين غالية جداً  
بهية - سمعت انه طلب عشرين الف فرنك فاخذها دعيه يأخذ مئة الف من  
لا يدفع كل ماله لكي ينجي ابنته من الموت واي ابنة هل تجدين كثيرات مثل حليلة  
استير - صدقت لا اعرف ابنة اجمل منها ولا الطف ولا اقرب الى القلب  
ولكنها صارت الآن كالخيال لم أرها اليوم ولكنني رأيتها اول امس ومع كل المها  
لا تشككي وقد قالت لي انها تود ان تموت وتذهب الى اختها ولا تود لثلاث اجزن والداها  
عليها . ما هو هذا الموت يا بهية كيف نفارق الذين نحبهم وهل نجتمع ثانية بعد الموت  
واين نجتمع . التوراة لا تقول لنا شيئاً وهي الكتاب الوحيد الذي يعتمد عليه عندنا  
أما انتم فعندكم كتب اخرى لكن العلماء الباحثين في هذا الموضوع يقولون انهم لا

واجتمع احمد بك المحامي عن الخواجه لاثي باحد القضاة وكان من خالص  
اصدقائه وقد درسا علم الحقوق معاً وكانا في فرقة واحدة فرأى منه نفوراً على غير ما  
كان ينتظر فاستغرب ذلك وسأله عن السبب فقال أتسألني عن السبب بعد ان ملأتم  
الدنا تهيبصاً

فلم يفهم احمد بك مراده لانه لم يكن قد اطّلع على ما كتبه تلك الجرائد ولان  
الجرائد المعتبرة التي كان يطالعها لم تكتب شيئاً من ذلك فقال له افصح لي اين التهيبص  
ومن ملأ الدنيا به

القاضي — أعليّ يا احمد بك اعمل معروفًا ولا تكلمني في هذا الموضوع  
فظن احمد بك انه امتنع عن مكلمته لئلا يؤثر كلامه فيه وان الخواجه لاثي  
استعمل ما له من النفوذ لدى ولاية الامر وشكا القضاة قبل ان يرى منهم شيئاً بخالف  
مصلحته فلامه في نفسه ولم يبدل لصديقه القاضي شيئاً من ذلك بل غير الموضوع وتكلم  
معه في شؤون أخرى ثم ودّعه وسار الى مكتب الخواجه لاثي وانفرد به وسأله عما  
فعل من أمر التهيبص على القضاة فاكد له الخواجه لاثي انه لم يكلم أحداً في هذا  
الموضوع . فعاد الى مكتبه مشغل البال ونادى واحداً من كتابه وسأله عما يقال عن  
قضية الخواجه لاثي فقال الكاتب ان البلد مطبولة بها والناس يقولون ان الخواجه لاثي  
استحضر توصية من الملك وان المستشار تأكد ان القضاة منحازون الى عزرا لانهم  
يشتغلون عنده في البورصة واسماءهم في دفانره ولذلك لا يمكن ان يطلبوا احضارها  
الى المحكمة . فقال له وما سبب هذه الاشاعات فقال مقالات كثيرة نشرت في بعض  
الجرائد فقال له عليّ بها

وجعل احمد بك يقرأ فاتضح له حالاً ان حنين المحامي عن عزرا هو مصدر تلك  
المقالات وتلك الاشاعات اراد بها ان يعيظ القضاة من الخواجه لاثي بتظاهره بالدفاع  
عنه والتحامل على عزرا فقال في نفسه يا لها من حيلة شيطانية ولا بد لي من السعي في  
ابطال التأثير السيء الذي أثارته فدق التلفون واستدعى الخواجه لاثي اليه وأطلعه على  
ما اكتشفه فوقف مبهوتاً وقال له صار عمري خمساً وخمسين سنة ولم اسمع في حياتي كلها

عزرا — دفاتري . ومن قال ان دفاتري تعرض على المحكمة . حسابات الناس نصف زبوناتي لا يريدون ان يُعرف عنهم انهم يشتغلون في البورصة . اكثرهم من مستخدمي الحكومة الممنوعين من الشغل فيها . خذ ستمائة جنيهه . خذ سبعمائة جنيهه وخالصني من هذه الورطة

حنين — اتفقنا ستمائة جنيه ارسل لي ثلاثمائة منها الآن

عزرا — حاضر أهو تشك بثلاثمائة جنيه لحامله . ثم طلب منه وصلاً بهذا المبلغ فأبى ان يعطيه وصلاً وبعد جدال طويل ارتضى عزرا ان يذهب من غير وصل لكنه سأله ان يبسط له الطريقة التي يستخدمها لاثارة الجرائد والرأي العام معه وكيف يحمل القضاة على قراءتها . فضحك المحامي وقال له ليس المراد ان أثيرها معك بل ان أثيرها عليك وهذا ليس شغلك بل شغلي فكن مطمئن البال

ولما خرج عزرا نادى المحامي اثنين من الكتّاب يعتمد عليهما في هذه الشؤون وأملى عليهما اربع مقالات لتُنشر في جريدتين عربيتين وجريدتين افرنجيتين وكأنها بلسان الخواجه لاثي يتشكى فيها من القضاة والنحيازهم الى عزرا لانهم من زبائنه المشتغلين عنده في البورصة ولذلك انحازوا اليه وتهدهم بأن يرفع امرهم الى المقامات العليا . فصدرت تلك الجرائد مملوءة بالتهديد للقضاة فابتاع حنين افندي اعداداً منها وارسلها الى كل واحد من القضاة والى مستشار الحقانية والنائب العمومي ووكيله . فلما اطّلعو عليها لم يشكوا في انها كتبت بايعاز الخواجه لاثي والمحامي عنه . وبعد يومين نشرت جرائد أخرى مقالات من نوعها كلها تهديد ووعيد ومضمونها ان الخواجه لاثي مطّاع على كل ما يجري سرّاً وعلى كل المساعي التي استعملها الخواجه عزرا لاستمالة القضاة اليه حتى عزموا على تبرئته وتغريم الخواجه لاثي لانهم استكثروا ثروته ولم يروا ما ينتظر منه . وكان الكلام مضمناً لا يُمسك والجرائد التي صرّحت اكثر من غيرها اجنبية لا يسري عليها قانون المطبوعات . وطاف اصدقاء حنين افندي في دواوين الحكومة ينبهون الناس الى تلك المقالات ويقولون ان الخواجه لاثي قوم الدنيا على القضاة والمحاكم

عليها . ثم قل احد الحضور ان الحرب لا تضع اوزارها ما لم تطلب روسيا الصلح وهي لا تطلبه ما لم تحدث فيها ثورة داخلية او شبه ثورة حتى ترى نفسها مدفوعة الى طلب الصلح لكي يتسنى لها الاهتمام بدخليتها . وطلب من اصحاب الجرائد ان يساعدهم بكتاباتهم ويوعزوا الى مكاتبتهم ليرموا الى هذا الغرض وقال لهم ان الشركات التلغرافية وعدتنا بالمساعدة . ونحن لا نتوخى ضرراً لروسيا بل نفيدها بتبني شعبيها الى طلب الاصلاح . فضحك بعض الحضور من كلامه وقال غيرهم اننا نسير حسب دواعي الحال ولا تقيّد بشيء . وانفضّ المجلس وعاد السر هنري برون وهو يفكر في فائدة الحرب للذين يستطيعون ان ينتفعوا منها مالياً ثم خطر على باله كلام زوجته وقال من اين تأتيني هذه الخمسة آلاف جنيه أليس من عرق الفلاحين وحاول طرد هذا الفكر من ذهنه فلم يستطع

### الفصل الثامن والعشرون

#### التهبيج

عزرا — لقد اخبرتك يا حنين افندي واقعة الحال كما هي وانت وشأنك بعد الآن وغاية ما اطالبه اخراجي من هذه القضية بأي وجه كان  
 حنين المحامي — لا بد لنا من استخدام الرأي العام وتهبيج الجرائد فكم تدفع  
 عزرا — أذفع لمن . الجرائد الكبيرة لا تشتري على ما اظن والجرائد الصغيرة لا يقرأها احد فكيف نهيجها ومع من وعلى من  
 حنين — هذا شغلي وليس شغلك  
 عزرا — اتعابك انقضى امرها ثلثة جنيه معجلة وثلاثة مائة مائة اما الجرائد فانت وشأنك فيها . كم تظن انه يلزم ان نصرف عليها  
 حنين — قل ستمائة جنيه  
 عزرا — ستمائة جنيه يا سلام  
 حنين — أستكثر ستمائة جنيه وتخرج من هذه القضية ولا تعرض دفاترك على المحكمة



الدول تستدين الاموال من ارباب الاموال ولا عاد احد يكسب من الالتزام زوجته — قل لي ذلك هذا هو المحرك الاول للحرب والاّ فما فائدة فلاّح روسيا من بورت ارثر وما يهمل سوائه كانت للروس او للصين او لليابان . وما فائدة الفلاّح الياباني من هذه الحرب بل ما هي فائدة التسعة والثلاثين مليوناً من الشعب الانكليزي من الحروب التي اشتبكنا فيها او ساعدنا غيرنا عليها . المدّن لا تكاد أجرته تكفيه وتكفي زوجته واولاده والعامل لا تزداد بنسبة واحدة في أجرته ما لم يجاهر بالاعتصاب وقتاً بعد آخر وكل الذين يستفيدون من الحروب لا يبلغون مليون نفس من الاربعين مليوناً هؤلاء يبنون القصور ويقمنون اليخوت ويركبون المركبات والاورتوموبيلات وينفق الواحد منهم على نفسه ما يكفي لمعيشة الف نفس فيقاسي تسعة اعشارنا اشدّ المشاق لكي يعيش العشر الآخر بالرفاهة والترف

السر هنري — حرام عليك يا ادث الا ترين ان اغنياءنا وامرانا يشاركون عامة الجندي في تجشم المشاق ويقتمحون المخاطر . ابن ولدانا الآن . ألم نرسلها الى دار الحرب في مصلحة وطنية

زوجه — صحيح ذلك يا هنري ألا يذهب ابن الامير الى الحرب كما يذهب الى صيد الاسود لاجل الفخر والشهرة ولكي يعود ويتقلد رتبة عالية او وساماً فاخراً ولولا حب اقتحام المخاطر ما رأيت احداً يخاطر بنفسه لمصلحة غيره ثم ان الذين يكتسبون المكاسب الكبرى من الحروب لا يتقلدون سلاحاً ولا يسيرون فيها خطوة وجمهورنا مسخرٌ لغيره

يلتفت السر هنري الى الساعة ويقول لا بد من ذهابي الآن وسنعود الى الكلام في هذا الموضوع بعد رجوعي ان شئت . ثم يقبل وجنتها ويذهب ويدور الحديث في نادي الصحافة على طلب اليابان قرضاً جديداً وعلى كيفية مساعدتها في الجرائد بالكتابة والترغيب حتى يغطي القرض مراراً عديدة . ويعرض على كل جريدة المبلغ الذي يحق لها ان تكتب به وتأخذ فرقه . وحسب السر هنري انه اذا ارتفع السعر واحداً في المئة فقط بلغ ربحه من هذا الاكتاب خمسة آلاف جنيهه فصادق على الخطة التي اقرها

السر هنري - لا يمكنني ان اقول سوى ان ان الدول متفقة على ان الفحم من المواد الممنوعة والمال ليس من المواد الممنوعة زوجته - اي انسان له عقل يمنع الخاص ويترك العام الذي يشمل ذلك الخاص ولماذا لا نعدل نحن من قبل انفسنا فان المراد بمنع الفحم او البارود هو ان لا يساعد احد المتحاربين على الآخر . واي مساعدة اقوى من المساعدة المالية فاذا كانت دول اوربا تكبره الحرب حقيقة وتود ابطالها فسيبيلها ان تمنع المساعدة المالية عن الفريقين فيضطرا الى ابطال الحرب

السر هنري - اذا فعلنا ذلك كان الفوز لروسيا لان خزائنها اغني من خزائن اليابان زوجته - واذا لم نفعل ذلك كان الفوز لليابان لاننا نعقد لهم القرض بعد القرض ولا نعقد قرضاً للروس

السر هنري - وهذا هو المراد لان مصلحتنا تقوم بفوز اليابان على الروس زوجته - اذا كان الامر كذلك فلماذا لم نجاهر به من اول الامر ونقل لروسيا انك ان حاربت اليابان فنحن نساعدك عليك فتحجم روسيا حينئذ عن الحرب وننال بغيتنا من غير سفك الدماء وتيتيم الاطفال

السر هنري - اذا فمانا ذلك قامت فرنسا وانصرت لروسيا وصارت الحرب عمومية بدلاً من ان تكون محصورة بين دولتين

زوجته - لا يتخلو ان تكون روسيا محقة او غير محقة واذا كانت محقة او غير محقة فلا يمكن ان يخفى ذلك على اناس لهم عقول فالفوا مجلساً يرى مطالب الفريقين ويحكم أيهما الحق ويقضي له بحقه واذا ابى الفريق الآخر اتحدت الدول كلها واكرهته على القبول فاذا رأى ان الدول كلها متفقة اضطر ان يذعن لها واذا كان الرجال لا يستطيعون ان يوافقوا مجلساً مثل هذا فالنساء يوافقنه لهم ولكن ما لنا والهزل الآن لماذا لم نؤيد مؤتمر السلم ولم نقرر على وجوب التحكيم في كل المسائل

السر هنري - اذا جرى التحكيم بطلت الحروب واذا بطلت الحروب بطل الصيد في الماء العكر فقل البيع من الجرائد واقفلت معامل البارود ومسابك المدافع ولم تعد

بالخبر وطعموها في كتاب عندهم ثم اعطوني جواز السفر  
وانا الآن في كلكتا ولم اجسر ان ارسل اليكم تلغرافاً لئلا يعلم لدى رجال الحكومة  
هنا واخاف ان يكونوا عارفين بي وان تكون حكومة اليابان قد اخبرت حكومة الهند  
بكل ما توقع لاني ارى اثنين يقتفیان خطواتي كيفما سرت . وهذا الكتاب مرسل  
ضمن كتاب لامي ولا ارى موجباً للانتظار هنا لاني لا استطيع ان آتي عملاً ولذلك  
سأعود الى انكثرا في الاسبوع القادم

وقد تحدثت مع الطبيب مليا وفهمت منه ان استعداد اليابان يفوق التصور  
وانها ضربت الاسطول الروسي في بورت آثر واتلفت جانباً كبيراً منه ودخلت بلاد  
كوريا وامتلكتها وقطعت نهر يالو ولا بد من ان تكون هذه الاخبار قد وصلتكم كلها  
بالتلغراف في حينها . واجتهدت لاعلم منه عن مقدار المساعدة التي نالتها اليابان منا  
فوجدت انها كلها مالية وادبية . اما المستر برون فقول بمزيد الاحتفاء في السفينة  
اليابانية التي ركبناها من السويس وقد اخبرتكم عن كل ما سمعته منه ومن اخته بالتفصيل  
وعن كل ما سمعته من اليابانيين ولكنني علمت بعد ذلك ان كتيبي صودرت كلها فلم  
يصل اليكم شيء منها ولا داعي الآن للذكر شيء مما ذكرته فيها لان الحرب قد نشبت  
ولم يبق محل للحذر والتوقي وساكون عندكم بعد وصول هذا الكتاب اليكم باسبوع  
على الاكثر

استلمت مئة جنيه من المسيو نيقولا فلتش وادعكم الآن الى اللقاء

### القرض الثاني

السر هنري برون — ربما اتأخر يا ادث الى ما بعد وقت العشاء لاننا نبحث  
الآن في عقد قرض آخر لليابان

زوجته — بلغني اننا نمنع البوراج الروسية من اخذ الفحم من اساكنا الى اساكل  
غيرنا فاخبرني بالله عليك يا هنري ما الفرق بين مساعدة الروس بالفحم ومساعدة  
اليابان بالمال الذي يشتري به الفحم والبارود والديناميت وكل لوازم الحرب كيف نجرم  
على غيرنا مساعدة احد الفريقين بالفحم ونحن نساعد الفريق الآخر بالمال

وعبثاً كنت انادي واقول اني رجل انكليزي واطلب ان يرسل جوازي الى قنصلي  
 وُبح صوتي وانا انادي واستغيث ولا مجيب ولا مغيث . وبعد ساعتين من الزمان  
 جاءني ضابط يعرف الانكليزية وقل لي ان ولاة الامر اكتشفوا اني جاسوس لروسيا  
 من حين كنت في البحر الاحمر وكل المكاتيب التي كتبتها من ذلك الحين محفوظة  
 الآن في قلم المخبرات وهم غير عازمين ان يفعلوا بي شرّاً وانما يبقونني في هذا السجن  
 الى ان تنتهي الحرب ويعقد الصلح وحينئذٍ يطلقون سبيلي . وطلب اليّ ان اقبل  
 مصيبتى بالصبر لانني انا الجاني على نفسي . قال ذلك وخرج واقفل الباب وراءه  
 ولا تسألوا عما حلّ بي حينئذٍ لان الحق قهّار . ولم آسف على نفسي بل اسفت  
 لان خدمتي ضاعت وتعبي ذهب سدّي ولولا مرض حلّ بي من شدة البرد في ذلك  
 السجن ومن سخافة الطعام لكنت الان لا ازال فيه لا اسمع غير رسف قيود المسجونين .  
 ولم اعد ارى ذلك الضابط الاّ مرتين وفي المرة الثانية انست به وتودّدت اليه واعترفت  
 لهُ بذنبي بعد ان اعطيته الاشارة الماسونية وعرفت انهُ من الاخوة . ثم سأله كيف  
 عرفوا اني جاسوس فضحك وقال الامر سهل فان خدام السفينة يغيرون الورق  
 النشاش على مائدة الكتابة مرتين كل يوم ويدققون نظره في ما ينطبع عليه وقت  
 تنشيف الكتابة به فيكتشفون اموراً كثيرة والظاهر انهم اكتشفوا من كتابتك انك  
 جاسوس للروس فصادروا مكاتيبك واطلموا على ما فيها فعرفوا حقيقة امرك ولو كانت  
 بالروسية لان قلم المخبرات عندنا يعرف كل اللغات الاوربية

فسألته عما اذا كانت نجاتي ممكنة واني اعدمهم بالسفر حالاً . فوعدني انه يبذل  
 جهده في ذلك ثم لم اعد اراه والظاهر انه دعي للحرب والاّ لرأيته او سمعت عنه  
 لانني ابدت لهُ اشارة الضيق ولا يسهه حينئذٍ الاّ اغاثني . ثم مرضت ونقلت الى  
 مستشفى السجن ووجدت ان طبيب المستشفى من الاخوة ويتكلم الانكليزية  
 والالمانية وقد درس في المانيا فسألني عن امري فاخبرته . ولما نقتها سعى في خلاصي  
 فوضعوني في سفينة آتية الى كلكتا بعد ان اقسمت لمدير قلم المخبرات اني لا اعود  
 الى بلاد اليابان ابداً . واعادوا رسمي وقياسي واعادوا ايضاً رسم اناملي اي دهنا اناملي



واعطتها مال المخالفة لئلا يهتدي البوليس اليها فيكتبها في المخالفات ووزعت على كل من الباقيات خمسة جنيهات خمسة جنيهات ثم لبسن ثياب الزار الغربية واثنين بخروف ألبسهن شالاً من الكشمير أتت به فاطمة من بيت راغب باشا واوقدن الشموع واطلقن البخور وسأن الشيخ الذي على فاطمة عما يريد ان تلبس فأخرجت لسانها من فيها وقالت انها تريد ان تلبس جلد نمر وعشرين عقداً من الفضة والخرز المذهب وكانت قد أعدت ذلك فألبسها اياه وابتدأت الزفة بنقر الدفوف والاكثار من اطلاق البخور والغناء والزناط واركبن فاطمة على الخروف وطفن بها في جوانب الغرفة نحو ساعتين من الزمان ثم ذبحن الخروف وغسلن ايديهن بدمه ومسحن به وجوههن واخذهُ طبّاخُ فسلخهُ وطبخهُ لهن فأكلن منه الظهر والمساء وشربن السوييا وهي نقاعة الارز ومسحوق القرفة وبقين في غناء ورقص ونقر على الدفوف واطلاق للبخور الليل كله الى ان طلع الصباح وقد نهكت قواهن وارتمين على الارض لا يستطعن الحراك والشيخة تنادي الشيخ الحال على فاطمة وتأمره بتركها وهو يجيب احياناً بالتمك عليها واحياناً بالانقياد لها

هذا ما كان في بيت فاطمة واما حليلة فأصبحت وقد ارتفعت حرارتها درجة عما كانت في الصباح السابق فقلقت الممرضة واستدعت الطيب فوقف يهز رأسه واستدعى جمعية الاطباء والجراحين فحكّموا بوجوب العملية لنزع شظية العظم وما يمكن ان يكون حولها من الصديد

## الفصل السابع والعشرون

تقرير برودي

كلكتّا في ٠٠٠ لم اكتب قبل الآن لانني لما وصلت الى يوكاهاما نزلت في مركبة قاصداً الغراند هوتل فسارت بي المركبة الى دار المحافظة بدلاً من المسير الى الهوتل ولم اشعر الا وانا بين نفر من الحراس فساروا بي الى سجن مظلم وتركوني فيه .

حليم فقد مضى من الصباح وما عدت اراه . فأجابها انه سيأتي الآن وقد ذهب لمساعدة بيت حقي باشا في مهام العرس لان سنيّة ستأهل هذه الليلة وهي وأبها تسلمان عليك وقد اسفنا جداً لانك لا تستطيعين ان تحضري الزفة

ودار الى حيث تضع الممرضة قائمة الحرارة والنفض فنظر فيها وجسّ نبض حليلة ومسح العرق عن جبينها ثم ادنى كرسي من سريرها وجلس قرب رأسها . وقامت أمها وخرجت وهي لا تكاد تستطيع الوقوف لشدة ما حلّ بها ومضت الى غرفتها وقد تذكرت الجرح القديم وكأنها رأت ان حليلة ستبتع أختها ففاضت الدموع من عينيها واستسلمت للبكاء والنوح ونظرها الجوارى كذلك فخفن من الدنو منها لان مهابتها كانت شديدة في نفوسهن

واتى الطيب حينئذٍ وأكثر من وضع اكياس الثلج على رأس حليلة نحو ساعة فاستراحت كثيراً واطمان بال ذويمها . وأتت شيخة الزار في المساء وبخرتها فلم تقاها وارادت الممرضة ان تمنعها اولاً ثم لما علمت ان ليس مرادها سوى اطلاق البخور وظنت انه فرض ديني فكفّت عن منعها لا سيما وانها كانت تعلم ان اطلاق البخور يفيد ولا يضر لانه مميت للمكروبات ومطهر للفساد . وقد تكفّلت الشيخة انها تصنع الزار في بيت آخر ومع ذلك تصل الفائدة منه الى حليلة على خلاف العادة المتبعة لان حليلة ابت ان يعمل الزار في غرفتها ولم تكن امها تجرأ على عمله ولا كانت واثقة ان منه فائدة

ومرّت فاطمة على بيوت عشر من النساء وأخبرتهن ان شيخة الزار عازمة ان تعمل الزار في بيتها من اجل حليلة بنت راغب باشا فاعترضن عليها وقلن انه لا ينع ما لم تركب حليلة نفسها على خروف الزار فقالت فاطمة بل ينع وانها هي تقوم مقامها وقد اكّدت لها الشيخة انه ينع كما لو كانت حليلة نفسها الراكبة اذا وضعت في بالها ان الزار عمل لاجها . وان ام حليلة اعطتها مئة جنيه لتعمل الزار بها . فقم من الصباح التالي واخذت كل واحدة منهن ملابسها الغريبة التي تلبسها وقت زفة الزار الواحدة لباس رجل صعيدي والاخرى لباس مغربي والاخرى لباس سوداني وهلمّ جرّاً وأتين الى بيت فاطمة وأتت الشيخة فأعطتها فاطمة أجره عشرة جنيهات

كبير والصغير صغير حتى الطفل لم يزل طفلاً وقد بقيت محفوظة لأنها محفوظة ولو دفنت في الارض كما ندفن نحن لانحلت وصارت تراباً فاين التي بك يا توحيدة يا عزيزتي بعد ان صرت تراباً ورماداً وهل اصير انا تراباً مثلك اصير تراباً ولا يبقى شيء من جسمي وشعري . كان لي جسم اما الان فصرت جلداً وعظماً وسيلبي كله . ما افرغ هذه الحياة التي نهايتها الموت والي . من ارى بعد الموت ومن اعرف ومن انتظر ومن ينتظرنى . لم يعلمني ابي شيئاً ولا علمتني اُمي عما يكون بعد الموت . نعم ان المداموازل كانت تقول لي انا نلتجئ في السماء ونرتل مع الابرار ونمجد الله ولكن كيف نرتل لله وكيف نمجده ونحن من غير اجسام . آه يا اُمي ما هذا الصداق . كيف نمجده من غير اجسام . الفم يبلى واللسان يبلى فكيف تتكلم ولا لسان لنا ولا فم ولكن ها انا اتكلم الآن افكرت فكراً ولا احرك لساني ولا في . آه نعم نعم نستطيع ان نتكلم من غير لسان نتكلم بالفكر وهذا الفكر يبقى ولا يموت فان الجسم ينام في الليل والفكر يبقى فقد يبقى الفكر حياً بعد موت الجسم . قد يكون ذلك صحيحاً وقد لا يكون يا حبذا لو اتى الشيخ احمد الى هنا فانه يعلم كل شيء وكنت اسأله وحليم بعلم ايضاً فاسأله متى حضر . أين هو الآن . مسكين حليم كنت اريد ان يقتنر باستير . هل ارى توحيدة بعد الموت نعم اراها بدون جسمي اراها هوذا انا اراها الآن اراها بعين العقل ولكن هل يبقى العقل من غير جسد ان كان عقلي يبقى فمقلها يبقى فلماذا لا تكلمني مطلقاً . حلت بها مرتين او ثلاثاً في السنة الاولى ثم لم اعد احلم بها . اين انت يا توحيدة يا حبيبتي كليني . نعم سأراك ولا اعلم كيف اراك ولكنني سأراك . آه يا ربي ما هذا الصداق آه يا اُمي يا رأسي

ثم فتحت عينيها فرأت أمها واقفة تنظر اليها والمرضة تروح لها بمروحة فتبسمت لها وقالت لأُمها اتعلمين مع من كنت اتكلم الآن . كنت اتكلم مع توحيدة كنت افكرت فيها وقد رأيتها وكلمتها ولكنها لم تكلمني . فجالت الدموع في عيني أمها وادارت وجهها ومشت الى مقعد جلست عليه وقد تشاءمت من ذلك ودخل راغب باشا حينئذ ورآها على تلك الحال فأوجس شراً ودنا من ابنته وقبل جبينها فتبسمت وقالت له اين

ودخلت غرفة حليلة وجسست نبضها وجبينها وجاست الى جانب سريرها وقأحتها بموضوع الزار . وكانت قوى حليلة قد نهكت من العملية الاخيرة وتواصل الحمى وضعفت ارادتها جداً فالامر الذي كانت ترفضه اولاً رفضاً باتاً ضعفت عن رفضه الآن فقالت لامها افعلي ما بدالك اما انا فلا استطيع المشي ولا الوقوف

فقالت لها امها ان فاطمة تقول انهم هم يعملون الزار في بيتها ويكتفون هنا بدخيرك فتعاملت حليلة وقالت لامها ان تخبر اباهـا واخاها على الاقل ان لم تشأ ان تخبر الطبيب . وكانت تتكلم بالتركية بصوت متقطع ولما رأت ان امها بقيت صامته ولم تتكلم قالت لها ان تفعل ما تشاء بشرط ان لا يجبروها على القيام والمشي ولا يرفعوا اصواتهم كثيراً . وخرجت امها وتداولت مع فاطمة مدة وقرّ القرار على اخبار شبيخة الزار لتحضر تلك الليلة وتعمل ابسط ما يمكن ان يعمل

وكانت افكار حليلة سريعة التنقل من موضوع الى موضوع فراجعت ماضي حياتها من حين كانت طفلة وتردد في بالها ما حفظته غيباً من الآيات والاشعار العربية والتركية والفرنسوية واحاديثها مع امها وابيها واخبها لان راغب باشا لم يكن يهمل الكلام مع اولاده وقص القصص عليهم . وكررت ايضاً ما كانت تسمعه من معلمتها الفرنسوية عن السماء وجهنم والثواب والعقاب فقالت الى ابن امضي بعد الموت وحاولت ان تنظر الى ما وراء القبر فلم تر الا ظلاماً دامساً ثم قالت ان كل المعلمين والمهذبين يأمرونا بعمل الصلاح وانا لم اضرّ احداً ولا قصدت ضرر احد فالى أين اذهب بعد الموت وكيف يكون حال امي بعدي لا بدّ من انها تنساني كما نسيت اختي توحيدة كم بكت عليها وكم ناحت نعم انه مضى على ذلك خمس سنوات الآن ولو بقيت توحيدة لكانت صبيّة . كان عمرها تسع سنوات لما ماتت . يا حبيبتى كانت تحبني اكثر من كل احد وقد فارقتني منذ خمس سنوات . فراق طويل جداً ولكنني لا انساها ابداً وسأذهب اليها نعم سأذهب اليها سريعاً وهي الآن في انتظاري وما اعظم سروري بها حين اراها . اظنها صارت طولي الآن ولكن هل يطول الجسم بعد الموت وهل ينمو كما تنمو اجسام الاحياء . ان اجسام المصريين القدماء التي في المتسكخانة لم تزل على حالها الكبير



اظن ان أمّ حلّيمة عندنا وهذه مركبتها  
 فقالت استير قد فات الوقت الآن والظاهر ان حلّيمة قامت حتى صار يسهل على  
 امها ان تفارقها مع انه بلغني امس انها نكست فادخلي الآن وسازورك غدًا فتخبريني  
 بكل ما تقوله لك

ودخلت بهية وسامت على ام حلّيمة فاعتنقتها هذه عنها وعن ابنتها وقالت لها ان  
 ابنتها عادت الى سريرها ويقول الطيب انه يخشى من ان شظية من العظم بقيت في  
 خالصتها وانه ربما يضطر ان يعمل لها عملية أخرى لان الحمى عاودتها من اول امس  
 فسألها مدام واصف بك عن نجم الدين وما فعلوا به . فقالت ان أهله ادّعوا انه  
 مجنون لكي ينجوه من العقاب وهو مسجون الآن وجاء محامٍ ايطالي مشهور يقال انه  
 درس عند عالم ايطالي يدّعي ان المجرمين كلهم مجانين فألف رسالة يزعم فيها ان نجم  
 الدين مجنون وان حلّيمة سبب جنونه فكانه يلقى اللوم علينا . رأيت خبص هوؤلاء  
 المحامين . اما الباشا فيقول ان لا بدّ من تأديبه حتى يكون عبرة لغيره . وبمحدث  
 من هذا القبيل قامت وودّعت وودّعت بهية لتأتي من الصباح وتري حلّيمة

### الفصل السادس والعشرون

#### بين الحاضرة والآخرة

— قلت لك يا هانم لا يخلص ستي حلّيمة الا الزار مالي ومال الحكما أهو بقا  
 لهم شهرين يعالجوا فيها عمالوا ايه  
 — أظنين يا فاطمه انه يمكننا ان نعمل الزار هنا في السراي من غير مايدري الباشا  
 — لا ما يمكنشي لان الزار بدو أربع وعشرين ساعه ودق وزيطه ولكن انا  
 كلت شيخة الزار حتى نعملوا في بيتي استي حلّيمه والشبخه تجي الليلة وتبخر ستي حلّيمه  
 وتكتفي هنا بالبخور والايمله فرح في بيت حقي باشا وان راح الباشا هناك ما يرجعش  
 قبل نصف الليل ونحن ساعة واحدة تكفيننا والكثير ساعتين  
 — فجلست أم حلّيمة تفكر في هذا الامر وهي تدخن سيكاره دقيقة ثم نهضت

ارها الآن

بهية — لقد كنت احلم وامني نفسي بانك تكونين لامين وامين يودك كثيراً ولكنه من حين علم مقدار الخسارة التي لحقت اياه بسببه ضعفت عزائمهُ وصغر في عيني نفسه .  
لعل الله البورصة فانها تمتت نفس الشريف وتضعف عزيمته  
استير — ان خسارته كبيرة ولكنها طفيفة بالنسبة الى ثروة ابيك وقد دفعها ابوك  
كلها ولم يقل شيئاً

بهية — لم يدفعها ابي بل دفعها ابوك عنه وحسبها علينا ولكن الا تظنين انها اثرت في ابي حتى اضعفت صحته وهي وسقطة امين كانتا سبب مرضه لا من حيث الخسارة نفسها بل من حيث نوعها فانه لو اشتغل شعلاً قانونياً يرضاه ابي ثم خسره ضعفي ما خسره الآن ما كان تألم من ذلك قدر ما تألم الآن ويخاف ابي ان يبقى امين متعلقاً بشغل البورصة ولكن لا اظن انه يكون كذلك لاني اراه في اشد الندامة على ما فعل وهو يقول ان عزرا غشهُ وانه يستحيل ان تكون خسارته بلغت هذا الحد . اولا تريد ان اقول شيئاً ضد عزرا

استير — قولي ماشئت فاني اعلم خبيته واخاف ان يكون قد فعل ما فعل بامين لكي يبعدي عنه ولكن لا بد من ان ينال جزاءه او كما يقول المثل العربي على الباغي تدور الدوائر  
بهية — انا شاعرة بشيء من ذلك فاذا لا فكر لك في عزرا ولا موسى ولا حلیم وسترين من امين غير ما تظنين بعد ان ينسى هذه الورطة التي وقع فيها . وكلمة منك  
تعمش فواده وتشدد عزيمته

فلم تقل استير شيئاً ووصلنا حينئذ الى موقف المركبات في سكة الاهرام وسامتا على كمثرات من اللواتي رأناهن هناك ثم عادتا ومرتا على بستان الحيوانات ودخلتا ومشتا فيه ولم تعودا الى الموضوع الاول الا بعد رجوعهما حينما ودعت استير بهية فان بهية قالت لها ماذا اقول لامين حين اكتب اليه . فقالت استير سلمني عليه وقولي له ان يعتني بصحته ولا يبعد ان نزل نحن الى الرمل ايضاً بعد نحو عشرة ايام وستنكلم في هذا الموضوع في فرصة أخرى ثم تعانقنا وقالت بهية لاستير تعالي ادخلي معي فاني

بهية — ولكن ابن نحن وهو في ساحة القتال  
استير — اذاً هذا هو الذي شغل بالكِ وابكاكِ ولماذا لا تكتبين اليه ليرجع حالاً  
بهية — قال انه سيرجع قريباً ولكنه ختم الحاشية التي كتبها الي بقوله ان الحالة  
لا تخلو من الخطر على حياته لانه عازم ان يزور معسكر الروس قبل رجوعه ولان الحميات  
منتشرة هناك الآن وقال انه ان رجع سالماً فهو لي ان قبلته والا فسلامته وعدمها على  
حدٍ سوى بالنسبة اليه . وقد عقبت دورا على حاشية اخيها فقالت انه دائم التفكير  
في وانه اخذ صورتي منها وهي معه دائماً . ومع ذلك اشعر يا استير كأن بلاطة على  
صدري فلقد صدق من قال ان المصائب لا تأتي فرادى . لقد اخبرتك كل شيء  
فهايتي اخبرتي انتِ فان في وجهك خبراً . هل ودّعك امين قبل ذهابه الي  
الاسكندرية وهل ما يقال عن ابن عمك صحيح

استير — نعم مرّ امين علينا وودعني وقد تغير كثيراً . وموسى اجبناهُ بالرفض  
لاني لا اميل اليه . والحق اقول لك اني لا اميل الي احد . احزري من طلبني ايضاً  
طلبني حلیم بك . هو شاب طيب جداً ولا بأس به ولكن اتستسملين ان تزوج الواحدة  
رجلاً لا من شعبها ولا من ملتها . نعم ان كثيرات يفعلن ذلك ولكن تكون الواحدة  
منهن مع زوجها كأنها غريبة عنه او تضطر الي تغيير عاداتها ومشاربها لكي توافق عاداته  
وعادات قومه ومشاربهم وهذه ليست المعيشة الزوجية التي الفناها في بيوتنا ولا هي  
المعيشة التي يجب ان تكون ولا اقول ذلك بالنسبة اليكِ والى المستر برون بل بالنسبة  
الي اذا اقترنت بابن راغب باشا

بهية — ولماذا لا يكون قولكِ بالنسبة اليّ والى هنري فان عادات قومه واطوارهم  
ابعد عنا من عادات بيت راغب باشا عنكم . ألا تظنين ان ذلك من جملة الاسباب  
التي تملق بالي ولكنني لا اعلم كيف اتغلب عليهما وتزول من فكري احياناً كثيرة واظن ان  
هذا ينطبق على قولهم في العربي عين الحب عمياء ( لانهما كانتا تتكلمان باللغة  
الفرنسوية على جاري عاتهما )

استير — هذا هو الصواب ولو كنت احب حلماً لا غضيت عن المصاعب التي

فلا بدَّ من بقائي في البيت

فخرجت بهية مع استير ولم تكادا تركبان المركبة حتى قالت استير لبهية هل كتبت اليك مس برون . فاحمرَّت وجنتا بهية وقالت نعم كتبت . كتبت مكتوباً طويلاً ما امهرها في الكتابة

استير — وماذا قالت لك عن اخيها

فنظرت بهية اليها ثم اطرقت ولم تقل شيئاً

استير — تخفين عني يا بهية

بهية — انظري في اي حال نحن امين لم يقم الا منذ يومين وابي لم يزل على حاله

وماذا اقول لك صدقيني اني كرهت الدنيا وكرهت الحياة

استير — سينتهي كل شيء على خير ويعود هنري بالسلامة . قالت ذلك باسمه

ثم ضمَّت استير اليها وقالت لها قولي لي ماذا تم بينكما

بهية — لم يتم شيء ولم يقل كلمة لابي ولا لامي وقد طلب ان يكتبني فاييت

والظاهر انه اخبر اخته وهي تكتب لي مع كل بريد وكان كلامها عموماً الا في كتابها الاخير فانها قالت لي ان هنري قلق جداً وانه يود ان يتم شغله ويعود بأسرع ما يمكن .

وتطلب مني ان اخبرها اين نحن عازمون على تمضية الصيف

استير — اهذا كل ما في مكتوبها

بهية — كلاً ولكن هنري نفسه اخذ مكتوبها وكتب لي حاشية فيه يقول فيها اني

منعته من ان يكتب لي ولكنه لا يظن ان هذا المنع يتناول ان يكتب لي حاشية في مكتوب اخته

استير — وماذا كتب اليك

بهية — كتب اليّ ما جعلني ابكي ساعتين . قالت ذلك وهطلت الدموع من عينيها

فضممتها استير الى صدرها وجعلت تقبلها وتقول لها يجب ان تشكري ربك لان ابي

يقول ان هذا الشاب من احسن الشبان الذين رأهم وابوه من الاغنياء اهل الوجاهة

وسيرث مقام ابيه لانه بكره فتصيرين لادي برون



فبراير مئة مليون ين فهل اذا استمدنا مئة مليون اخرى تكفيننا الى نهاية الحرب  
فقال ناظر البحرية ان هذا الامر لا يعمله الاّ علام الغيوب لان الفواعل في  
الحرب كثيرة جداً كما لا يخفى على حضرة الناظر واكثرها غير خاضع لارادتنا ولكننا  
بازلون غاية جهدنا في انجاز عملنا بأسرع ما يمكن

رئيس النظار — لا شبهة في ان رجالنا كلهم قاموا بما يجب عليهم لامبراطورهم  
وأمتهم . ولما ذكر لفظة امبراطور نهض النظار كلهم وقوفاً ثم جلسوا  
فقال ناظر الخارجية اصبت وكل سفرائنا يكتبون اليّ عن اعجاب الدول  
الاوربية بما فعلناه حتى الآن

وبعد محاوررة قليلة في هذا الشأن قرّر قرارهم على عقد القرض بأقل ما يمكن من  
الربا وفوضوا الى ناظر المالية عقده بعد مصادقة مجلس النواب  
القاهرة

استير — ابوك احسن جداً فقومي نخرج الى الزهة  
بهية — نعم احسن والحمد لله ويا حبذا لو خرجت أمي وبقيت انا عنده لانها لم  
تخرج من البيت منذ عشرة ايام  
استير — قولي لها فاني أودها مثل أمي تماماً واظن ان كل احد يودها لانسها  
وبساطة قلبها

بهية — اصبت ويجب ان نشكر الله لان أمي وأمك قريبتان الى القلب جداً  
ولا ادري كيف تقدر البنت ان تفارق أمها

استير — آه ما هذا وهل يخطر ببالك ان تفارقي امك ومتى والى واين . أنا  
شاعرة بذلك ولكنك لم تخبريني حتى الآن . قومي وتعالى معي واخبريني وأنا  
أخبرك شيئاً آخر

فقامت بهية وقالت لامها ان استير آتية لتخرج معها الى الزهة وانها هي تفضل ان  
تبقى مع ايها وتخرج أمها بدلاً منها . فنهبت امها وقالت لها اخرجي انت لانك  
احوج مني الى الزهة وقد ارسلت هاتم افندي حرم راغب باشا تقول انها آتية لزيارتنا

عشرة ملايين

بطرس — كيفما كانت الحال فالوقت الحاضر لا يوافق لتحريرك الثورة لان الامة كلها مجروحة ومعتاظة ولكن متى سكن المأه قليلاً وطُلبت منها اموال جديدة وجنود جديدة فحينئذ نجد من يسمع كلامنا فوافق الباقون على هذا الرأي وعلى بقاء المخابرة مع ميسر وعلى ان الغرض نفع البلاد لا غير

في طوكيو

اجتمع مجلس النظار وتليت عليهم الاخبار التاخرافية من الاميرالية وقواد الجيوش البرية فقال الجنرال الكونت تارو كيتسورا رئيس النظار لم يكن فوزنا حتى الآن اقل مما انتظرنا وقد احسن الاميرال طوغو بوضع الالغام في مدخل البوغاز وهي فكرة صائبة ولوقيل له كم تؤمل منها ما كان املاً اكثر مما نال لان غرق الاميرال ميكاروف على هذه الصورة لا بد وان يضعف عزائم الروس

فقال الدكتور يوزورو كوبوتا ناظر المعارف ألم تبد روسيا اقل ميل حتى الآن الى عقد الصلح فأجابه ناظر الخارجية ولا ينتظر منها ذلك لا سيما وان اسطولها لا يزال قوياً . وقال الجنرال مساتاكى ناظر الحربية وزد على ذلك ان بورت ارثر محصنة اقوى تحصين واذا استطعنا فتحها في شهرين او ثلاثة فيكون السعد خادماً لنا اكثر مما نتظر وعندي في قلم المخابرات ادلة قوية على ان فتحها يكاد يكون ضرباً من المحال اذا لم يقع الشقاق بين قواد حاميتها او لم نوفق الى سحق اسطولها ثم نأتيها بمدافع الحصار ونقطع سكة الحديد عنها . واما كن الجيوش البرية حصينة جداً فان الروس مستعدون لهذه الحرب من حيث الحصون والمدافع وما اشبه اكثر مما هم مستعدون من حيث عدد الجنود

وقال ناظر المالية لا بد لنا من قرض آخر قريباً ولا صعوبة في عقده على ما يباغي . فقال ناظر المعارف لقد خصصنا لهذه الحرب الاموال المتوفرة عندنا وهي نحو ٤٠ مليون بن وكل ما يزيد من احتكار التبغ وهو نحو ٦٠ مليون بن واستدناً في اوائل

سرجيوس — قال مير اننا اذا شرعنا في العمل الآن فهو يضع تحت امرنا مئة الف رو بل ومتى نفدت يضع غيرها

اولغا — لم يصدق معنا في المرة الماضية فقتل اخي الكسي وارسلت هيلانة الى سيبيريا فلادمير — ليس اللوم عليه فقد سلم الي اكثر من ستين الف رو بل ولكن الدنيا قامت علينا حينئذ

اولغا — لم تقم الدنيا علينا ولا قام احد ولكن اتته الاوامر من الذين يدفعون المال ليكف عن الدفع فسافر الى كارلسباد بحجة التداوي وتركنا نحرق اصابعنا فلادمير — كيفما كان الحال في الماضي فالفرصة الحاضرة لا تفوت ولا احد يلومنا الآن على ما نفعل لان الغرض منه النفع العام

بطرس — وهل يتوخي مير ما منه نفع عام . اليكم عن الغرور والتغريب فان قومه لا يطلبون الا نفع انفسهم ولو خربت الدنيا سرجيوس — اصبحت ولكن يتفق احيانا كثيرة ان ينفع الانسان غيره وهو يطلب نفع نفسه

بطرس — انا معك في هذا اما القيام بشورة جديدة فلا فائدة منه ما لم نضم ناراها في كل المدن الكبيرة

سرجيوس — ما دامت البلاد مستعدة لهذه الثورة فهي تنتشر فيها من نفسها ولا يُطلب منا الا ان نصب الزيت عليها اولغا — هل وضعت الخطة التي يجب السير عليها فلادمير — قبل وضع الخطة يجب ان نعرف الى اي حد يتصل استعداد مير لدفع المال

سرجيوس — رأيت منه اندفاعاً شديداً هذه النوبة ولا استغرب اذا كان يعطينا مليون رو بل

اولغا — مليون رو بل هذا لا يمكن لانه لا يملك اكثر من ذلك فلادمير — اذا اراد وكان له ولاخوانه مصلحة فلا يكتر عليهم أن يدفعوا

لا بدَّ وان تطلع عليه

و بعد بحث طويل ارسلنا اليهما تلغرافاً يقولان فيه اننا نود رجوعكما في اول  
فرصة ممكنة

في بطرس برج

سرجيوس — هل قرأتم التلغراف الذي ورد قبل الظهر

فلادمير — التلغراف الذي نشرته نظارة الحربية . من يصدّق تلغرافاتها

سرجيوس — هذا التلغراف لم تنشره حتى الآن ولكن لا بدَّ لها من نشره

اليوم لان القيصر لا بدَّ وان يأمر بجنار عن نفوس الغرقى

اولغا — اي غرقى

سرجيوس — الاميرال الاميرال ميكاروف وكل من في بارجه بترو بولسك .

غرقت البارجة بلغم مسته وهي راجعة الى بورت ارثر من مطاردة اليابانيين . مست لغماً  
من الغامنا فانفجر واغرقها بمن فيها ولكن نجا الغراندوق سرل فلا بدَّ من ان تكون  
الصلاة للترحيم على الغرقى وللشكر على نجا الغراندوق او نبدا بالشكر على نجاته ثم بالترحيم  
على المئات الذين غرقوا

اولغا — اصحيح ما تقول هل قرأت التلغراف بنفسك

سرجيوس — نعم صحيح ونحن معها كانت مقاصدنا لا يسعنا الا الحزن على ما

جرى لان الذين غرقوا اخواننا ولا ذنب لهم حتى يذهبوا ضحية سوء التدبير وقد  
اجتمعت بمير امس فاكد لي ان هذه الحرب لا تنتهي ما دامت البلاد تبني البوارج  
وترسل الفيالق وان هذه افضل فرصة لنا لمطالبة القيصر بالدستور فاذا سمح لنا بحكومة  
نيابية فالحكومة تضطره الى ابطال الحرب حالاً او الى عقد الصلح قبلما يتسع الخرق  
على الراقع ومن رأي مير اننا اذا شرعنا في التهييج من الآن لا نستطيع ان نتم عملنا  
وننال بغيثنا قبل سنة من الزمان

اولغا — الكلام سهل ولكن العمل صعب

فلادمير — ومن اين المال . فان صندوقنا يكاد يفرغ



علينا كما لا يثور بعضنا على بعض ويستحيل ان يتوخوا ابدال حكمنا بحكم الروس كما يستحيل ان يفكر اهالي ادنبرج مثلاً في ابدال حكم الانكليز بحكم غيرهم . واما اذا كنا نتمنهم ولا نعاملهم بالانصاف ولا نساويهم بنا فانهم يشورون علينا ولو ضربنا حولهم نطاقاً من الحديد . وسيكونون اقرب الى الثورة بعد فوز اليابان منهم الآن لاننا طالما حاولنا اقتاعهم بمعاملتنا لهم ان الشرقي دون الغربي ولا يمكنه ان يحكم نفسه بنفسه ويفلح فاذا فازت اليابان على دولة الروس العظيمة المحمي كل ما حاولنا ترسيخه في اذهانهم عن ضعفهم وترفعنا عليهم ورسخ فيهم اننا نحن علة تأخرهم عن مجاراة اليابانيين وتمكنت العداوة لنا من نفوسهم . وسنرى انهم هم واهالي الصين يشرعون من الآن في اقتباس طرق اليابانيين لكي يقووا مثلهم وقد نفلح في منعنا السلاح عنهم من البحر ولكن لا بدّ من ان يصل اليهم عن طريق روسيا باية واسطة كانت فلا سلامة لنا في الهند الا اذا ساوينا الهنود بانفسنا وحينئذ تصير بلاد الهند مثل كندا واستراليا ولا تبقى كما هي الآن

فضحك زوجها وقال انيت ما قال بسمارك

فقلت كلاً لم انس ما قاله عدو النساء ولا ادري كيف سكتم عنه وزمامكم كان في يد امرأة . وانا وانت على طرفي تقيض في هذا الموضوع وقد لا استطيع اقتناعك كما لا تستطيع اقتاعي ولكن ارجو ان توافقي على ارجاع ولدينا فاني ارى من كتاب دورا انها غير مسرورة ولعل صحتها ليست على ما يرام ولم نرب ابنا ليكون ضابطاً ولا قائد جيش وليس من الحكمة ان نغرر بحياته لمصلحة مالية فان كان ذهابه لغاية سياسية فقد قضاه ومكتابة الجريدة امر يستطيعه كل احد ولذلك ارى من الحكمة بل من الواجب ان نرسل اليهما تلغرافاً ليحضرا حالاً

فقال سكتني روعك فاني اظن انهما يستاءان جداً اذا طلبنا منهما الرجوع الآن فقلت نطلب منهما الرجوع ولا نلج بل نترك لهما التصرف المطلق كأن نقول لهما اننا نفضل رجوعكما سريعاً

فقال ان تلغرافاً مثل هذا يتلقهما ويقلق غيرهما لان ادارة المخابرات اليابانية

الاشمئزاز كما دنت منهم او دنا منهم غيرها من الممرضات الاورنيات ولا سيما لما علمت انهم يفعلون ذلك انفةً لانهم يدعون ان للاوربيين راحة كريمة . اما الجرحى الروسيون فكانوا على غاية الوداعة ورأت في نفسها ميلاً اليهم اكثر من ميلها الى اليابانيين وسمعت ضابطاً منهم يتكلم الانكليزية فاخبرها انهم مسوقون الى هذه الحرب على غير رضاهم وان اكثر اخوانه يجولون مقدره اليابانيين واما هو فلا يجباها ولكنه صغير لا يسمع احد قوله . وخطمت كتابها بتطمين والدبها عنها وعن اخيها وبحت ايها تلى بذل الجهد في ما يقرب عقد الصالح حجباً للدماء ودفعاً لهذه الولايات

لما آتت لادي برون قراءة الكتابين التفتت الى زوجها وقالت له ما ظنك يا ادورد هل تطول هذه الحرب وهل يُسفك فيها كثير من الدماء فقال هذا هو المرجح عند الذين يوثق بعلمهم . ويُقال ان السنة تنقضي ولا تنقضي الحرب لان روسيا لا تسلم اذا انكسرت ولا تسلم اذا انتصرت فقالت وهل تستطيع اليابان ان تستمر على تعبئة الجنود ومداومة القتال . فقال نعم تستطيع ذلك على ما يظهر واصدقائها يساعدها بالمال ان لم يستطيعوا ان يساعدها بالرجال

فقالت بئس العمل و بئس المساعدة تساعد الناس حتى يقتل بعضهم بعضاً فقال لقد قلت لك مراراً يا ادث ان سلامة امبراطوريتنا تتوقف على اضعافنا الروس لان انظارهم طامحة الى الهند وقد اهتم القائد العام بتقوية الجيش الهندي وتسهيل طرق النقل والمواصلات ولكنه مها قواه ومها سهل له الانضمام ببقى دون الجيش الذي يسهل على روسيا ان تضرب الهند به . واذا استطاعت روسيا ان توقد نار الثورة في تلك البلاد نجيشنا لا يكون لاختادها فكيف نلقى به ثمئة الف او اربع مئة الف من الجنود الذين تستطيع ان ترسلهم الى الهند . فحياتنا وموتنا كامة عظيمة يتوقفان على هذه الحرب

فقالت الظاهر انك تنسى ان ثبوت اقدامنا في بلاد الهند يتوقف على حسن ادارتنا لها فاذا احسننا ادارتها وتمامنا الهنود كاخوان لنا كأنا وياهم رعية ملك واحد فلا يشورون

جمع من ضروب الزخارف والسخائف ما يكلُّ القلم عن وصفه ولا ادري لماذا يجب هؤلاء المشاركة تقليد الغربيين في ما لا يحسنون اتقانه ولا تقليده وعندهم من فنون الصناعة الخاصة بهم ما يحقُّ لكل امة ان تفاخر به حتى اليابانيين تجدد في غرفهم آنية وامتعة فرنسية او انكليزية مما نحسبه تحت الوسط والى جانبها امتعة يابانية نفتخر لو رأينا شيئاً منها في اكبر متاحفنا . ولم اتسرف بمقابلة امبراطور كوريا ولكنني رأيتُه عن بعدٍ

وسرت مع الجيش الى ان بلغنا الحدود الفاصلة بين كوريا ومنشوريا وقد اخبرتمك تلغرافياً بالمناوشات القليلة التي وقعت في اثناء الطريق ولا اقدر ان اصف لكم مقدار اعتناء القواد والضباط بالجنود وسهرهم على راحتهم . وانا اجتمع مراراً بمندوبنا الحربي وهو يقول لي ان نظام الجيش تام وبسالته تفوق الوصف ويظهر ان ادارة المحابر عندهم بلغت غاية ما وراءها غاية فانها رسمت للجيش خرائط يرون فيها كل طريق وشعب ونهر وجدول وينبوع ومرتفع ومنخفض فضلاً عن المدن والقرى والمزارع . وادارة اللوازم والتشبهيلات لم تترك شيئاً مما يحتاج الجيش اليه . ولا ضابط الا وفي يده نظارة يرى بها عن بعد وعلى ذراع ساعة وحكُّ ليعرف الوقت والجهات ومع كل جندي تذاكر يكتب في التذكرة منها كلمتين ويضعها في صندوق البريد فيرسلها الى اهله . وطعامهم ساذج ولكنه كافٍ ومغذٍ . والغريب من امرهم وامر ضباطهم انهم لا يسكرون ابداً وقلما يشربون شيئاً من المسكر واظن انه لو لم تكن بينهم ما كانوا يذوقون مسكراً ولكنهم يحسبون الشرب من مجاملتنا فيشربون معنا قليلاً من الوسكي او من الشبانيا

وكتاب هنري طويل واكثره على هذا النسق . اما كتاب دورا فمختصر لانها اصيبت بزكام شديد وهي في بلاد كوريا وكتبت كتاباً مسهباً عن بلاد اليابان قبل مغادرتها لها . وقد رأت من ويلات الحرب في من مرَّضتهم من جرحى الروس واليابانيين ما جعلها تحنق على الذين ساعدوا في اثارة هذه الحرب او لهم اقل مشاركة فيها ولم تكن تبرِّر اباها من ذلك ولو لم تكن تودُّ البقاء بالقرب من اخيها لتركت التمريض والمرضى وعادت الى بلادها . وقد غاظنا من الجرحى اليابانيين انهم كانوا يظهرن

وجلس السر ادورد برون وزوجته في مكتبه وقرأ كتابين واردين عليهما من ولديهما من دار الحرب فان التفرقات كانت ترد منهما تباعاً ولا سيما من هنري ولكن لا يذكر فيها الا اخبار موجزة واما هذان الكتابان ففيهما تفاصيل لا تحتملها الرسائل البرقية كان هنري قد انضم الى الجنرال كروكي كمكاتب حربى وسارت دورا مع جمعية الصليب الاحمر لتمريض الجرحى فكتبنا يصفان ما لقيه في كوريا

قال هنري وصفت لكم في كتابي السابق ما لقيته في اليابان من الخفاوة والاكرام واني سأتشرف بمقابلة الامبراطور وقد حدث ذلك يوم سفري ولما ذكر السفير اسمي واسمك يا ابي واسم لندن نيوز كرر الامبراطور اسمي ورحب بي وسألني كيف وجدت بلاد اليابان ورجالي طيب الاقامة فيها وقال انه مديون لنا وللأمة الانكليزية عموماً . وظهري من حديثه انه عارف بمشترى الطرادين . ولم تطل مدة المقابلة الا خمس دقائق لكثرة الاشغال والمهام ولما ودعت جلالتة قال لي انه لا ينسى اسمي واسم ابي فقال له السفير انني سائر الى دار القتال فوقف حينئذ مفكراً وهو ينظر الي تارة والى السفير اخرى كأنه استغرب ذلك ثم قال سنوصي ناظر الحربية اذا اكي يعتني بك اعتناء خاصاً وعسى ان لا نسمع منك وعنيك الا كل ما يسر ونحن واثقون بالنصر لاننا اصحاب الحق الذي لا نزاع فيه والحق يقوي اصحابه ويشدد عزائمهم والبغي مرتع وخيم ولكن ليس من السهل ان يقيم الانسان على بساط الراحة مثلي واولاده كلهم في ساحة القتال . ثم شد يدي وخرجت وانا شاعر كأنني فارقت ابا شفوفاً والحق ان رعيته كلها تنظر اليه كما تنظر الى ابيها بل الى معبودها . والكلام الاخير الذي كلمني به عن قيام الانسان على بساط الراحة واولاده في ساحة القتال كرهه او كرر مثله باللغة اليابانية واطن انه ترتم بشعر نظمه حديثاً لانه من الشعراء المعدودين بل هو ابغ شاعر في بلاد اليابان والناس يحفظون اشعاره ويترنمون بها واكثرها يدل على حبه لرعيته وكرهه لكل ما يسوؤها وسهره عليها سهر الوالد على اولاده

وتشرفت دورا بمقابلة الامبراطورة ولا بد من ان تصف لكم ما لقيته منها ثم سافرنا كلانا في سفينة حربية الى كوريا ودخلنا سيول العاصمة وشاهدنا قصر الامبراطور وقد



الاموال التي تنفق توزع عليهم . وخيرات الارض كثيرة في بلاد الروس وكوريا  
ومنشوريا واليابان فيستخرجها اهل الزراعة والصناعة ولا يعطون اصحاب الديون الا  
جانباً صغيراً من ربحهم فان المئة والخمسين مليوناً من الجنيهات لا يزيد رباها على عشرة  
ملايين في السنة مهما كان فاحشاً وهي اذا وزعناها على مئتي مليون سكان روسيا  
ومنشوريا وكوريا واليابان لم يلحق النفس منهم سوى شلن واحد  
الثالث — ليس هذا بالشيء الذي يذكر وما منهم الا وهو يحرق تبعاً او افيوناً  
باضعاف اضعاف ذلك

الثاني — اذا نحن متفقون على ان نمدّ اليابان بما تحتاج اليه من المال  
الاول — نعم ولكن لا يحسن بنا ان نفعل ذلك مع الروس الآن لانه لا بد لنا  
من اضعاف روسيا باية واسطة كانت حتى لا تقوى على اليابان وحتى تضطر اخيراً الى عقد  
الصلح ودفع الغرامة فنقرضها الغرامة عن طيب نفس بعد ان نأخذ عليها الضمانات الكافية  
الثالث — هل منعنا المال عنها الآن يكفي لاضعافها وجعلها تطلب الصالح  
الاول — لا اظن لان جيراننا الفرنسيين قد يغترون بمواعيدها ويمدونها بالمال  
او تلجأ هي الى المثل والتمهق البطية وترك اليابانيين في قفار سيبيريا القاحلة فلا بد  
لنا من واسطة فعالة الواسطة القديمة المعروفة التي الجأنا بها فرنسا الى طلب الصلح من  
المانيا وهي الثورة الداخلية وهذه امرها جار على ما يرام فان اجراءنا منتشرون في كل  
مكان ليحرضوا عليها ولم تنفق عليهم حتى الآن الا جزءاً مما بجناه وهب اننا انفقنا عليهم  
كل ما ربحناه فالربح الواصل يكفينا . نعم لا بد من الثورة الداخلية بحجة طلب الدستور  
او بآية حجة كانت حتى تضطر الحكومة الى عقد الصلح بالشروط التي تشترط عليها  
الثاني — اذا لا بد من الانتظار الى ما بعد استفحال الثورة  
الاول — نعم والى ما بعد سقوط بورت ارثر واندحار الجيوش في منشوريا والتغلب  
على الاسطول الروسي كله وقد يقتضي ذلك كله سنة اخرى من الآن ولكن ما هي  
السنة وما هي السنوات في حياة الامم

الاولى اضعفت الاسطول الروسي الذي في الشرق الاقصى وهو اكثر من نصف الاساطيل الروسية كلها فصار اضعف من الاسطول الياباني واذا تساوى الفريقان في العلم والمهارة والحماسة ( وهذا بعيد على ما علمته من الواقفين على حقائق الامور لان اليابانيين يفوقون الروسين في كل ذلك ) اذا تساوى الفريقان فلاستطول الياباني صار اقوى من الاسطول الروسي فان التقى الخصمان في عرض البحر كما لا بدّ من ان يلتقيا يوماً فالغوز للاسطول الياباني . وجاء غرق البارجة بتروبولسك التي غرقت في ١٣ الماضي ( ابريل ) وغرق فيها الاميرال ميكاروف قائد الاسطول كله ومحبي الحماسة في صدور رجاله ضربة قاضية على الروس لانها اضعقتهم مادياً وادبياً . والظاهر انهم ليسوا في البر النجح منهم في البحر لان الجنرال كروكي هزم جناح الجيش الروسي الايسر على ضفاف نهر يالو

فالتفت اليه المالي الثاني وقال هل يظن اصحابنا ان الحرب تنتهي قريباً  
لورد بنشيلد — كلاً ولا ينتظر الآن انها تنتهي في سنة من الزمان وحرب مثل هذه يجب ان تدوم سنة او سنتين نعم انه يستهلك في السنة الواحدة الآن قدر ما كان يستهلك في عشر سنوات ولكن المتفهمين من الحروب صاروا كثيراً فلا يصل النفع الى كل منهم الا اذا اكثر مقداره جداً الا ترى ان هؤلاء الايركيين يتعاملون بالملايين كما تعامل نحن بالالوف فلا بدّ من ان تكبر اللقمة لكي تشبع الجميع

الثالث — كم تبلغ نفقات كل من الخصمين قبل انتهاء القتال على ما تظن  
لورد بنشيلد — يظهر لي قياساً على حرب الترنسفل وحرب فرنسا وبروسيا ان نفقات كل من المتحاربين ستبلغ مئة مليون جنيه ان لم تزد عليها ثم لا بدّ للدولة الغالبة من ان تأخذ غرامة من الدولة المغلوبة فاذا فرضنا انها مئة مليون جنيه ان لم تكن مئتين فلا تنتهي الحرب وتضع اوزارها ما لم ينفق فيها وعليها ثلثمائة مليون من الجنهيات نصفها من بلاد المتحاربين ونصفها دين على الفريقين ولا ندينهم اياه باقل من خمسة اوسمة في المئة ونزيج بصعود الاسعار وهبوطها ما دامت الحرب سجالات ثم نبقى من سنداتنا في ايدينا قدر ما نشاء . وسيربح كل اصحاب المعامل والبواخر والتجار والمترمين لان

زوجها في ساحة القتال شيئاً يعش فؤاده من مأكل او مشرب . والطبيب يمشي تحت الرصاص ليجد جريحاً يضمده جراحه . والمرضة تسهر الليل ولا هم لها الا تخفيف آلام الجرحى وتعميض عيون القتلى . والامة كلها شاخصة العيون فاعرة الافواه مفتوحة الآذان تنتظر خبراً من دار الحرب يذهب ببعض كرتها . ترى ارباب الاموال والذين ينتفعون من الحروب بعمل آلاتها والتزام الميرة والاسلحة لها لا يهمهم سوى ملء جيوبهم من النضار الذي بيعت به الارواح بيع السماح

نشبت هذه الحرب بين الروس واليابان والسبب الظاهر الذي يذكره الخصمان ويفخران به ان الواحدة تطالب منفذاً لتجارتهما في اقاصي المشرق ولو لم يكن لها هناك تجارة تذكر والثانية تخشى ان تناظرها لاولى وتضيق خناقها وتمنع شعبها عن المهاجرة الى بلاد قريبة منها ولا بد لها من الارتزاق فيها . والسبب الباطن بل سبب الاسباب ان خزائن المالين في اوربا فاضت بالنضار وفي بلاد الروس مئة وثلاثون مليوناً من النفوس وفي اليابان وكوريا ومنشوريا نحو سبعين مليوناً وكلهم ديونهم العمومية قليلة ويستطيعون ان يعطوا من عرق جبينهم اكثر مما يعطون الآن فعلى م لا يستدينون الاموال من اولئك الاغنياء بالربا الفاحش وتتقيد دولهم بدفع رباها السنين الطوال والاموال التي يستدينونها تحرق باروداً وتغرق بوارج ولو ذهبت معها المهج وذابت بها النفوس

نسير بالقارئ الآن الى اربع عواصم وهي لندن وبترس برج وطوكيو والقاهرة ونسمع ما يقال فيها مما يتعلق بموضوع روايتنا

لندن

جلس كبار المالين الثلاثة في الغرفة الفاخرة الاثاث والرياش التي تدفئها انايب الهواء السخن في اوقات البرد وتبردها المراوح الكهربية في اوقات الحر وتتصل بها اسلاك التلغراف والتلفون ممدودة الى اكثر العواصم الاوربية والاميركية . ووضع احدهم وهو لورد بنشيلد رجلاً فوق اخرى وادار كرسية قليلاً وانحنى الى الوراء وهو ينظر الى السقف وينفخ الدخان من فيه ثم قال فازت اليابان برّاً وبحراً فان الضربة

لهذا الخبز بل تظاهر كأنه لا يهتم به اما هي فلم يخفَ عليها ذلك لانها كانت تراقب وجهه لما اخبرته . والحيوان الاعجم يفهم ما يدور في خاطر الانسان من مراقبة وجهه فلا عجب اذا فهمه الانسان

## الفصل الخامس والعشرون

### دار الحرب

الناس والواحد منهم تشبهه كسرة من الخبز او حفنة من الارز مع قليل من الزيت والدهن وشيء من اثمار الارض وبقولها ويستريح به قليل من القطن والصوف . وهو اذا عمل الارض واستثمرها ورعى المواشي واحتلبها وصاد السمك والطير نال منها ما يقوم بمعيشته ومعيشة زوجته واولاده وزاد معه ما يكفي نفقة للباحثين عن نواميس الكون وقوى العقل واسباب الامراض والآفات والمذنبين يهجون العين ويطربون الاذن ويسطون النفس وينعشون العواطف والاميال — نشأت منهم فئة لا تقنع بما قسم لها مما يكفيها ويفنيها بل تراها دائماً في طمع وجشع لا تروى ولا تشبع كالحوت لا يرويه شيء يلهمه يصبح ظمأنا وفي البحر فمه

وهي ترى الحياة الدنيا دار غربة والمرء فيها على سفر والقليل يشبهه كالكثير . والصحة والمرض والراحة والتعب والسرور والكدر لا تتوقف على كثرة المال وقلته . ومع ذلك لاهم لها الا تسخير الناس وايقاع بعضهم في بعض لاخذ ما في ايديهم ولو استلحم بعضهم بعضاً ونهكت قواهم من التعب ويديست السنتم من الظلم وتقطعت اوصالهم من الجراح ونزفت الدماء من عروقهم وذاقوا الموت اشكالا والواناً

وهذه الفئة قديمة في الدنيا لم يخل منها عصر من عصور التاريخ قام منها الملك والكاهن والقائد والوزير وتكاد تنحصر الآن في ارباب الاموال والذين على شاكلتهم من كل منتفع بضرر غيره ولو ملكاً عظيم الشأن . فقد صممت آذانهم عن عويل اليتيم والارملة ووقرت عن نوح الثاكل وانين الجريح فلا تسمع الأرنه الدينار وصوت المتنادي بارتفاع الاسعار . فيينا ترى الزوجة تقتر على نفسها واولادها لكي ترسل الى



من بيت واصف بك ففضله الخواجه لافي واذا هو من بهية تطلب فيه منه ان يحضر حالاً ويرى اباه لان الخاطر قد اشتد عليه فقام لساعته وذهب الى بيت واصف بك وودت استير ان تذهب معه وترى بهية لكنها راعت ضيفهم واضطرت الى البقاء في البيت

واجتمعت زين الدار بقدم خير بعدئذ فقالت لها شفت الخواجا موسى ويا ستي استير والسنت الكبيرة طالعين للنزهة صار حاجة قدم خير — لا ابن عمهم وجاي من برّا ولكن شايغه لك انه ما عادش نصيب للخواجا عزرا

زين الدار في حاجه جديده  
قدم خير — البارح كان الابوكاتوا احمد باي عندنا وسمعه عبدو لما دخل القهوة يقول انهم ييدخلوا الخواجا عزرا في القضية وبيحكموا عليه  
زين الدار — اي قضية

قدم خير — قضية الطلياني  
زين الدار — بيحكموا عليه عمل ايه ومالوا ومال الطلياني  
قدم خير — اهو اللي سمعتو بس لا تقوليش حاجه عن لساني . ولكن ستي استير مش قد كدا وانا شايغه لك ان الخواجا موسى داري ان ستي استير ما تملوش كثير ولكن اهو بدها ترضي أمها والسلام

زين الدار — وبتقلق ايه لما تعريضليها بذكر سيدي عزرا  
قدم خير — لساها على حالها لو شفت منها ادني ميل كنت اقل لك  
زين الدار — سيدي عزرا مشيع لك هانخاتم اهو ذهب وقلبه فيروز  
قدم خير — قولي اني بخدمو بعيني تعالي لي باكر حتى اقل لك جرى ايه  
وعادت زين الدار واخبرت عزرا بما سمعته من قدم خير فزاد انشغال باله وكان قد سمع من بعض اصداقائه ما يؤيد ذلك ولكنه لم يشأ ان يظهر امامها الاكثر

روز — ايه ايه ما هذا يا مدموازل اتفضلين مصر على لندن اسمع يا مسيو موسى

ام استير — الشتاء في مصر والصيف في اوربا في بلاد الانكليز او غيرها

روز — هذا عدل ومدم لاقني حكمت بالعدل

يوسف — ذهبت اليوم لاودع احد اصدقائي فوجدت القطار مملوءا حتى اضطرت

مصاحبة سكة الحديد ان تقم قطاراً آخر بعد الاكبرس واظن ان اللوكندات تفرغ

في هذين اليومين

الخواجه لاقني — كان عدد السياح هذه السنة كثيراً اكثر مما كان في السنين الماضية

مدم لاقني — ولكن اللوكندات ما وزعت علينا ربحاً حتى الآن

يوسف — ستوزع عشرة في المئة

الخواجه لاقني — لا اظن وليكنها توزع ثمانية في المئة

روز — براشو

استير — الظاهر ان عندك اسهماً كثيرة منها

روز — كان عندي واشتريت النفي سهم من اول الفصل لما رأيت كثرة السياح

استير — ماذا تعملين لنا من الربح

روز — مثلما عمل لنا ابوك من اطيان الصعيد والشركة الجديدة

يوسف — ألم يعطك من اسهم التأسيس

روز — اعطاني نعم اعطاني ولكن من الجمل اذنه كما يقول اولاد العرب

الخواجه لاقني — اذاً انت حاقدة علينا يا ستي روز

روز — انا لا احقد على احد ولكن اللوم على خالتي

مدم لاقني — كتب اسمك في رأس القائمة ومن يستطيع ان ينسى روز

روز — مرسي مرسي

موسى — ما هي هذه الشركة الجديدة اظن اني لم اسمع عنها

فاخذ الخواجه لاقني يشرحها له وكان كلامهم باللغة الفرنسية تتخلله عبارات

عربية ولم يكادوا يتمون الطعام حتى دخل الخادم ويده كتاب للخواجه لاقني قال انه

فقات استير اذا سيضيع عليه العشاء على كل حال  
روز — هذا كلام لا يسلك علينا . ما قولك يا مسيو  
موسى — ان الانسان يستطيع ان يتمتع حاستين في وقت واحد النظر والذوق  
فسرّت مدام لاثي بجوابه وقالت اذاً ما عدت اخاف ان يذهب تعبي في تدبير  
العشاء سدّي

روز — وبترتيب المائدة ايضاً  
مدام لاثي — ليس لي فضل في ذلك بل الفضل كله لاستير  
روز — هذا اليق شيء بالمداموازل من اين هذا الورد ما اجمل منظره وما اطيب  
رائحته

استير — لم يكن الورد كثيراً هذه السنة حسب العادة لان تأخر البرد اضرّ به  
روز — اين البرد في مصر البرد في بلاد الانكليز كيف وجدت الطقس عندنا  
يا مسيو موسى

موسى — لا يمكن ان يكون اجمل من ذلك الآن اما يوم وصولي فكان البرد  
شديداً مثلما يكون في بلاد الانكليز

الخواجه لاثي — اظن انه سيشتدّ الحر غداً وقد ابتدأت ايام الخماسين  
يوسف — قرأت اليوم ان درجة الحرارة في الخرطوم خمس واربعون  
موسى — خمس واربعون هذا لا يطاق فكيف يعيش الناس هناك

الخواجه لاثي — الحر شديد ولكن الهواء جاف جداً وقد اخبرني الشيخ احمد  
اليوم ان درجة الحرارة بلغت في اصوان في الاسبوع الماضي ٤٢ ومع ذلك كانت  
محمّلة جداً الشدة جفاف الهواء وكيفما كان الحال لا ننكر ان هذه البلاد حارة جداً  
موسى — انا لم انس حرها ولا اصدق متى اعود الى بلاد الانكليز فاني اتعب  
من الحرّ جداً واطن ان مدموازل استير مثلي

استير — اما انا فلا اتعب من الحر قدر ما اتعب من البرد وافضل مصر وحرارتها  
على لندن وبردها

فصمتت استير ثم تبسمت ثانية وقالت لها مالنا ولهذا الموضوع الآن سنتكلم فيه في وقت آخر ثم قبلتها وغيرت الحديث وودعتها بعد حين وانصرفت على جاري عاداتها . ورات ان لا بد لها من ان تخبر اباهما بمخالصة ما توقع حالاً لان ابن عمها كان مدعواً للعشاء عندهم تلك الليلة وكان ابوها وامها يلجآن عليها لكي تقترن به وقد دعياه ليجلس قبيل الغروب ويخرج معها ومع امها للنزهة ويأخذ الجواب منهم تلك الليلة . وشاع على السنة المعارف والجيران انه خطبها وسيقترن بها بعد قليل ولم يبلغ ذلك بيت راغب باشا لانشغال بلهم بابتهم . ولما اخبرت اباهما بما قالته حليمة قال لها افعلي حسب ما يرشدك قلبك اما حلیم فسيرته على احسن ما يكون . فزادها ذلك قلقاً لانها كانت تفضل ان يكون ابوها مساعداً لها في الاختيار لا ان يلقي الحمل كله عليها ولم تكن تعتد برأي امها كثيراً مع احترامها لها

وجاء موسى في الوقت المعين وخرجت استير واماها معه للنزهة في مركبتهما الكبيرة واقاموا الى ما بعد الغروب ثم عادتا به الى البيت الذي كان نازلاً فيه لكي يلبس للسهرة ويأتي للعشاء وكانت الاحاديث عادية ولم يتكلم موسى مع استير على انفراد . وحضر وقت العشاء وجلست استير الى جانبه على المائدة ولم يكن طلق اللسان قوي البداهة فكه الحديث حتى يجذب النساء بطلاقة لسانه وفكاهة حديثه ولكنه كان كثير المطالعة واسع الخبرة عارفاً بالاحوال المالية غير قليل الامام بالمعارف التاريخية والطبيعية واتت معه السيدة روز ابنة اخت لاثي وهي نصف اي عمرها نحو اربعين سنة قتل خطيبها في الاسكندرية في بدء الحوادث العراقية فحزنت عليه حزناً مفرطاً وابت التزوج بعده مع انها جميلة المنظر وعلى ثروة طائلة وحاول ذورها صرفها عن هذا العزم فلم تنصرف وكانت طلقة اللسان اذا حضرت في مجلس فيكون اكثر الحديث لها ومعها ومتى قيل في مجامعهم ستي روز عرف الكل انها هي المرادة دون غيرها . وكانت جالسة عن يمين مدام لاثي امام الخواجه موسى واستير فنظرت اليهما وقالت من رتب مجالسنا على المائدة على هذه الصورة فقد احسن الترتيب لانه لو جلس المسيو موسى امام مدام وازل استير اضاع عليه العشاء وشبع من النظر



ينظران اليها كأكبر معزٍ لابتها وكأن حليم بك يدخل غرفة اخته مراراً كل يوم ويرى استير ويندهش من جمالها وطلاقة وجهها والذكاء البادي من عينيها ولا سيما حينما تكلمه بالعربية وتستشهد له أحياناً ببديت من الشعر وهي تفعل ذلك من غير دلٍّ كأنه أمر اعتيادي ففهم بها . ولما زارهم الشيخ أحمد صباح ذلك اليوم خرج حليم معه وأعرب له عن حبه لاستير وسأله عن رأيه في ذلك فقال له هذا الذي ظننته من أول الأمر وانت تخفي عني أما أنا فلا أعرف فتاة أذكى منها عقلاً وأقدر على إدارة البيوت ويظهر لي أن أباهما يجري على طرق الأفرنج ولا يمنع أن تكشفها أنت بما في نفسك

فقال هذا أمر لا استطيعه ولا أكاد استطيع الكلام أمامها

فقال الشيخ إذاً دع حليمة تفأتمها في ذلك ولو على سبيل التمني فتقف على أفكارها فقال هذا رأي حسن وعاد وأخبر اخته بذلك وكلم أمه فلم تسرّ به لأنها كانت تريد أن تزوجه واحدة من نسيباتها ولأنها استقبحت أن يتزوج يهودية مع حبها لاستير وأكرامها لها . أما حليمة فرأت أنه عين الصواب وبعد جدال طويل رضيت أمه أن تترك الحكم في هذه المسألة لأبيه فقام لساعته ومضى وأخبر أباهُ فرأه أميل من أمه واستحسن رأي الشيخ أحمد ولكنه رجح أن استير لا يقبل لأنها مترية تربية أجنبية محضة . وعاد حليم وطلب من اخته أن تفأتم استير بذلك . فلما أتت استير لعيادتها بعد الظهر واستقرّ بها الجلوس تفرست حليمة في وجهها طويلاً ثم طلبت منها أن تقترب اليها وضممتها إلى صدرها وقالت لها أه يا استير لو كنت تعلمين مقدار محبتي لك وليس محبتي أنا وحدي بل محبة كل أهلي هل تعديني أن تبقي في مصر هل تعديني أن تبقي قريبة مني لكي أراك كل يوم آه لو كنت تقبلين رجائي ورجاء كل الذين يحبونك من أهلي وتكونين مكاني في هذا البيت أنا أوكد أن أخي يحبك كما أحبك أنا فهل يرضيك ذلك قولي لي قولي هل يمكننا أن نرجو ذلك منك

فتبسمت استير وقالت لها ألا ترين أنني آتي كل يوم وأراك ولكن بعد أن تتزوجي

ربما لا يريد زوجك أن أزورك كل يوم

حليمة - لماذا غيرت الموضوع لماذا لا تجيبيني صريحاً على سؤالى الأول

القطن على حاله فلا أسعار ترتفع ايضاً واذا هبط كثيراً فلا يبعد ان تهبط لان كثيرين يضطرون ان يبيعوا اطيانهم والمصيبة على المديون اما الذي ليس عليه دين فهو سلطان زمانه ولا خوف عليه لان ايراد الاطيان يكفي اصحابها مهما كان

الشيخ احمد - صدقت صدقت

ودخلت استير حينئذ فسلمت على الشيخ مصالحةً وسألته عن سفره وقالت انها آتية من بيت راغب باشا وان جرح حليلة يكاد يبرأ فقال الشيخ نعم وقد ذهبت الى هناك في الصباح وسألت عنها ورأيت حلیم بك فقال ان الطيب يطمنهم كثيراً عنها وان جودة صحتها وسلامة جسمها من الآفات ساعدتا على شفاؤها ولكنها لا تستطيع ان تحرك يدها حتى الآن وربما يبقى فيها شيء من اليبوسة والظاهر ان نجم الدين ادعى الجنون او اهله ادعوا انه مجنون وطلبوا وضعه في مستشفى المجازيب فاذا ثبت ذلك خالص من العقاب

استير - مجنون هذا ولد ردي خبيث اتى متعمداً قاصداً قتلها واخبر كثيرين بذلك وكانت لنا ساعة يا استاذ لا ارانا الله مثلها ومن الغريب ان الرجال كلهم وقفوا كلالصنام واؤكد لك اني لو لم ار انه يجب ان اهتم بحليلة واما لكنت لحقته بنفسي وكسرت رأسه

قالت ذلك واحمررت وجنتاها وقرعت الارض بشمسيتها حتى كادت تكسرها . ثم دارت الى ايها وكتبته بالاطالية كلاماً لم يفهمه الشيخ ولكنه استدل منه على امر هام ثم ودعت الشيخ وعادت الى مراكبتها . وتكلم الشيخ مع الخواجه لاثي في بعض الاشغال الخصوصية ثم ودعه وانصرف

وجلس الخواجه لاثي بعد انصراف الشيخ احمد يفكر في ماقالته له ابنته فان حليلة كانت تحب استير وقد زاد حبها لها بعد ما رآته من تعلقها بها من حين رميت بالرصاص وكانت استير تعودها كل يوم ونحو عليها حنو الوالدة على ابنتها حتى ان الاطباء والمرضات صاروا يرون انها اقدر منهم كلهم على تمريرها وتسليمها وانهاض قواها ولم يمد يدها لحليلة عيش الا واستير معها . وتعلقت بها ام حليلة وابوها فصارا

يأخذون اموالها ويبيعون رجالها ونساءها عبيداً لكي يكتسبوا من ذلك واذا امكنتك ان تحلل وتشرح كل ما حدث في الدنيا من الحروب منذ مئة سنة الى الآن بل منذ اقدم ازمة التاريخ الى الآن رأيت ان للمصالح المالية الشأن الاكبر فيه ولكن لارجع الى سياحتك يا شيخ كيف وجدت الصعيد

الشيخ احمد — على غاية . الارض كلها بساط من الزرجد بل من الزمرد لشدة اخضرار زرعها وقد شرع اهالي المدرجات الوسطى في زرع القطن وستكون سنة خير ان شاء الله رغمًا عن انخفاض النيل لان الخزان يسد العجز ويزيد عليه وقد اذهلني ارتفاع اسعار الاطيان فان احد معارفي اشترى نحو خمس مئة فدان من شركة الدائرة السنية ولم يدفع حتى الآن الا نحو عشر ثمنها وقد اعطي ربحاً عشرة آلاف جنيه فلم يقبل ولا يبعد ان يعطى خمسة عشر الفاً او عشرين الفاً . ولو ابقت الشركة على اطيانها الى الآن لتضاعف ربحها منها

الخواجه لاثي — اصبحت وهذا كان غرضنا من الاول ولكنهم الزمنوا ان نجزيء الاطيان ونبيعها وما كنا نظن ان الاسعار تبلغ هذا الحد ولو ظننا ذلك لكننا اشترينا نحن انفسنا وما تركنا البيعات الكبيرة . على ان هذا الارتفاع لا يستمر طويلاً الا اذا بقيت اسعار القطن مرتفعة فاذا هبطت كثيراً اضطر الناس ان يبيعوا الغلي بالرخيص ففي العام الماضي بلغ ثمن القطن المصري نحو ثمانية عشر مليون جنيه وبلغت صادرات القطر كلها نحو عشرين مليون جنيه فاذا هبط ثمن قنطار القطن جنياً فعاد الى جنينين ونصف مثلاً وهذا غير مستحيل قلت قيمة الصادرات ستمة ملايين جنيه فيخسرها القطر ولا يقدر ان يستعويض عنها غيرها لان قيمة وارادته اكثر من ستة عشر مليوناً من الجنينيات وعليه فوائد من ديونه وديون الحكومة نحو خمسة ملايين من الجنينيات فاذا جمعنا ثمن صادراته وما ينفقه السياح فيه سنوياً لم يزد المجموع على ما يجب عليه ان يدفعه ثمن وارادته وفوائده ديونه

الشيخ احمد — فهل رأيت اذاً ان ثمن الاطيان سيهبط

الخواجه لاثي — هذا يتوقف على ثمن القطن او على محصول اميركا فاذا بقي ثمن

لا تكفيها اكثر من سنة . اتعرف كم صرفت انكلترا على حرب الترانسفال صرفت  
اكثر من مئتي مليون جنيه

الشيخ احمد — ولكن الأبخشى من نشوب حرب عمومية اذا قامت فرنسا لمساعدة روسيا  
الخواجه لافي — لقد خفنا ذلك في الشهر الماضي ولكن حكمة انكلترا فضت هذا  
المشكل وما دام الامر في يد المايلين فلا خوف من انهم يسمحون بشيء يعطل اعمالهم  
ويخسرهم اموالهم . ولا وزير في اوربا الآن الا وله مصالح مالية يخاف عليها ويسعى  
في تكثير مكاسبها بالحروب البعيدة لا ضرر منها عليه بل منها ربح له ولا سيما اذا كان  
له اشتراك في المعامل التي تبني البوارج او تسبك المدافع او تصنع البنادق او تمتلك  
سفن النقل او كان عنده سندات من دين الدولة التي ينتظر ان يكون الفوز لها . وكل  
احد يسمى لمصلحته والملوك انفسهم لا يأنفون الآن من الاشتراك في الاعمال التجارية  
التي من هذا القبيل ولا سيما بعد ان رأوا القوة للمال وان الواحد من رعاياهم يولد فقيراً  
لا يملك شيئاً ثم يصير اغني منهم ويصير دخله السنوي اضعاف المال المقطوع لهم .  
هذا ملك الانكليز راتبه السنوي نحو نصف مليون جنيه وبين رعيته رجل لم يكن  
يملك شيئاً في صباه فصار دخله السنوي الآن نحو خمسة ملايين من الجنيهات اي  
عشرة اضعاف ما يأخذه الملك من بلاده . وعلى الملوك نفقات كثيرة ولهم اولاد يجب  
عليهم ان يهتموا بمستقبلهم ولم تعد الاحوال كما كانت من قبل حين كان الملك يضع يده  
على اموال اي كان من رعيته بل صارت الارملة تداعي الملك على غرش يأخذه  
منها من غير حق ولذلك لا عجب اذا اشترك الملوك مع ارباب الاموال وراعوا  
مصالحهم . وقد بلغني عن ملك من الملوك انه اوصى برجل اعتقد فيه الصدق والامانة  
حتى نيطت به اعمال ربح منها في سنة واحدة نحو مليونين من الجنيهات فهل يعقل ان  
هذا الرجل ينسى مولاه الذي هو سبب نعمته اولا يقدم له هدية تساوي نصف ما  
ربحه . وهذا الامر اي مساعدة الملوك لاحد رعاياهم بجرمه رجال السياسة قولاً ولكنهم  
يحللونه فعلاً وقد يكون منه شيء من الضرر ولكن ضرره لا يقابل بما كان يفعله الملوك  
في الازمنة الغابرة فانهم كانوا يغزون البلدان ويستبيحون كل ما فيها لاجل الكسب



الخواجه لاثي — نحن نفعل ما في يدنا مثال ذلك أننا لا نسهب لعدونا عقد قرص  
وإذا تيسر لنا ان نحرك اعداءه عليه لا تتأخر لاننا نكون منقذين لارادة الله

الشيخ احمد — واي نفع يتالكم من ذلك اي نفع يتالكم لو تم الفوز لليابان على  
الروس وجمهوركم يسكن بلاد الروس لا بلاد لليابان

الخواجه لاثي — اذا حدث ذلك فلا بد ما تصلح حكومة روسيا ويتولاها اناس  
مسألون عن اعمالهم وحينئذ نأمن على ارواحنا ويصير لنا المقام الاول فيها لان اليهود  
اقدر من غيرهم على الكسب وصاحب المال سلطان . انظر انكارتا وفرنسا والنمسا فان  
لنا المقام الاول فيها وانظر كيف صار حالنا في هذا القطر بعد ما استتب الامن فيه

الشيخ احمد — ولكن يبلغني ان روسيا تجند الجنود منكم فهل ذلك صحيح وهل  
تجارون معها عن طيب نفس

الخواجه لاثي — أمّا انها تجند الجنود منها فهذا صحيح واما ان رجالنا يجارون  
معا قلباً وقالباً فهذا لا اظنه بل ان اكثر جنودها مثل اليهود يفعلون ما يأمرهم به  
ضباطهم ولكنهم يكونون اول المهزمين اذا نودي بالهزيمة وحقاً اني لا ادري كيف  
يستخلص الانسان عدوه ويعتمد عليه في الدفاع عن بلاده

الشيخ احمد — وما رأيك في مصير هذه الحرب وما رأي اخوانكم في انكارتا

الخواجه لاثي — اتانا كتاب من اليابان من الخواجه هنري برون واظنك التقيت  
به هنا في الشتاء الماضي يقول فيه ان اليابان مستعدة لهذه الحرب استعداداً لا مثيل له  
وان البلاد كلها قائمة تطلب الحرب ورجال الحربية كلهم قلب واحد من اكبر قائد الى  
اصغر جندي والناس على غاية الرصانة والنظر في العواقب . ويظهر ممّا نطالع في  
الجرائد الاوربية التي يعتمد عليها ان الفوز سيكون لليابان . وعلى كل حال نحن

بادلون جهدنا حتى لا نسهب لروسيا استدانة جنيه واحد من اوربا

الشيخ احمد — ولكنني قرأت في بعض الجرائد او المجلات ان في خزينه الحكومة  
الروسية اموالاً وافرة تنفق منها على هذه الحرب ولو طالت سنين

الخواجه لاثي — لاتصدق كل ما تقرأ نعم عندها نحو ستين او سبعين مليوناً ولكنها

هل استفاد احد من معارفنا من نشوب هذه الحرب بين الروس واليابان  
فقال نعم استفاد كثيرون منهم وبعضهم اثروا ثروة وافرة ونحن تصاعف البيع  
من جر يدتنا وفي نيتنا ان نصدرها الآن في منشستر وباريس ونيويورك في الوقت الذي  
تصدر فيه لندن

فقال اذا نحن من المغرین بهذه الحرب والمهدين السبل لها هذا امر لا يرضي  
الله يا ادورد ولا يحسن ان نربي اولادنا عليه

فقال الحق في يدك ولكن نحن مسيرون غير مخيرين وهذا هو مقتضى الناموس  
الطبيعي ناموس الجهاد لاجل البقاء فاذا اردنا تغييره لا نستطيع وهو متساو على نوع  
الانسان وعلى انواع الحيوان والنبات لحكمة اقتضاها الخالق فالسمك الكبير يأكل  
الصغير والحيوان يأكل كل النبات ويأكل بعضه بعضاً من يستطع ان يوقف مجرى الطبيعة  
فصمتت وهي تفكر في هذا الموضوع الواسع الاطراف وانتقلت افكارها حلالاً الى  
ابنها وابنتها في بلاد كوريا حيث ذهبوا مع الجيش الياباني فتمهدت . وكانا قد فرغا من  
الطعام فقاما ومضى السرا دوارد الى مكتبته وذهبت هي الى مخدعها

## الفصل الرابع والعشرون

### تعير الشؤون

الخواجه لاثي — اوحشتمونا يا حضرة الشيخ وطالت غيبتكم علينا  
الشيخ احمد — نعم كنت غائبا في الصميد ولم اعد الا امس وقد قرأت وانا هناك  
عن النكبات العديدة التي اصابنا اصحابنا كلهم هنا وفي منشوريا وعسى ان تنتهي  
على خير

الخواجه لاثي — على خير ان شاء الله . ولكن من لكم من الاصحاب في منشوريا  
الشيخ احمد — ليس اصحابي انا بل اصحابكم اتم . قال ذلك وتبسم وغمز بعينه  
الخواجه لاثي — مكتوب عندنا في التوراة ان الامة التي تضطهدنا فارب يجازيها  
الشيخ احمد — هل تتركون المجازاة للرب او نساعدونه فيها

اهدي احترامي الى زوجك وقولي له انني سررت بدار السفارة في باريس ولا سيما بالشباك الذي يطل على شارع سان انطوان ( لانه رعى خبر السلم الى احد اتباعه لما اطل من الشباك كما تقدم )

واعطت استير الرسالة لزوجها فقرأها وهي تقول له اخبرني ما هو معناها فاخذها من يدها وقرأها ثم القاها في النار

هذه خلاصة القصة فما رأيك فيها وهل هي صحيحة . فقال اظنها صحيحة وما اسرع ما عرفها صاحب المجلة وكان يجب عليه ان لا يفشيها على هذه الصورة

فقال اذا رجال الحكومة يتاجرون باخبار الحروب وقد قرأت في تاريخ بيت روتشيلد ان جددهم عرف اخبار انتصارنا على بونايرت في واقعة ووترلو قبلما عرقها الحكومة فربح من مشتري القنصليد الانكليزي ربحاً وافراً وكنت اظن ان هذه القصة موضوعة ولكن يظهر لي الآن انها صحيحة

فقال سواء كانت صحيحة او موضوعة فالمليون يجرون على ذلك الآن ولا ابالغ اذا قلت انهم صاروا يثيرون الحروب لاجل الربح

فقال الآن فهمت امراً اشكل علي فهمه فقد قرأت بالامس في مجلة منصبي الاميركية ان دزرائلي اليهودي الاصل صار رئيساً لوزرائنا وليس في عروقه نقطة من الدم الانكليزي . وكانت الاممة تكرهه والملكة لا تطيقه فلا يبعد اذاً ان الملايين من الاسرائيليين عضدوه بكل جهدهم حتى صار رئيساً للنظار اكي ينتفعوا من الوقوف على مقاصد الحكومة منه

فقال لا اظن ان الامر بلغ الى هذا الحد لا سيما وان دزرائلي كان عفيفاً ولم يسمع عنه قط انه تاجر بما يعلمه من امور السياسة مع انه لو فعل ذلك كما كان نبوليون الثالث مثلاً يفعل على ما يقال لربح الملايين الكثيرة

فقال الظاهر انه كان ووسوساً في السياسة وتاركاً الربح المالي لغيره لان ثروة زوجته كانت كافية لفقاته مهما بلغت ولم يكن له اولاد يهتم بمستقبلهم ولو عُرف بالتبذير والرجل الذي يبذر لا يهتم بايجاد الاساليب لجمع الثروة ولكنه لا يمنع غيره من جمعها .

فضحك ستنمور وقال انت تعلم انك لا تستطيع ذلك لانه ليس من مصلحتك ان تبين للملأ كيف اني خدعتك ولا تريد ان تصير سفارتكم اضحوكة في الدنيا ثم ان كل رجال البوليس الفرنسي يعرفونني فاذا سلمتني الى يدهم الآن اطلقوني بعد ساعة فقال ستورتن اذا تركتلك الآن وسمحت لك بالذهاب فهل تعديني بشرفك انك ما عدت تفعل ذلك معي فقد تعقبتي مرتين حتى الآن واخذت اسرار الحكومة مني رغماً عني وانا احب خدمة الحكومة ولا اريد تركها فعديني بشرفك انك ما عدت تمتال عليّ

فهز ستنمور رأسه وقال له انت نسيبي وانا عم امرأتك وبهمني نجاحك جداً والحادثان اللتان تشير اليهما هذه وتلك قد نفعتك كثيراً فاذا وعدتك الوعد الذي تطلبه مني لا تعود شديد الحذر كما انت الآن . فليبق كل شيء على حاله وابق على حذرک مني وابق انا احتال عليك جهدي

ففتح ستورتن الباب وخرج ستنمور منه

وتعدى ستورتن مع السفير ذلك النهار وكان السفير متلهلاً بانفراج الازمة وجاءته رسائل التهنئة من كل صوب ولكن كان في باله شيء يشغله فلما انفرد بستورتن بعد الغداء قال له بلغني ان احد السماسرة اشترى مبالغ وافرة من الفضيحة الانكليزي والرنت الفرنسي قبلما نشر المسيو كاميلون الخبر بساعة من الزمان وقد ارسلت الوزارة تخبرني بذلك وتنتقده فعمى ان لا تظن ان لنا اشتراكاً في ذلك

فقال ستورتن اما انا فلم ادعه يخرج من هنا الا بعد ان حُلقت الاعلانات في

الشوارع

وبعد اسبوعين جلس ستورتن ليفطر في الصباح ودخلت زوجته ويدها عقد نفيس

من الجواهر ورسالة صغيرة من عمها ستنمور يقول فيها

عزيزتي استير

ان الهدية التي اهديتها اليك يوم عرسك لم تكن على حسب رغبتى فاسمحي لي ان

اكفر عن ذنبي الآن فقد رجحت حديثاً ربحاً طائلاً بالاوراق المالية ولو كنت قليل المضاربة



ان لم يكن لك شأن هنا فلماذا هذا التخفي وهذه الحيلة الشيطانية حتى عرفت الخبير  
مني قبل كل احد

فقال ستمور لقد كنت اظن انه يأتي بالحرب فيكون لي من وائه مصلحة كبيرة  
اما الآن وقد جاء بالسلم فلا فائدة لي منه ولذلك لا يهمني بقيت هنا او خرجت فانا  
بين يديك افعل بي ما نشاء

وسمع ستورتن حينئذ صوت مشي في الدار فتمضى وفتح الباب ولاحل دخل السفير  
وهو يقول لماذا لم تذهب اليّ فقد كنت في انتظارك عند المسيو كاميليون واوامري  
صريحة في ذلك

ستورتن - السبب واضح يا مولاي انظر من امامك . قال ذلك و اشار الى ستمور  
ورأى السفير رجلاً يشبهه تماماً كأنه يرى وجهه في مرآة فدهش ووقف مهووناً .  
ثم قال له من انت يا مسيو

فقال ستمور اسأل هذا الشاب يُخبرك من انا ومهما حاولت ان اقلدك لا استطيع  
ان اكون مثلك فن ابن لي هذه القامة وهذه المهابة ومع ذلك فيني وبينك شيء من  
الشبه ولا سيما ما دام هذا الشعر على رأسي وهذان الشاربان في وجهي . قال ذلك  
ونزع الشعر العارية عن رأسه والشاربين من وجهه فبانت هيئته مضحكة حتى لم يتمالك  
السفير ان تبسم رغماً عما كان به من الفليظ . ثم التفت الى ستورتن وقال له هات  
اخبرني بخلاصة الخبر . فاخبره فتنفس الصعداء وقال الحمد لله اذاً اذهب من ساعتى  
واخبر المسيو كاميليون وأخذ هذا الرجل معي ولكن لا لا آخذه بل ابقه هنا واقفل  
الباب لئلا يذهب ويتاجر بالخبر قبلما يذيع في السوق واكتب الرسالة وبعد نصف  
ساعة يأتي بلونت ويتبعني بها . قال ذلك وخرج وجلس ستورتن يحل الرسالة السرية  
وجلس ستمور وقالوا الأيايتنا احد بفنجان قهوة وسيكارة فقرع ستورتن الجرس وطلب  
له فنجان قهوة وقدم له علبه السكاير عن غير قصد منه وظلّ يشغل في حل الرسالة  
السرية الى ان اتماها . ثم التفت الى ستمور وقال له هذه هي المرة الثانية التي عملت  
فيها على هلاكي والآن انت في قبضة يدي ويمكنك ان انتقم منك على اسهل سبيل

السفير — سيتلقى المسيو كاميليون هذه البشارة بما لا مزيد عليه من السرور فدىق الجرس لكي يحضروا لي مركبة حتى اذهب وابشره بها  
فقام ستورتن ليدق الجرس الكهر بائي وفتح السفير شباكاً بجانبه وتطلع الى الشارع الذي تحته . ووضع ستورتن يده على زر الجرس لكي يدقه ولكنه لم يفعل واغلق السفير الشباك والتفت اليه فراه واقفاً ويده مسدس وقد صوبه الى رأسه . فقال له  
أبجئون أنت

فقال ستورتن قد اكون وان خطوات خطوة واحدة الى الامام او الى الوراء فاني  
اطير دماغك

فوقف السفير لا يبدي حراكاً . ومدّ ستورتن يده الى مفاتيح النور الكهر بائي وادارها فانارت الغرفة كلها بنور ساطع ثم دنا من السفير ورجع مذعوراً مدهوشاً وهو يقول قل لي ماذا كان مفتاح المراسلات السرية في الشهر الماضي  
فهزّ السفير كتفيه وقال الظاهر انك أصبت بحال في عقلك فاعرف من انا وكلمي  
بالاحترام الواجب

فقال ستورتن اخبرني عن مفتاح الشهر الماضي اخبرني حالاً  
فضحك السفير وقل اتظن اننا في مجلس استجواب وتحقيق تنح حتى اخرج  
فقال ستورتن اذا مشيت خطوة واحدة اطرت دماغك ايها الخداع قل لي  
من انت فانك لست السفير ولو كنت تشبهه وقل لي ابن السفير ولا تحاول النجاة  
من يدي

فقال الرجل لماذا احاول النجاة لم تعلم حتى الآن اني ستتمور عم زوجتك اما  
السفير فانه عند المسيو كاميليون على ما اظن  
فقال ستورتن وانت ما هو شأنك هنا  
فقال لا شأن لي الآن فضعني اينما تشاء ولكن ارفع هذا المسدس الملعون من  
امام رأسي

فشى ستورتن الى الباب واقفله ثم جالس وقل لعم زوجته المتزبي بزى السفير

في نفسه وهو يقول لو علموا ما علم لقاموا الى بيوتهم واستراحوا في فرشهم . ولما بلغت المركبة باب السفارة نزل منها وراه رفيقاه يدخل الباب فرعا برنيطتهما له قليلاً كأنهما يقولان لقد اتمنا مهمتنا فادخل بسلام ثم سارا في طريقهما

ولما دخل سأل البواب قائلاً كيف السر تشاراس الان فاجابه انه يشكو صداعاً شديداً وقد استدعاهُ المسيو كاميليون نصف المليل فبقي عنده ولم يعد الا منذ ربع ساعة وهو الآن في مكتبه وقد امرنا ان ندخلك اليه حالما تصل

فلم يتوقف ستورتن مع ما كان فيه من التعب بل سار في الدار الى ان وصل الى المكتبة فدخلها وكان النور فيها ضعيفاً والسفير جالساً امام مكتبه فسأل ستورتن عن صحته ودنا منه ووضع المحفظة على المكتب والمفتاح في يده وقال « احسن قليلاً ولكن لم ينزل هذا الصداع الملعون منسلطاً عليّ وقد اضاع كاميليون صوابه وليس في الوزارة رجل يمكن الاعتماد عليه فهايت اخبرني على ماذا قرّر القرار »

فقال ستورتن سيئ سيئ سيئ وسند تشع هذه الغيوم في يومين . وانك لتعجب كيف حللنا هذا المشكل

السفير — دق الجرس ليأتونا بمركبة لان المسيو كاميليون في انتظارنا ولو كان رأسي يكاد ينشق

ولحظ ستورتن ان صوت السفير كان متغيراً وحركاته كلها تدل على انه في شدة الالم فقال له لا استطيع ان احلّ الارقام واكتبها في اقل من ساعة ولكن ان اردت ان تذهب حالاً فاني اخبرك بمفاد الرسالة فاذهب به ثم احلّ الرسالة واكتبها لك فكون حاضرة الساعة الثامنة او قبلها

السفير - احسنت قل لي ما هو مفاد الرسالة

ستورتن — اخبر المسيو كاميليون ان انكلترا لا تعترف بالصين دولةً من الدول ولذلك لا تحسب نفسها مضطرة ان تعاون اليابان اذا عاونت الصين روسيا فنحن لا نرسل بارجة من يوارجنا الى الشرق الاقصى ولا نفعل اقل فعل يخطر به توازن القوات الحاضر

وكانت سرعة القطار قد اشتدت فلم تعد تستطيع مجاراته وقد انقطع نفسها من سرعة الجري فإشار اليها بمديله مودعاً ومؤكداً انه لا يغفل طرفه عين ثم اقل زجاج الكوة وجلس وهو يحاطب نفسه ويقول رشا الخادمة حاسباً انني اقع في شركه مرة اخرى هل نسيت ما اصابني منه في العام الماضي

وستورتن ليس من الرجال الذي يفعلون سريعاً ولكن المهمة التي كان ذاهباً فيها تفوق كل مهمة غيرها خطارة واكل خطي او اهمال او تأخر يو قد نار الحرب في المسكونة كلها فلما فكّر في ذلك ارتجفت مفاصله الا انه كان واثقاً بقوة ذاكرته فان الاوراق التي كانت معه سرية مكتوبة بالارقام ومفتاحها في ذهنه ومقادها في ذهنه ايضاً فاذا اضاع الاوراق او نسي المفتاح فلا يمكن ان ينسى مفاد الرسالة لاسيما وانها في بضع كلمات صريحة المعنى فلا خطر الا اذا حدث ما يؤخره عن ايصال الرسالة في الوقت المعين . فلما فكّر في ذلك اطمأن باله نوعاً ولكنه لم يهمل الحرس والحذر فبقيت يده على المحفظة في جانبه ويده الاخرى على مسدس في جيبه مع ان القطار كان اسرع من الطير . ولما بلغ دوفر نزل وسار الى البارخة وسار معه رجالان واحد مشى امامه وواحد مشى ورائه وكان يعلم من هما وما هو الغرض من مشيهما معه . ولما دخل البارخة سار الى الغرفة المعدّة له واقفل الباب واحضر الرجلان كرسيين وجلسا عند بابها وهما من امهر رجال البوليس السري عند الانكاييز . واقام في غرفته لا طعام ولا شراب ولا هم له الا النظر الى المحفظة التي معه ولما باغ كاله ودخل مركبة القطار دخلها الرجلان وجلسا امامه فلم يكلمهما بل تجاهل وجودها معه ووضع المحفظة على ركبتيه وغطاها بحرام كبير الى ان وصل الى باريس فنزل معه واستأجرا مركبة اجلساه فيها وسارا به الى السفارة الانكليزية وكانت تبشير الصباح قد لاحت من الافق ولكن الشوارع لم تكن خالية من المارّة لان اخبار النهار كانت قد اقلقت افكار الناس فطار النوم من عيون كثيرين وباتوا في القهاوي يترقبون التلغرافات ساعة بعد ساعة والرأي الشائع انه لا بد لانكاترا ان تقوم بعهداها مع اليابان فنشبت حرب عمومية

ورأى ستورتن القهاوي لا تزال غاصة بالناس فعرف سبب قلقهم وارقمهم وضحك



رجال الحكومة وان اطلعت عليها فلا تفشيها

ثم دخلا غرفة المائدة وجلسا للطعام وحدهما لان ولديهما الوحيدين هنري ودورا ذهبا الى بلاد اليابان ولم يكن عندهما ضيوف ذلك اليوم وهذا نادر لا سيما وان بيوت كبراء لندن لا تخلو من الضيوف في فصل الشتاء . واخذت لادي برون تقصُّ على زوجها القصة التي قرأتها ذلك اليوم قالت

ذهب ستورتن الى باريس برسائل من وزارة الخارجية وأقفل بابا المركبة التي دخلها من مركبات سكة الحديد وحجزت لهُ بكتابة صريحة على البابين . ولما دخل نظر يمنة ويسرة وتطلع تحت المقعدين كأنه يُخشى ان يكون احد محتبناً لهُ هناك ثم جلس وفتح جريدة من جرائد المساء واذا في رأسها عنوان بحروف سوداء كبيرة يقال فيه

الصين واليابان

اليابان التجأت الى انكلترا تطالها بمهودها

البارون نجاساكي في وزارة الخارجية

اجتمع مجلس النظار الآن

وكان هذا الخبر قد شاع في طول البلاد وعرضها ومآلهُ ان الصين عاونت الروس فتلتم انكلترا ان تعاون اليابان ويترتب على فرنسا حينئذٍ ان تعاون روسيا فتنبش حرب عمومية بين اليابان وانكلترا من جهة وروسيا وفرنسا والصين من الجهة الاخرى . ولم تكد الجرائد الانكليزية تذيع هذا الخبر حتى اذاعت خبراً آخر وارداً من فرنسا مفادهُ انهُ صدرت الاوامر للاسطول الفرنسي ليقوم من مرافقهُ وصارت الحرب بين فرنسا وانكلترا على قاب قوسين او ادنى

وصفر القطار وتحفّز للقيام واذا بامرأة طويلة القامة شقراء الشعر لابسة ثياب السهرة وهي تعدو على رصيف المحطة الى ان دنت من المركبة التي فيها ستورتن وراها مقبلة نحوهُ قهضُ حالاً ودنا من الكوة ومحفظتهُ في يدهِ وقال لها مالكِ يا استير . وكان القطار قد اخذ يسرع في السير فقالت وهي تمشي معهُ مسرعةً ان ستنمور في باريس وقد رأيت ان الخادمة ارسلت اليهُ تلغرافاً تخبرهُ بسفركِ فكن على حذر منهُ

لها انها تحبها حباً لا مزيد عليه فزاد نفورها منها وحاولت الهرب من وجهها وقالت ان صح ما يقال عن الجواذب بين الناس فما معنى ما اجدهُ في نفسي من النفور من هذه المرأة وابنها وهما يوداني هذه المودة

والتقى عبدالله خادم بيت واصف بك بزین الدار جارية الخواجه عزرا في سوق الخضر ودار بينهما الحديث التالي

زين الدار — شفت شفت يا عبد الله كيف انقلبت الدنيا في هذين اليومين  
عبد الله — نعمل ايه يا امي ولكن نشكر الله على كل حال سيدي احسن  
وامين باي صار يقعد في سرير وبنار بنايرج البال لسا كتاب الشيخ بيومي معي  
وكنت عايز قول ستي مبارح ولكن جت مسألة بيت راغب باشا فظبقت وغلقت  
زين الدار — أهو كل واحد تبعو على قدو وسيدي عزرا مشغول اليوم عايز  
يخلص الخواجه لاثي من دوخة الرأس الواقع فيها كرمال عينين ستي استير  
عبد الله — ستي استير بتزورنا كل يوم والبارح طلب امين باي ان تخش لاوضته  
وهيه عايزه

زين الدار — لادول يهود ما بتجوزوش بالقبط  
عبد الله — مين عارف يمكن تكون كتبتلو او كتبتلا . في مثل الشيخ بيومي كثير  
زين الدار — الله كريم امين باي كويس وسيدي عزرا امير والمكتوب يصير

### الفصل الثالث والعشرون

#### السفيران

قرأتُ يا ادورد قصة غريبة جداً في مجلة وندسور فان كانت صحيحة فتكون  
الحروب كلها لاجل المضاربات المالية  
هذا ما قالته لادي برون وهي داخلة الغداء مع زوجها السر ادورد برون صاحب  
لندن نيوز

فقال وما هي هذه القصة ولا اظن ان مجلة مثل مجلة وندسور تطالع على اسرار

لاثي بكل ما عمله من هذا القبيل فلم يصدقهُ في اول الامر لانه لم يرَ مسوّغاً له ووقف صامتاً ثم طلب ان يرى الشاهدين فاحضرها المحامي اليه فسألها عما اذا كان عزرا اعطى الرجل شيئاً من النقود فقلا نعم اعطاهُ اولاً نصف ريال احساناً ثم اعطاهُ خمسة جنيهات وقد ارانا اربعةً منها

ولما خرجا قال الخواجه لاثي للمحامي كيف العمل الآن ولم ندخل هذا الامر

في التحقيق

فقال اني ادخله في المذكرة والمرافعة فتأمر المحكمة باعادة التحقيق ورأى يا خواجه لاثي اننا اذا اثبتنا ان الخواجه عزرا اغرى هذا الرجل اغراءً ثبت من ذلك ان الرجل اتقى نفسه امام المركبة تعمداً فنخلص من المسؤولية

فقال الخواجه لاثي وماذا يكون عقاب عزرا حينئذٍ

فقال المحامي لا اعلم ولكن لا ارى فرقاً بين من يغري واحداً بقتل غيره و من يغريه

بقتل نفسه

فجعل الخواجه لاثي يتبصر في ما يصير اليه حال عزرا حينئذٍ وكاد يطلب اخراجه من هذه القضية ولكن عاد ففكر في خبيثه الذي حمله على فعل هذا المنكر فتصلب وقال مهما فعلنا معه فهو يستحق لانه حاول القاءنا في المهالك . لقد اصابت استير في نفورها منه . ما اشد شعور النساء فانهن يكنّ يدركن الغيب

في ذلك اليوم عينه ورد تلغراف على بيت واصف بك من يوكاها ما في اليابان

يقال فيه « وصلنا بالسلامة . طمنونا الى طوكيو . هنري »

وتلا التلغراف كل من في البيت حتى امين وبهية وارسلوه الى بيت الخواجه

لاثي وسرّت بهية به اولاً ولكن لم يدم سرورها الا دقائق لانها قالت في نفسها كان

وصوله الى بلاد اليابان بعد نشوب الحرب فلا بد له الان من الذهاب اليها ومن

يعلم ماذا يصيبه وان كتب اليها الان لا يصل كتابه في اقل من اربعين يوماً فلا اعلم

شيئاً من امره قبل او اخر مارس . واتت ام برسوم حينئذٍ تعود اباه و اخاها واطهرت

تقبل شيئاً ولما خرجت جعل ابوها يفكر فيها وفي ما يظهره عزرا من الميل اليها والتودد لهم وقال ترى هل يفعل فعل نجم الدين لو صرفناه فارغاً . واجاب نفسه بنفسه قائلاً من ابن لعزرا الدم الشركسي كلاً لا يفعل ذلك ولكنه يقاتني ويقلق يوسف وما ادراني لانه لا يتعقب يوسف بعد وفاتي حتى يخرب بيتنا لانه ولد خبيث ماهر في سلب الناس . كيف احتال على ابن واصف بك حتى سلب من ابيه تسعين الف جنيه ولو لم تتدارك الامر لتضاعفت الخسارة فلا بد من كف شره عن ابني ولكن هل اضحي ابنتي لكي اتخذ ابني كلاً فلا محل لعزرا في بيتنا على كل حال ولكن لا بد من اخذ الامر بالحكمة وهو مغرم بالكسب فلا بأس بمساعدته في ذلك حتى نكفي شره

وبينما كان الخواجه لاثي يفكر في عزرا كان عزرا يفكر فيه ويقول لقد نجا امين من يدنا بعد ان كدنا نسلخ جلده والحق كله على الخواجه لاثي ولكنني حملت الخواجه لاثي جميلاً كبيراً ومرادي ان ابين له احتياجه الي واضطراره الى مساعدتي في المشكل الذي وقع فيه لانه على غناه المفرط لا يدفع عشر ما يطلب منه الا بشق النفس فهو كريم من مال غيره او من المال قبلما يصير له ولكن متى صار في يده فيعز عليه ان يفرط بغرش واحد منه . ثم مضى وقابل الحامي وسأله عن رأيه في المسألة وتظاهر بالغيرة الشديدة على الخواجه لاثي وكان الحامي قد رآه في بيت لاثي وحسب انه من الاصدقاء ان لم يكن من الانسباء فذاكره في هذا الموضوع ملياً وقال له عندي ادلة قوية على ان انزجل أغري اغراء لكي يلقي نفسه امام المركبة ولا ارى فرقاً بين من يغري رجلاً بقتل نفسه ومن يغريه بقتل غيره

فامتقع وجه عزرا لما سمع هذا الكلام ولم يستطع اخفاء ما حل به ولحظ الحامي ذلك فتنبهت في نفسه الظنون وكنم بقية ما علمه بالبحث والاستقصاء وتظاهر بان لم يتنبه لشيء وظل يكلم عزرا كانه من اصدقاء الخواجه لاثي الخالصين . ولم يكد عزرا يخرج من مكتبه حتى استدعى الايطالين اللذين شهدا امامه ان القليل اخبرها عن رجل اغراء بذلك واستكتبتهما كل ما يعلمانه ووضع ذلك بين اوراق القضية ومضى واخبر الخواجه



ابن واصف بك ولو كان يميل الى التبذير والابهة اكثر منه . لعن الله الابهة فسنخسر بسببها عشرين الف جنيه . ليس احسن من البساطة في المعيشة . ولكن لمن يجمع المال ان لم نصرفه نحن ولا صرفه اولادنا . آه هذه مسألة صعبة وعلى كل حال يجب ان لا نجعل مالنا سبباً لزيادة تعبتنا فاذا بُرِكَ الحال لابني يوقعنا كل يوم في مشكل جديد لا نخلص منه الا بشق الانفس

بينما كانت هذه الافكار تتراحم في باله اتت استير وقالت له ان كنت عازماً على الذهاب الى بيت راغب باشا فخذني معك فقال لها حبباً وكرامة انزل الى المكتب اولاً واقفح البوسطة ثم اعود واذهب معك او تعالي انت الي الى هناك فنذهب معاً . فذنت منه وقدّمت له وجهها فباسها وقال اذا انتظرك في المكتب . رأيت الطيب البارحة وانا عائد في المساء فقال لي ان الرصاصة التي دخلت ساعد حليلة خرجت منه ولا ضرر منها ولكن الرصاصة الثانية التي دخلت خاصرتها لم تزل فيها ولم يهتدوا اليها حتى الآن . ما اكبر هذه المصيبة على راغب باشا

فقلت أعلى راغب باشا فقط وماذا تقول عن حليلة وامها صدقني يا ابي اني لم اتم طول هذا الليل ألم يمسكوا ذلك الكلب يجب ان يمسكوه ويشنقوه . آه لو كنت رجلاً لكنت اقتله بيدي ولكن الرجال لا نخوة فيهم كيف تركوه يفلت من ايديهم وكل واحد ينظر الى الآخر

فقال لها هدي روعك من قال انهم تركوه امسكوه امس ووضعه في السجن حالاً فقلت يجب ان يشنقوه . وكيف كانت حليلة في المساء هل كانت متألمة جداً فقال كلاً ولكن الصدمة كانت قوية عليها واليوم يجتمع الاطباء والجراحون ليعيشوا عن الرصاصة الثانية باشعة رتجن . وقد قال لي الجراح انه يرجو لها الشفاء العاجل لانهم صاروا يمنعون الفساد الذي كان يخشى منه على الجروح وود ان يأخذها الى المستشفى ويعالجها فيه لان وسائل النظافة هناك اتم جداً مما يمكن ان تكون في البيوت ولكن لم يرد احد ان يسمع منه هذا الكلام فوقفت استير هنيهة كأنها تفكر في هذا الامر ثم سمعت امها تناديهما فخرجت ولم

المهندسون يبقى الربح كثيراً لأن الغدان هناك يصير يساوي ستين او سبعين جنياً والصعوبة الكبرى في جلب العمال ولا بدء من اغرائهم ببناء العزب لهم ودفع الاجور العالية ورأي ان لا نغريهم بدفع الاجور العالية لثلاً يعتادوا الكسل والطمع ولكن نعطي كل عائلة منهم فداناً او فدانين فيصير لهم ملك في الارض اي يصير لهم جذور فيها وترسخ اقداءهم هناك فنصير بمأمن من تركيم لنا والفلاح يخدم عشرة افدنة بالراحة ومع آلات يخدم عشرين فاذا كان له فدان او فدانان يبقى يخدم لناعشرة افدنة او عشرين فداناً اي اذا وهبناهم عشر الاطيان احيينا بهم التسعة الاعشار الباقية والآ فلا فائدة من الزراعة . وهناً نفسه لانه ابقى له اربعين في المئة من اسهم الشركة التي فيها لهذه الاطيان وخمسين في المئة من اسهم التأسيس . ثم عاد قتال ولكن هل زادت راحتي بزيادة ثروتي كلاً بل زدت تعباً وهمماً . الناس يتنعمون الآن في فرشهم في هذا الصباح البارد وانا جالس هنا منذ ساعة وافكاري تنتقل من موضوع الى موضوع . شغل شغل من الصباح الى المساء وافكار وهموم في النهار والليل . ولم ابع شيئاً من القنصليد الانكليزي الذي عندي فاذا هبط ثمنه كما هبط وقت حرب الترنسفال تكون الخسارة كبيرة جداً ويظهر من التفرقات التي وردت امس انه يخشى من ان انكارتا وفرنسا تشبكان في هذه الحرب فاذا وقع ذلك خربنا ولكن لا يحتمل ان يقع ما دامت ازمة السياسة في يدنا . ألم يقل لي لورد بنفيلد لما كان هنا منذ ستين انه لم يعد في الامكان وقوع الحرب في اوربا ولا سيما بين الدول الكبيرة التي لنا فيها مصالح مالية كبيرة وقوله حجة فلا خوف من ذلك ومع هذا فليس من الحكمة ان ابقى عندي الآن هذا المقدار من القنصليد لان الاخبار الحاضرة لا بدء من ان تنزله فاسترد ما ابيعه الآن حينما يهبط ثمنه واكتفي بخصر شغلي في مصر فان الارباح فيها ستزيد بازدياد العمران وتكاثر السكان ولا بدء من توجيه العناية الى ضواحي العاصمة ومشتري كل ما يمكننا مشتراه من الاطيان والرومال لانها ستصير كلها اراضي بناء ما اوسع ابواب العمل . ترى هل تخطر هذه الافكار ببال يوسف . لا يزال نائماً حتى الآن ولا ارى منه اقل همة او طمع فمن اين ورث هذا الخلق يا ترى لا مني ولا من امه ولكنه على كل حال احرص من

بجانب المدرسة الزراعية الى ان يصل الخبر الى ابيها  
وتبرع اثنان في اتوموبيل ان يمضيا سريعا ويخبرا ابيها وياتياها بالجرّاح . وانتشر  
الخبر في العاصمة كلها ان نجم الدين بك اطلق الرصاص على ابنة عمه لانها ابنت  
الاقتران به فقال البعض انه مصاب بدخل في عقله وقال غيرهم انه سكران وقال  
آخرون بل انه فعل ذلك عن نظرٍ وترمٍ وقد صمم على قتلها لانها ابنت الاقتران به  
وهدها بذلك مراراً ولم يعد لاهل العاصمة خاصتهم وعامتهم غير هذا الحديث

### الفصل الثاني والعشرون

#### شؤون مختلفة

نهض الخواجه لاثي صباح اليوم التالي والتفّ بفروة وجلس يفكّر في احوال  
الدهر وما مرّ به من العبر منذ اربعين يوماً الى الآن . اليابان شهرت الحرب على  
روسيا ودمّرت اسطولها ودخلت منشوريا . الاوراق الروسية هبطت هبوطاً فاحشاً  
وتبعها اكثر الاوراق المالية فافلس كثيرون من المالين . القطن ارتفع ثم هبط فخسر  
بهبوطه كثيرون من اصدقائه ولا سيما امين بن واصف بك فاضطرّ ابوه ان يوفي عنه  
نحو تسعين الف جنيه واصيب بمرض من جراء ذلك . وامين نفسه سقط سقطة كادت  
تقضي عليه ولا يزال طريق الفراش وسلامته غير مكفولة . وهو داست مركبته رجلاً  
فاماته واقامت عليه قضية مدنية طول فيها بعشر بن الف جنيه والغالب انه يلتزم ان  
يدفع هذا المبلغ او ما يقاربه عدا اتعاب الحمامة . والان اصيب بيت صديقه راغب  
باشا بمصيبة من اكبر المصائب فان الرصاص خرق خاصرة حليلة من يد شاب خليع  
مجنون بدد ثروة ابيه

راجع هذا التاريخ وهو يقول سنة نحس من اولها نعم اني لم اخسر شيئاً حتى  
الآن بل ربحت واذا دفعت عشرين الف جنيه كما تطلب اربعة ذلك الرجل لا يقل  
ربحي . وقد تمّ لنا مشتري المئة الف فدان من الحكومة بالثمن الرسمي والربح منها  
وافر جداً لاننا اذا انفقنا على الفدان خمسة عشر جنيهاً لاروائه وتعليقه كما يقدر

ووقفت الاثنتان صامتتين ثم قالت بهية اني اذهب الآن مع استير واذا اتى الطيب في غيابنا فاسأليه عن دخول استير فاذا سمح بذلك تدخل وتراه بعد رجوعنا. وخرج الاثنتان للنزهة في مركبة بيت الخواجه لاثني فسارت بهما في شارع الظاهر فالعجالة ومرّت من امام شبرد فالكنتيننتال ودارت من امام البنك الاهلي وسافوى وسارت فوق الكبرى الى الجزيرة ومنها في سكة الجزيرة فسكة الاهرام — طريق النزهة العادي الذي يسير فيه اكثر الذين يخرجون الى النزهة من سكان القاهرة . وكانت اروقة اللوكندات غاصّة بالسياح رجالاً ونساءً وسكة الجزيرة غاصّة بالمركبات تسير فيها الهويّنا ولا سيما في الجزيرة الصغيرة وركبها ينظرون بعضهم الى بعض ويحيون بعضهم بعضاً بالتبسم وحنو الرأس كأنه حُظر عليهم الكلام والنسيم يعث بريش البرانيط والهوانم يطانن من شبايك المركبات المغفلة لكي لا تقوتهن رؤية شيء . وكانت حليلة واهما تتنزهان في سكة الهرم فرأنا استير وبهية ووقفت المركبتان متحاذيتين وجعلتا تسألان بهية عن اخيها وايها وتطلبان منها ان تحضر العرس وعاتبتهما حليلة لانها لم تأت لترى جهازها وحلاها وبينما هي تتكلم ملتفتة الى بهية واستير اقبل شاب في مركبة من نوع الدوكار آتياً من جهة الهرم وكأنه عرف مركبة حليلة واهما من خيلها فوقف مركبته الى جانبها واخرج مسدساً من جيبه واطلق منه رصاصتين على حليلة واطلق لجواده العنان فسارت به المركبة كالبرق ووقعت حليلة في المركبة وأغمي على امها وصاحت بهية واستير وعلا صياح من في المركبات الاخرى وحمّمت الخليل واضطربت وادار البعض مركباتهم وحاولوا اللحاق بالجاني لكن مرّ قطار الصعيد حينئذٍ وأقفل باب سكة الحديد وعلت الضوضاء وكان في احد المركبات طيب فنزل الى مركبة حليلة وحاول فتحها فنزل الآغا من جانب السائق ومنعه ولكن كثر الناس وامسكوا الآغا ومنعوه من التعرّض للطيب وحملوا حليلة ونقلوها الى مركبته وهي تشير الى مكان الرصاص في ذراعها اليسرى وخاصرتها ولم يكن هناك بيت قريب ينقلونها اليه ولا استحسن الطيب ان ينقلوها على هذه الصورة الى بيت ايها ونزلت بهية فجلست معها في المركبة وجلست استير مع امها ورأى الطيب ان ينقلها الى بيت



عقله في رأسه ولكن هيهات . ويقول ابي ان هذا مصير اكثر اولاد الاغنياء ان لم يربوا كأنهم فقراء حتى يصيروا يعرفون قيمة المال وان الذي يتعلق بالتمار منهم لا يرجي اصلاحه ابداً ولا بد له من ان يبدد ثروته مهما كانت ويتلف صحته من طول السهر . ولولا طريقة الوقف لما بقي لاولاد الاغنياء شيء يعيشون به والوقف ايضاً قلما يفيد المسرف لانه يستدين على الربح بالفاحش ويتلف املاكه ولا يتولى الاعتناء بها بل يتركها لرحمة المستأجرين ولكن الوقف يحفظ العين على كل حال الى ان يشب لصاحبه ولد حسن التصرف فيعتني به

وكثيراً ما ذكرنا دورا واخاها ولكن على سبيل العراض لان بهية كانت تتحاشى هذا الموضوع فاذا عرّضت استير به استطردت بهية الى حديث آخر حالاً قبلما يتسع مجال الكلام فيه كأنها كانت تظن الناس كلهم رقباء عليها يعلمون ما يحبك في فؤادها ودخلت استير غرفة بهية حينئذٍ وتعانقتا وساعدتها على وضع الدبايس في برنيطتها واتت امها تقول لا تخرجي من غير بلارين الفرو لان الهواء بارد . ودخلت بهية غرفة اخيها فقبلت وجنتيه فنظر اليها باسمماً وقال الى اين الى النزهة احسنت لقد ملت من هذه الحياة مع من انت ذاهبة

فقال مع استير ألا تريد ان تقوم وتخرج معنا فشخص اليها وقال قولي لاستير ان مرضي لا يعدي ولكن الظاهر اني لا اخطر بياها

بهية — انت غلطان فانها تاتي كل يوم مرة او مرتين تسأل عنك ولكن الطيب لم يسمح بان تدخل وتراك لا هي ولا غيرها

وما هو اعتراض الطيب او ان الاطباء يشددون في الاوامر والنواهي لكي تزيد اهميتهم . صار لي اربعون يوماً مرمياً هنا ماذا فعلوا لي . الطبيعة طببت نفسها

بهية — اسكت اسكت الآن ثم انحمت ثانية وقبلت وجنتيه وخرجت والتقت بامها امام الباب فاسرّت في اذنها قائلة طلب ان يرى استير فما قولك . فقالت اهها

وماذا تقول للحكيم

انه طلق زوجته حباً بها

بهية — وهل صدقت حليلة ذلك وهل رأت هذا الشاب قبلما رضيت الاقتران به  
استير — يظهر انها صدقت او تظاهرت بالتصديق وعلى كل حال لا يتعذر عليها  
ان تراه لانه لا بد وان يكون قد زارهم مراراً ولدار الحرير جناح فوق السلامك فاذا  
جلست وراء شبايك رأت كل من في الخديمة امام دار السلامك واضنها جلست  
هناك مراراً واذا كان كما وصفت من صغر السن وجمال المنظر وانفتاح ابواب الترقى  
امامه فلا تعود تلتفت الى تزوجه بامرأة اخرى قبلها

بهية — انا لا اعترض على تزوجه بامرأة اخرى قبلها لانه لو ماتت امرأته الاولى  
وتزوج حليلة وهو ارمل ما كان عندي اقل اعتراض على ذلك ولكن ان يطلق زوجته  
لانها فقيرة ويتزوج باخرى لانها غنية هذا شيء لا يطاق ومع ذلك فقد يكون له  
عذر مقبول

استير — اظن اني سمعت ما يشبه ذلك سمعت يوسف يقول مرة ان امرأته  
الاولى سليطة جاهلة غير متهدبة مررت حياته والظاهر ان الشبان تحدثوا في امره كما  
تحدث نحن وهذا يدل على ان الناس اخذوا يتبهون لهذه الامور ويرون اللائق منها  
وغير اللائق

فقالت بهية ولكنني سمعت ان ابن عمها طلبها فلماذا لم تقبله

فقالت استير نعم طلبها ولكنه ولد خليع سكير بذر اموال ابيه وباع قصره في  
شبرا وخسر ثمنه بالتمار في ليلة واحدة ويقول ابي انه بذّر اكثر من كل اولاد الاغنياء  
فان ثروة ابيه كانت تقدر بمليون ونصف فلم يبقَ منها غير ما هو موقوف وقفاً لا يستطيع  
بيعه وهو نحو الف فدان وترينه يتهدد امه من يوم الى آخر انه يقتل نفسه او يقتلها ان  
لم تعطه ما يريد وقد رافق واحدة من بنات التياترو في الصيف الماضي وذهب معها الى  
باريس فتركته هناك بعد ان سلبت كل ما معه ويقول الآن ان لا بدّ له من اخذ  
حليلة والاّ قتلها وقيل زوجها اذا تزوجت احداً غيره اما حليلة فتضحك عليه وتقول  
انه مجنون . وقد اتى الى ابي يطلب وساطته فنصحته ابي ان يحسن سيرته ولا يضع

وبهية وكانت قد لحظت ان هنري يجب بهية او يميل اليها وفألمحت بهية في هذا الموضوع اكثر من مرة تلميحاً لا تصريحاً فلم تعلم منها شيئاً لا سيما وان بال بهية كان مشغولاً باخيها وايها فلم تشأ استير ان تتطرف في السؤال وتستقصي في البحث . ودعتها مراراً للخروج معها الى النزهة وكانتا تتكلمان في المواضيع القريبة كرقوع اخيها ومرض ايها ودوس مركبة بيت الخواجه لاقى للرجل الايطالي واقامة القضية عليهم في الختلط ومطالبتهم بعشرين الف جنيه وقرب اقتران حليلة بنت راغب باشا وما خاطت من الملابس الفاخرة وصاغت من الخلي الثمينة وقد ساعدتها استير في اختيار بعضها واستغربت الاثنتان كيف ان واحدة لا يباح لها الخروج بين الناس تلبس على آخرزي من ازياء باريس وتكلفها كل بدلة من ستين جنياً الى ثلاثمائة جنيه وقد اشترت تاجاً من الماس وتاجاً من الزمرد وطقمين كاملين الواحد من الماس والثاني من الماس والزمرد بلغ ثمنهما اكثر من ثلاثة آلاف جنيه واهدى اليها عمها طقمماً من الماس والياقوت الشرقي الحر واهدت اليها امرأة عمها دوساً فيه الماسة الصفراء المشهورة التي من جواهر البرنسس جميلة هانم ولولا صفرة فيها بلغ ثمنها ألوف الجنيهات اما اللؤلؤ فلا حساب له على غلاء ثمنه فان المناشف ووجوه الخناد مطرزة به كأنه الخرز الابيض كل ذلك وخطيبها لا يملك شيئاً الا راتبه وهو طفيف لا يقوم باجور الخدم لكن ابا حليلة سيعطيها الفاً وخمس مئة فدان من اجود الاطيان ريعها السنوي نحو تسعة آلاف جنيه و ينتظر ان يرتقي خطيبها يوماً ما فيصير من نظار الحكومة لانه مشهور بالذكاء وحسن الادارة والمدارة وقد كان متزوجاً امرأة فقيرة مثله لما كان موظفاً في وظيفة صغيرة فطلقها الآف لكي يقترن بابنة راغب باشا . وكانت استير وبهية تتحدثان بهذه المواضيع حينما تزور استير بهية او تخرجان للنزهة وتستغربان كيف تقبل حليلة ان تقترن برجل طلق زوجته لكي يتزوج بها وقالت بهية انها تعرفه قد زارهم مرة وهو شاب لا تظن ان عمره اكثر من ثلاثين سنة ايض الوجه جميل المنظر ثم قالت واعل حليلة لا تعلم انه كان متزوجاً وطلق زوجته . فقالت استير كلاً بل هي تعلم ذلك وقد اعترضت في اول الامر على التزوج به لكن زارتها امرأة سمسارة وجعلت تتردد عليها يوماً بعد يوم الى ان اقنعتها

شيئاً و بقيت كذلك نحو ساعتين الى ان دخلت امها ودعتها لتذهب مع استير . وكثيراً ما حاولت جمع افكارها ولامت نفسها على التفكير في شاب قد يكون نسيها الآن لاسيما وانه لم يرسل اليهم الا كتابين واحداً من السويس وواحداً من عدن واطقت اخباره عنهم منذ شهر من الزمان واكثر كتابيه سؤال عن اخيها ووصف سفرهم برّاً وبحراً . نعم ان دورا كتبت اليها واكثرت من ذكره ولكن كان ذكره يرد معها على سبيل العرض كأن تقول قال لي هنري كذا او دعاني هنري او دعوت هنري او قلت له او قال لي ولم تشر الى ما بينه وبينها الا مرة واحدة اذ قالت « اننا كلينا نود الرجوع الى مصر باقرب ما يمكن ولا سيما هنري ولا بدّ من انك تعلمين السبب » ولم تزد على ذلك . ولما قرأت هذه العبارة قالت في نفسها لا بدّ من ان يكون قد اخبر اخته بما دار بيننا من الحديث تُرى ماذا جرى لهما بعد ذلك فان البحر امام جزيرة سقطرى كثير المخاطر وقد سمي المضيق الذي هناك بيوغاز باب المنذب لان الاحياء يندبون الفرقى فيه على ما قرأت في كتب الجغرافية وفي العام الماضي غرقت سفينة كبيرة هناك ورياح الموسم تهب في الاوقيانوس الهندي فتعذب بالسفن ان لم تفرقها وجاءت الآن هذه الحرب ولا بدّ من ذهابه اليها لان الانكاز لا يجمعون عن المهالك في سبيل المجد . من من ابناء المصريين يذهب الى الحرب عفواً من تلقاء نفسه او من يستطيع ان يدفع البدل العسكري ولا يدفعه . بالامس رأيت رجال القرعة مارين في الشارع وامهاتهم وراءهم بالنوح والبكاء كأنهن في ماتم ولكن من يدري ما يصيبه هناك وكيف يكون حال اخته وهي في بلاد الغربة وحال أمه وهي بعيدة عنه .

ولم يكد هذا الخاطر يخطر على بالها حتى دمعت عيناها وشعرت كأن قلبها ضاق او كأن احداً قبض عليه بيديه وعصره فعسر عليها التنفس ونيما هي على هذه الحال قرعت امها الباب ودخلت واخبرتها بقدم استير لتخرج بها الى شم الهواء على ما تقدم واطلعت استير في المساء السابق على تغرافات النهار ورأت اباه مشغول البال باخبار الحرب وهبوط سندات الدين الروسي فقارها ائتلاف الافكار الى دورا واخيها



الحكم لئلا تقع في ورطة جديدة

## الفصل الحادى والعشرون

### الاعتداء

قومي يا بهيئة اتت استير لتأخذك الى النزهة

بهيئة — دعيني يا أماهُ فان نفسي صغيرة ولا رغبة لي في الخروج من البيت الآن  
مدام واصف - يقول الحكيم ان اخاك احسن جداً ومسالمة ابيك عرضية ولم  
يبق ما يشغل البال والحمد لله وانت محتاجة الى الراحة وشم الهواء  
بهيئة — انت احوج مني فلماذا لا تخرجين

فتهدت مدام واصف وقالت الامهات للشقاء والتعب قومي يا بنتي واذهيبي مع  
استير اما انا فان ذهبتُ فلا يستريح بالي دقيقة وفوق ذلك فانا اقوى منك كثيراً  
بهيئة — الا تظنين ان خروجك يفيد اخي لانه يقول لو لم يكن بال امي مطمئناً  
عليّ ما خرجت من البيت وقد مضى عليك الآن اربعون يوماً لم تخرجي فيها. نعم اكثر  
من اربعين يوماً من قبل رأس السنة بيومين والآن نحن في العاشر من فبراير اما انا  
فخرجت مراراً

كيفما كان الحال فانت احوج مني الى الخروج واستنشاق الهواء قومي ولا داعي  
لتغيير ثيابك البسي برنيطك فقط  
قالت ذلك وخرجت من غرفة ابنتها الى غرفة الجلوس حيث كانت استير  
في انتظارها

اما بهيئة فكان في يدها كتاب تقرأ فيه وهي مشرّدة الافكار فقد قرأت بالامس  
ما شغل بالها - قرأت عن نشوب الحرب بين الروس واليابان وكانت قد علمت من  
دورا ان اخاها ذاهب الى بلاد اليابان حتى اذا نشبت الحرب بين اليابانيين والروس  
يمضي الى ساحة القتال ويعين لجريدة ابيه المكاتبين الاكفاء في كل الجهات التي  
يمتد القتال اليها فكانت تقرأ الصفحة بعد الصفحة من الكتاب الذي في يدها ولا تعي

عليه مصيبتُهُ هل سمعتم شيئاً عن امين فقالت نعم لا يزال على حاله  
فقال والرجل الذي داسته المركبة كويل وله زوجة واولاد وهم على فظاظهم لا  
يستطيع الانسان الا ان يشفق عليهم اما الرجل نفسه فلا محل للشفقة عليه لانه هو  
رمى نفسه امام المركبة كأنه قاصد ان يوقنا في هذا المشكل

ثم قام وجعل يمشي ذهاباً واياباً ويداه وراء ظهره وهو يطل من الشباك احياناً  
كأنه ينظر الى شيء مع انه غير متبه الا الى ما يجول في باله . ثم سار الى حيث  
التلفون وطلب مكتب الافوكاتو احمد بك واستدعاه اليه ولم يكن الا عشرون دقيقة  
حتى حضر وهو من اكبر المحامين ووسعهم اختباراً وكان موكلاً بكل اشغال الخواجه  
لافي القضائية فهو يكتب له عقود البيع والمشتري والدين والرهن . فلما حضر استقبله  
الخواجه لافي بالترحيب وقص عليه الحادثة كما جرت وقال لا شبهة عندي ان الرجل  
رمى نفسه امام المركبة متعمداً . فقال احمد بك قد يكون الامر كذلك لان هؤلاء  
الطعام يسهل عليهم كل شيء ولا سيما اذا كانوا من جماعة الفحامين كما يقال عنهم ولكن  
كيف نستطيع ان نثبت ذلك اما السائق فلا بد من معاقبته جنائياً والزمانا بالتعويض  
المدني وسأذهب الآن واطلع على محضر البوليس

ولم يكذب يخرج حتى دخل عزرا ومعه يوسف دخل رافعاً رأسه كأنه جاء بغنيمة  
فسلم على مدام لافي وعلى استير و اشار الى المشقة التي لقيها في تخليص يوسف من  
ايدي الايطاليين وقال انه لو لم يكن يعرف البعض منهم ويستعين بهم على غيرهم ما  
استطاع ذلك . فشكرته مدام لافي على نخوته . وعرض عليهم ان يتوسط لهم في  
القنصلاتو لانه يعرف بعض رجالها حتى يحل المشكل بالتي هي احسن من غير مدعاة  
ومرافعات فقال له الخواجه لافي افعل ما بدا لك ولكن لا تقطع قبلما نستشير  
الافوكاتو به

فقال هذا ليس من رأيي واخاف من ان الافوكاتو يزيد العقد ولا يحلها لانه يلجأ  
الى الوسائل القانونية ونحن نريد حلها حبيياً

فقال له الخواجه لافي اسمع جهدي وتلى كل حال لا بد من التبصر قبل بت

مسئولاً كما لو كنت في مركبتي لكن ابنه ركب معه للمعاينة في هذه النوبة و ابى الآن  
 يركبا مركبتهما فجراه على ذلك واتفق انه بينما كانت المركبة مارة من شارع المناخ الى  
 ساحة الاوبرا صدمت رجلاً ايطالياً ماراً في الطريق فوق على الارض وداس احد  
 الجنودين على خصرته فكسر بعض اضلاعه و بادر الناس من النيو بار وبعضهم من  
 الايطاليين وعلا الصياح فأنزلوا الخواجه لاثي وابنه من المركبة وكادوا يمزقونهما لولا  
 مبادرة رجال البوليس الى اغائتهما . وسيق الخواجه لاثي وابنه الى مخفر البوليس رغماً  
 عن اعتراضه بانهُ اجنبي . ووصل الخبر الى زوجة الرجل الايطالي واولاده ففساروا  
 الى المخفر وهم يصيحون ويحلبون وحمّل الرجل الى المستشفى وفحصه اطباء فرأوا  
 انه كسرت اربع من اضلاعه وان شظاياها دخلت الرئة وحالته تندر بالخطر . وطار  
 الخبر الى اصدقاء الخواجه لاثي فبادروا اليه وساروا به الى دار القنصلية فاعطى الضمان  
 الكافي وقبض على السائق وأودع السجن وعاد الخواجه لاثي الى بيته اصفر الوجه  
 غائر العينين وكان الخبر قد وصل الى زوجته وابنته ان مركبته قتلت رجلاً ايطالياً وان  
 الايطاليين تجمهروا عليه وعلى ابنه وقتلوهما فلما رأته داخلًا سرّبي عنهما بهض الشيء  
 وحمدتا اله اسرائيل على سلامته وسأته عن يوسف فقال ان عزرا اخذه الى بيته .  
 ولما هدا روعه قص عليهما ما جرى بالاختصار وقال هذه عاقبة التظاهر الفارغ لو ركبنا  
 مركبة أجرة ما حدث شيء من ذلك اما الآن فلا يعلم الا الله الى اين تنتهي حالنا  
 ولا سيما اذا مات الرجل ومن ينجينا من ايدي زوجته واولاده اذا نجونا من القضاء  
 فقالت زوجته هي سنة شؤم من اولها ولكن الرجل فقير على ما يظهر فاعطهم الف  
 جنيه او الفين جنيه او عشرة آلاف جنيه . هوذا فلان بك صدمت مركبته رجلاً من  
 الوجوه ولم يحكم عليه بسوى عشرة آلاف جنيه

فقال نعم ولكن الرجل الغني المطموع فيه يتناشئ الناس من كل جهة والآب  
 لو لم يكن في جيب يوسف عشرة جنيهات ما وصلت الى هنا سالماً واطمئنتهم يطعمون  
 بنصف ما تملكه . ثم اسند رأسه الى ظهر الكرسي وجعل ينفخ وذهبت استير فأتته  
 بكاس ماء فيه قليل من الكنيك لانعاشه فشر به وقال لها من افنكر في صيدية غيره هانت

ولكن بحور اليابان اغرب وجزائرها جميلة جداً ليست قاحلة مثل الجزائر التي نراها هنا بل مغطاة بالاشجار المانعة وانا مسرورة جداً لانكما ذاهبان الى بلادنا وسترين يامس برون كيف تكون في فصل الربيع حينما يظهر زهر الكرز الوردي وتلبس الارض حلل الاقحوان بالوانه الفضية والذهبية ولا بدّ من ان يدعوكا الامبراطور الى حدائقه فتريا فيها جمال الطبيعة وبدائع الصناعة وسيكون وصولنا الى اليابان قبلما يتبدى فصل الربيع ولكن ابناء انكاترا واسكتلندا لا يسوّهم منظر الثلج مغطياً السهول والآكام . ثم تكنتسي الارض خضرة فترون في سهولها ونجودها واكمها ووهادها وبحيراتها وغدرانها وحراجها الملتفة وحقولها المنبسطة وفجواتها العميقة وشلالانها المتصبية وما تتشع به من وشي الازهار وطرار الخائل ما ينسيكم هضاب اسكتلندا وبحيراتها

فسررت دورا بهذا الوصف وهذه البلاغة وقالت لها لقد شوقنا ايها السيدة الى مشاهدة بلاد زهر الكرز ومطلع الشمس وانا واخي سنغتنم هذه الفرصة للتمتع بكرم ضياقتكم ونقيم عندكم الصيف كله اذا استطعنا وكان برودي واقفاً لا يتكلم فقالت له دورا باسمه وانت يا مستر برودي ألا تقيم مثلنا في تلك البلاد الجميلة

فقال كيف لا ويكون فيها مثلك ومثل السيدة الكريمة

فتبسمت الاثنتان وحتما رأسيهما له وقال هنري وانا اعود الى مصر اذا لم يكن لي مكان معكم

فقات له امرأة القبطان انت قبل الكل ويا حبذا لو تشرّفنا بزيارة والدك ايضاً ونحن النساء لا نفع شيئاً بدونكم . فشكرها على هذا التجميل ونظر الى اخته نظر الظافر فضحكت ولم تتكلم وسمعوا حينئذ الجنيك يدعوهم للغداء فمشوا نحو غرفة المائدة

لما كان هنري ودورا يتعدان آلات السفينة كان الخواجه لاثي في مركبته يطوف لمعايدة اصدقائه الاوربيين والسوربين برأس السنة وقد ركب احدى مركبتيه خلافاً لعادته لانه يفضل ان يركب مركبة اجرة قائلاً انه اذا حدث حادث فلا اكون



بينكما صداقة قديمة ما كان وجه للاعتراض على المكاتبة . هب ان الشاب المسلم حليم بك طلب مني ان اكتبه فهل كنت اجيبه الى ذلك كلاً . او هب ان اميناً اخا بهيمة طلب ان اكتبه فالمرجح عندي اني كنت اعتذر عن قبول طلبه فقال اذاً لا فرق بينك وبينها

فقات كلاً قد لا يكون أقلُّ فرق بيني وبينها وقد تكون احسن مني من كل وجه ولكن عادات قومها ونظرمهم الى الامور تختلف عن عاداتنا ونظرنا اليها وقد يسهل التوفيق بين عاداتهم وعاداتنا وقد لا يسهل . هذا لا يمنع ان تكون هي معتادة عاداتنا كلها وان لا يختلف عليها الحال في شيء ويحتمل ايضاً ان يكون ابوها وامها واخوها كذلك . ولكن واحسرتاه على اخيها ترى ما هي حاله الآن

فقال لا اعلم واكدي اني كنت افكر به وحده وانت تتكلمين الآن . اذا أصيب بالتهاب الدماغ او بنزف فيه ضعف الامل بنجاته فقات اما النزف فقد مضى وقته واما الالتهاب فكان يجب ان يظهر قبل الآن . ما هي عبارة تلفرافهم

فقال العبارة تطمن ولكن كل الكتاب عن الشرق يقولون ان الشرقيين لا يذكرون الصحيح عن مرضاهم كأنهم يتشاءمون من ذلك فصمتت وعادت تنظر الى البحر

فقال لها يجب ان نذهب ونشكر زوجة القبطان فقات نعم وسارت معه . وكانت زوجة القبطان واقفة مع برودي يتحدثان فلما رأتهما مقبلين نحوها تبسمت لهما وقالت عسى ان تكونا قد رأيتما ما سركما

فقال هنري حقاً ان كل شيء من الطبقة الاولى وقد كان ثاني القبطان على غاية اللطف واخبرنا اموراً كثيرة مفيدة ولم اكن اعلم ان حلفاءنا بلغوا هذه الدرجة من المهارة في بناء السفن وعمل الآلات

فقات نعم ونحن رينا في البحر مثلكم ولقد سافرت مع زوجي مراراً كثيرة لاني افضل البحر على البر . هل رأيتما السمكة الطائرة . في هذا البحر كثير من الغرائب

فقات لهُ دورا وماذا تفعلون لو نشبت الحرب بينكم وبين الروس فان سفنكم التجارية تضطرُ حينئذٍ ان تبطل سيرها وتختبي في مرافئكم فتكون الخسارة كبيرة عليكم فقال نعم قد نضطر ان نتوقف عن السفر مدة ولكن حركة التجارة تزيد قبل الحرب وبعدها زيادة تجبر النقص الذي تنقصه في مدتها. وقد ربحنا في الشهور الستة الاخيرة اكثر مما كنا نربح في سنة كاملة من زيادة الشحن ومن غلاء الاجرة واكثرنا مساهمون في شركائنا فنظلم على حسابها ككل ثلاثة اشهر وهمنا مصاحبتها لانها عائدة علينا. واسلوب الاشتراك هذا شائع عندها اكثر مما هو شائع عندهم

فالتقت دورا الى اخيها وقالت لهُ أتذكر حديثنا في نادي الصحافة وانا يعجبني هذا الاسلوب وارى انه الحل الوحيد لمسألة العمال واصحاب الاعمال لان العامل الذي لهُ سهم من الربح يكون اوفر هممةً ونشاطاً واهتماماً من العامل الذي ليس لهُ الا اجرته ثم صعد بهما ثاني القبطان الى ظهر الباخرة ولما بلغاهُ رأيا الركاب مجتمعين حول سمكة كبيرة من السمك الطيار طارت في الهواء او وثبت فيه ووقعت على ظهر السفينة وكان احدهم يبسط جناحيها وهي زعانف كبيرة بين اضلاعها غشاةً صفيق فسرى هنري برويتها لانهُ قرأ عنها ولم يرها قبل الآن فجعل يتفحصها ملياً ثم مضى وغسل يديه وعاد ووقف ينظر الى البحر لعلهُ يرى سمكة اخرى تطير منه وقال لاخته ارايت يا دورا عاقبة الطمع هذه السمكة مخلوقة لتعيش في الماء فلم تقنع بذلك بل طلبت ان تعيش في الهواء ايضاً وتزاحم الطيور على معيشتها فاودت بنفسها

فضحكت دورا وقالت ارايت انت عاقبة من يطلب ان يعيش في غير عنصره فقال نعم يقع ولا يعود يقوم. ولكن اتظنين حقيقة ان الفرق بيننا عظيم بهذا القدر

فقات لا اظن ولكن لا يخلو الامر من شيء من الفرق

فقال اصبت لقد طلبت منها ان تسمح لي بالكتابة لها فابت ولو كانت انكليزية او اميركية ما طلبت منها ذلك بل كنت اكتب اليها من غير ان اسألها وعلى كل حال كانت تقرأ مكاتبي وتكاتبني

فقات اظن ان الحق معها في هذا الامر نعم او كانت تعرفك معرفة كافية وكان

صنّاع اليابان من باب التحسين في الآلات الاوربية ولا سيما التي يقتصد بها ما يحرق من الفحم

فقال دورا لثاني القبطان يظهر لي انكم ستبارون الانكليز في التجارة لان بلادكم جزيرة مثل بلادنا وهي كثيرة الاجواف والمرافئ مثلها وبالقرب منكم بلاد واسعة كثيرة السكان يسهل الاتجار معها

فقال اصبت وقد كنا اهل تجارة من قديم الزمان وكانت سفننا التجارية تصل الى كوريا والصين ثم دخل قوم من الاوربيين بلادنا ففتنوها واضطروا ملوكنا ان يطردوهم من البلاد وان يحظروا علينا بناء السفن الكبيرة لكي لا نخرج منها ولم نعد الى بناء السفن الكبيرة الا منذ عهد قريب اي منذ نحو عشرين سنة ثم رأيت حكومتنا ان تعري الشركات الوطنية بالاكثار من بناء السفن البخارية الكبيرة فقطعت لها الاعانات المالية بعد حربنا مع الصين والآن تسير سفننا الكبيرة الى اوربا واميركا واستراليا وروسيا وكوريا والصين وعندنا خطان من البواخر التي تذهب الى اميركا وخط الى انكرا ومنه هذه السفينة وخط الى استراليا وخط الى روسيا وخط الى كوريا و١٣ خطا الى الصين وفي كل خط عدة من السفن الكبيرة التي محمول الواحدة منها ستة آلاف طن فاكثر وهي تضارع اكبر السفن البخارية واكثرها راحة لركابها. وعندنا الآن ١٠٨٨ سفينة بخارية كبيرة محمولا نحو سبع مئة الف طن و٣٥٠٠ سفينة شراعية كبيرة محمولا اكثر من ثلثمئة الف طن. وعندنا شركتان للسفن التجارية احداها شركة نبون يوسن كيشا من اكبر شركات السفن البخارية في الدنيا

فقال هنري وهل تجارتكم الخارجية كبيرة الى حد يقتضي هذا المقدار من السفن التجارية. فقال نعم وقد كانت قيمة الصادرات والوارد في العام الماضي نحو ٥٤ مليون جنيه و ينتظر ان تبلغ هذه السنة ٦١ او ٦٢ مليوناً ولا يزال جانب كبير من تجارتنا الخارجية يرد ويصدر في السفن الاجنبية فالسفن اليابانية تحمل نحو عشرة ملايين طن والسفن الاجنبية تحمل نحو ١٦ مليون طن ولذلك لم يزل المجال واسعاً امامنا لبناء سفن اخرى

يربح كل فريق منهم مئة الف جنيه في السنة من عرق رعيته بل من الدم المستقطر من عروقها فلحال يغتفر ذنبه ويقال انه ملك مصلح استدان الاموال لاصلاح بلاده واستثمار خيراتها اولتقوتها ومنع الاجنبي عن الطمع فيها

والصحافة ولا سيما الصحافة الصفراء جاءت ضغناً على ابالة وشاركتها الصحافة القديمة المعروفة بالرزانة والتبصر فتبارت كلها في الكسب ولا تكسب الا اذا اكثر القراء من ابتياعها ولا يكثرون الا اذا حملت اليهم اخبار الحروب والخصومات . فترى في اثارها اكبر مروج لها حتى قيل انها هي التي اضرمت نار الحرب بين اميركا واسبانيا هذه الخواطر جالت في بال هنري برون وهو على ظهر السفينة اليابانية في البحر الاحمر في بدء السنة الميلادية سنة ١٩٠٤ فاسف لانه جارى اباه على مطامعه وود ان يكشف اخته بذلك وكانت جالسة مع امرأة القبطان تتكلم معها وتسالها عن بلاد اليابان وتلك تسالها عما شاهدته في مصر لانها لم ترد ان تعطي اكثر مما تأخذ خلدت في اليابانيين ساعدهم على هذا النجاح الذي نجحوه في مدة وجيزة . فدنا هنري منهما فعايدته زوجة القبطان برأس السنة ومدت اليه يدها فصاحتها وشارت اليه ليجلس فجلس ولم تكن قد رآته ذلك اليوم لانها لم تفرط مع الركاب ثم قالت له ان اباك من اعز اصدقائنا وانصارنا ونحن مديونون لكم كثيراً لما تبذونه من المساعدة لنا والاهتمام بامرنا فشكرها على حسن ظنها

ثم سألتها عما اذا كان قد شاهد الباخرة ورأى ما فيها من الانتظام فقال كلاً فنادت ثاني زوجها وكلمته باليابانية ثم قالت بالانكليزية ان الخواجه هنري برون ومس برون اخته من اعز اصدقاء اليابان افلا تريد ان تطوف بهما في السفينة تريهما ما فيها من الآلات والادوات ثم قالت لهما ان القبطان كان يود ان يفعل ذلك بنفسه لكنني سألته عنه فقال انه على المرقب يهتم بسير السفينة لان هذا البحر كثير الصخور والجزائر المرجانية الحفنية تحت الماء فلا يريد ان يفارق المرقب ولا سيما في هذه البقعة . فنزل ثاني القبطان معها الى محل الآلات واراها كل قطعة واخبرها بالمعمل الذي صنعت فيه وكان اكثرها مصنوعاً في بلاد اليابان نفسها وشرح لهما الامور التي زادها



وتتأج الاختبار . وويل لمن لم يته نفسه عن الهوى ولم يجد من حوادث الايام نذيراً .  
 وخلفه عشائه بقي دمه في دماغه ولم يهبط الى معدته فبقيت الافكار تتزاحم عليه  
 واكثرها افكار سوء وهو يتقلب ويتململ الى ان لاحت تابشير الصباح فنهض من  
 فراشه اصفر الوجه غائر العينين ولكنه شديداً التنبه كأمس وما قبله فاكل مما قدم له  
 وامر زين الدار ان تذهب وتسال عن امين بك ثم خرج الى مكتبه ووصل اليه قبل  
 شريكه وراجع حساب الامس فرأى ان ربحه كان وافراً رغمًا عن انشغال باله

### الفصل العشرون

#### رأس السنة

دخلت سنة ١٩٠٤ وجو السياسة مكفهر والمخابرات دائرة بين الروس واليابان في  
 بطرس برج وطوكيو ولكن رجال المال والاعمال الذين في يدهم شؤون الامم في هذا  
 الزمان واثقون ان هذه المخابرات لا تجدي نفعاً الا لان اهالي الشرق ضاق بهم شرقهم  
 فهم يطلبون منتجعاً في بلاد الغرب ولا لان اهالي الغرب ضاق بهم غربهم فهم يطلبون  
 الرزق في بلاد الشرق . كلاً . ولا لان القيصر يطمع في ان يلبس تاجاً آخر فوق  
 تاجه . ولا لان الميكادو يرغب في ان يورث ابنه مملكة أخرى فوق مملكته .  
 والاربعون مليوناً من الحراس والصنّاع والعمال في بلاد اليابان الرجال منهم والنساء  
 واولادهم لا يعلمون شيئاً من امر توسيع الممالك وانتجاع الارزاق لان كلاً منهم مكثف  
 بما يجده من الارز والفاكهة في بلاده . ولا المئة واثلاثون مليوناً من امم الروس تمهم  
 بورت آرثر او فلادفستوك واكثرهم لم يسمعا اسميهما ولا اسم اليابان وانما مصالح  
 التجار واصحاب المعامل وارباب الاموال هي الدافع الوحيد الى هذه المناظرات الدموية  
 ليرتكب ملك من الملوك ما شاء من الفظائع التي تقيم الدنيا وتقعدها ثم ليوص  
 معمل ارمسترنج او معمل كروب بمئة مدفع او مئة الف بندقية فيفتقر وزره وتصمت  
 الصحف عن ذمه او تغنى بمدحه . وليفرط ملك اخر في ما شاء من الاعمال التي  
 يأبأها العمران ثم ليعقد قرضاً يشرك فيه البنوك الفرنسية والالمانية والانكليزية حتى

للدخول فلم يكذب ان دخل وقال انه ذهب الى بيت واصف بك لان سقوط امين بك شق عليه جداً . ولما سمعته استير يرأى بهذه الواقعة نظرت اليه شزراً ومشت ولم تكلمه ورأى ذلك منها فاحتمد غيظاً ولكنهُ كظلم غيظهُ حينئذٍ و بقي يكلم الخواجه لاثي كأنهُ لم ير شيئاً . فسأله الخواجه لاثي عما اذا كان قد اخبر واصف بك باشتغال ابنه في البورصة وبالمرکز الذي هو فيه فقال انه فعل ذلك . فقال له وماذا قال لك واصف بك فقال لم يقل لي شيئاً حتى الآن والخسارة ليست جسيمة والامل كبير بالربح فقد اقلت بورصة لندن بصعود عدة بنوط . ثم ودّع وخرج

وتلك الليلة جلس عزرا في النيو بار وحده وهو يفكر في احتقار استير له وفي طريقة يجتذبها بها اليه او ينتقم منها وتحسر على الايام الماضية ايام الاصوص والقرصان حين كان المرء يغري احد قطاع الطريق بيضعة دناير فيخطف له اية فتاة ارادها وقال في نفسه مضت تلك الايام ولم يبق لنا سلاح للانتقام الا المال والمحاكم . وبينما هو يفكر في هذه الامور دنا منه رجل ايطالي وطالب منه صدقة ولج في الطلب وهو يقول انه جائع ليس عنده ما يتعشى به ويعشي اولاده فنظر عزرا اليه ملياً ثم مد يده الى جيبه وناولهُ نصف ريال وقال له تعال اليّ بعد ساعة الى مكنتي امام البورصة فمرة كذا فشكرهُ الرجل الف شكر وذهب وهو لا يصدق ان عزرا يعطيه نصف ريال احساناً وبعد ساعة وافاه الى مكنتيه فاخذ يستقصي عن احواله بالتدقيق واقام معه ساعة زمانية ثم صرفهُ وعاد الى النيو بار وهو لم يذق عشاء فشرّب كاسين من البيرا واكل ما معهما من اللماظ الى ان كانت الساعة الحادية عشرة فمضى الى بيته وخلع ثيابه وحاول النوم فطار النوم من عينيه وكثرت عليه الهواجس وهو يتصور استير تارة في صورة ملاك كريم يشمخ عليه كبراً ودلالاً وطوراً في صورة شيطان رجم آتٍ للانتقام منه ثم تحظر له صورة زين الدار والدموع تهطل من عينها لما سمعت ما حلّ بامين فيكاد قلبه يلين لكن النفس الامارة بالسوء الموروثة من عصور الخشونة والهمجية حين كان الناس كالوحوش الضواري يفترس بعضهم بعضاً — هذه النفس تغاب اكرم الاخلاق وانبلها اذا لم يستعن المرء عليها باوامر الدين ونصائح الفضلاء ولم يردعها بارشاد العقل

يحقر قيمة المال مثل الاشتغال بالبورصة اذ يربح الواحد الالوف ويخسر الالوف في ساعة من الزمان واخشى ان يتمكن داء البورصة من امين فيبدد ثروة ابيه  
فقلقت استير من كلام ايها كما قلقت مما اصاب اميناً من سقطته ورأت انها عاجزة عن ان تساعد بشيء ولو رأت من ايها عدم الاهتمام به لحثته على الاهتمام ولكنها رآته مهتماً مفكراً فاجأت الى الصبر وهو الخلق الذي تغلب به المرأة وتنال رغائبها

### الفصل التاسع عشر

#### الحيلة

لم يكد داود خادم عزرا يخرج من مكتبه بالكتاب الى بيت واصف يك حق  
خطر لعزرا ان زين الدار ليست لتوتمن بعد ما اظهرت ما اظهرت من الحزن على  
امين بك فنادى داود وقال له اذهب ضع المكتوب في صندوق البوسطة وخذ هذه  
ثلاثة مليات ضعها عليه . فوضع داود المليات الثلاثة على المكتوب وسار به الى اقرب  
صندوق في ساحة الاوبرا ومر به رجل شيخ اسمه فورتى من سماسرة السماسرة فقال  
له الى اين فقال ذاهب لاضع هذا الجواب في الصندوق . فقال له الى من فقال الى  
امين بك بن واصف بك وقر علي المشوار الى الظاهر

فورتى — مشوار الى الظاهر لماذا لا تذهب بالترامواي

داود — ومن يدفع اجرة الترامواي

فورتى — اظن معلك يخرب الدنيا على قرش تعريفه

داود — اهو تعلم كيف يجمع الناس الفلوس

ووصلا حينئذ الى صندوق احمر لاصق بالحائط فوضع داود الكتاب فيه وافترقا  
واراد عزرا ان يعرف الخبير اليقين عن امين بك فركب مركبة وسار بها الى بيته  
ليعوده ظاهراً ويطمئن بالله من جهة عدم سلامته باطناً . ولما وصل الى الباب ارسل  
ورقة الزيارة فقابله احد الاصدقاء وقال له ان امين بك على حاله فعاد بالمركبة ومر  
من امام بيت الخواجه لاثي وكان الخواجه لاثي عازماً على الخروج فسلم عليه ودعاه

الخطر اشد مما نظن وهو يعتقد ان الدماغ غير سليم . وانا واقع في مشكل آخر فانه اشترى قبل سقته اكثر من مئة وخمسين الف قنطار من القطن عن يد عزرا وابوه لا يعلم شيئاً من ذلك فهل الاحسن ان نخبره ونزيد همومه او نترك الامر وربما هبطت الاسعار ايضاً فتكثر الخسارة وقد استشارني عزرا في امره فاشرت عليه ان يخبره حالاً ولكنني رأيت واصف بك الآن فلم يقل لي شيئاً عن القطن والظاهر ان عزرا اخبره اخباره لكي تزيد خسارة ابنه او انه اخبره وهو لم يهتم بالخبر لانشغال باله

فتحقت استير ما اخبرتها به امها وادركت جسامه الامر لان الاشتغال بالبورصة شاع حتى بين النساء والبنات ولا يندر ان يشتري الرجل لزوجته او لابنته اسهماً او كترابات ويشركها معه في الاهتمام بالصعود والنزول وصار النساء يتحدثن باشغال البورصة في مجتمعاتهن ويهتمن بالكسب والخسارة اهتمام الرجال بهما وقد خصها ابوها ببعض الاسهم فشغل بالها بها حتى فقدت لذة العيش ثم اهمت امرها من تلقاء نفسها لانها رأت ان الربح والخسارة يشغلان البال على حدٍ سوى فلما سمعت ان امياً تطرّف في البورصة الى هذا الحد لامته في قلبها لكنها ودّت ان تنقذه من هذه الورطة كأنها مشاركة له فيها وانتقلت الى ايها وقالت له كم تظن بلغت خسائره الآن فقال لا اعلم ولكن اظن انها عشرون او ثلاثون الف جنيه . فابتدت مزيد الدهشة مع اعتيادها سماع الوف الجنيهات لانها ربيت على الاكتراث المال مها كان قليلاً وقد طالما رأت اباهما يحاسب تلى الغرش التعريفة مع انه ينفق على اسطبله نحو ثلثمائة جنيه في السنة ورأت امها نحاسب على نصف الفرنك وهي تدفع ثمن الفسطان ستين جنياً . وقالت لابيها ان اباه غني يسهل عليه دفع هذا المبلغ عنه ولكن دفعه في هذا الوقت يزيد ألمه وحرقة . فقال اظن ان الامر بالصد من ذلك لانه يقتدي ابنه الآن بكل مرتخص وغالٍ والخسارة واحدة سواء كانت كبيرة او صغيرة لدى من يسهل عليه دفعها ولا سيما خسارة البورصة الملعونة فالك ترين الرجل الذي يشق عليه ان تنكسر عصاه في يده وثمنها نصف ريال وان يعطي نصف غرش الفقير ثم يجد انه انطاه غرشاً خطأ . هذا الرجل نفسه يدفع الف جنيه خسارة كأنه دفع غرشاً واحداً . ولا شيء



مدام لاثي — اصببتِ ولكن انا غير قاطعة بصحة الخبر لان الجوارى مبهذرات  
فقد يصدقن وقد لا يصدقن وابوك لم يقل لي شيئاً عن خسارة امين ولكنه تأسف جداً  
على ما اصابه

استير — لا بد لي من ان اسألهُ حالما يرجع الى البيت . وعزرا هو الذي اخبر  
ابي عن وقوع امين وقال انه قُتل ونظر اليّ كأنه حزين على ذلك ولكنني قرأت في  
وجهه علامات الشماتة والتشفي

مدام لاثي — وابوك يقول ان الخطر شديد على امين وقد لا يقوم من هذه  
السقطة لا سمح الله — مسكينة امه

فجالت الدموع في عيني استير وارتحفت شفاتها ونظرت الى الحائط وقالت ما  
اقل بختي

فقات لها امها ليس الى هذا الحد يا استير نعم ان بيت واصف بك جيراننا  
واصدقائنا منذ خمس عشرة سنة وانا احب اميناً واخته مثل اولادي ولكن ليس الى  
هذا الحد يا ابنتي ولا تنسي انهم اقباط وان اولاد عمك ينتظرونك كلهم وموسى اتم  
دروسه في بلاد الانكليز ودخل في محل من اكبر المحلات التجارية وانا من رأيك من  
جبهة عزرا ولكن لست من رأيك من جهة موسى

فقات استير ولكن موسى وكّد وبالامس كنت اضحك عليه . فقات امها الولد  
يصير رجلاً وموسى كالمرحومة امه طويل القامة مليح الوجه تبين على معاطفه علائم  
الرجولية كما يظهر من صورته واظن انه يأتي في اواخر هذا الشتاء ليقتني بضعة اسابيع  
مع اخوته

فلم تقل استير شيئاً وأنتقع الحديث . وبعد قليل جاء الخواجا لاثي وقال لزوجته  
وابنته ورد تغراف من الزقازيق ان القطار الذي سافر فيه المستر برون واخته حاد  
عن الخط وانتقلت مركبة من مركباته ولا يزال واقفاً قرب التل الكبير . فقات مدام  
لاثي يظهر ان السنة ستمة نحس من اولها . فقال زوجها كذا يظهر وقد مرت الآن على  
بيت واصف بك فوجدت اميناً على حاله وامرهُ مشكل وقد قال لي الجراح ان

## الفصل الثامن عشر

## الشكوى

صدقيني يا استير لو وقع يوسف الواقعة التي وقعها امين ما كنت تأملت اكثر مما انا متألمة الآن وكل الحق على عزرا

هذا ما قالته مدام لاثي وكانت جالسة مع ابنتها في غرفة صغيرة تتناولان الشاي وحدهما وكانتا تتكلمان باللغة الفرنسية لان كل حديثهما في البيت بها . فقالت استير وما دخل عزرا في وقوع امين تحت الترامواي

فقات امها لقد بلغني منذ يومين او ثلاثة ان عزرا اصطاد امين بك وادخل رجله في حبال البورصة ولا بد من ان يكون قد خسر خسارة فاحشة او ربح ربحاً كبيراً بحيث انشغل باله مثل كل الذين يتدئون في شغل البورصة فعثرت رجله وهو يمشي لانه كان مشدّت الافكار

فقات استير من اخبرك انه يشتغل بالبورصة . فقات اخبرني قدم خير وقدم خير عرفت من زين الدار . والجواري السود يعرفن كل شيء لان فيهن عفتاً كما يقول اولاد البلد

استير — انا اكره زين الدار واحب ان لا تدخل بيتنا واعتقد انها جاسوسة علينا من قبل عزرا

مدام لاثي — عزرا شاب مجتهد ومن انسابنا ويقول ابوك انه كسب مكاسب طائلة هذه السنة

استير — مجتهد او غير مجتهد هذا لا يعنيني وشغل البورصة ليس عيباً والّا ما كان ابي واعلامي يشتملون به وانا لا الومه على ذلك ولكنني ابنت له الف مرة انني لا اطيقه لانني ارى في وجهه شيئاً ينفّرني منه وان كان قد اوقع امين بك في البورصة فيكون لانه يريد ان يسلب امواله حتى يفتقر ولا اعود التفت اليه وهذه دناءة منه واكبر دناءة

وبهية لا اعلم ما يكون من امرها . لم أرَ منها دليلاً قاطعاً على حبها لي غير شعوري وقد اكون مغترباً بنفسي كما يغترب أكثر الشبان

والتفت الى الساعة فرأى عقرب الدقائق قد وصل الى الدقيقة العاشرة فلام نفسه وشرع في الكتابة . كتب اولاً الى ابيه فأشار الى ما اصاب القطار بالايجاز التام وذكر له ما اخبره به المكاتب وهو ان الميرة التي تشحن الى اليابان اضعاف ما يشحن الى الروس وان المراقبة ستكون تامة متى نشبت الحرب . وكتب الى امه سطرين يأسف فيهما لان تأخر القطار منعه عن الكتابة لها بالاسهاب ووعدها بالكتابة عن ظهر السفينة وحرار في امره الى من يكتب ألى واصف بك وهو لا يعرف الانكليزية او الى امين بك وهو مريض او الى اخته وهي قد حذرت عليه الكتابة لها . واخيراً رأى ان يكتب الى امين بك فقال له « اني لا استطيع ان اصف لك مقدار السرور الذي شملنا مما نالنا من الشرف بالتعرف بكل واحد من اعضاء عائلتكم الكريمة كما لا اقدر ان اصف لكم مقدار غمنا على الحادثة المشومة التي حدثت لك وعلى اضطرارنا الى السفر قبل ان نراك ملكت صحتك . ولكن انا ودورا نرجو ونطلب من الله ان يزول هذا العارض سريعاً وتعود اليك صحتك التامة . وقد اصابنا نحن حادث طفيف في الطريق أخرنا عن الوصول الى السويس ثلاث ساعات والآن لا أرسلنا اليكم التلغراف قبل ذلك واني اشكركم على وصول جوابه ولولا هذه الحادثة لكتبتم اليكم بالاسهاب عن سفرنا وعمما نشعر به من الشكر لكم على كل الجميل الذي عامتمونا به ولي امل اننا حينما نصل الى عدن نأخذ خبراً عن قيامك بالسلامة . وارجو ان تهدي واجب الاحترام الى والديك المحترمين والى حضرة شقيقتي واني لك دائماً الصديق المحاص هنري برون »

وكتبت دورا الى بهية بمثل ذلك واسهبته قليلاً في وصف الحادثة التي حدثت للقطار وكتبت سطرين الى امها وختمت المكاتب وسلمها الى المكاتب ثم رفع سلم الباخرة وأقبل بابها وكانت قد صارت الساعة العاشرة

الانكليزية الا وهي مشحونة ميرة لليابان ومعنا في السفينة سبعة من مكاتبي الجرائد  
اربعة منهم ضلعهم مع اليابان واثان مع الروس وواحد بين بين . وقد وصل الآت  
المستر هنري برون واخته بعد ان كاد العدل ينتقم منهما فقد انحرف بهما القطار ووصلا  
متأخرين ثلاث ساعات . الوكيل هنا الآن وسأخذ كتابي هذا ثم تقفل ابواب السفينة  
وتسافر قبل الفجر وسأكتب من عدن وأعنون الكتاب باسم والذي »

ولما كان برودي يكتب الكتاب المتقدم الى سفارة روسيا في لندن اتى هنري  
ليكتب الى ابيه ثم التفت الى الساعة فوجد عقربها على التاسعة وسأل المكاتب الى اي  
ساعة تستطيع ان تبقى في الباخرة فقال الى الساعة العاشرة فقط . فقال في نفسه ساعة  
واحدة لا كتب فيها الى ابي وامى وبيت لافي وبيت واصف بك فبايهم ابدي .  
الرأس قبل القلب والجد قبل الهزل . فلا بد من الكتابة الى ابي اولاً ولكن كيف  
تكون بهية الآن هل اطمان بالها على اخيها وهل نسيته يا ترى او تفتكر في كما افتكر  
فيها وهل بلنها ما اصاب القطار . ما كان اجملها لما وقفت لوداعنا كنت ارى فوادها  
يخفق والدم يرد الى وجنتيها ثم يزليهما . ما اجمل تينك العينين النجلابون . هل جات  
فيهما الدموع على مصاب اخيها او على فراقنا . خير لي ولها ان يبقى هذا الامر غامضاً .  
لا شبهة عندي انها تحبني كما احبها ولكن قد تضي عليها عادات قومها بتركي كما قضت  
علي مطاب قومي بتركها . ان كنت احبها حقيقة فيجب ان اعطيها نفسي ولا افراط  
بها وأي تفریط اقبح من هذا . حرب تثار لخدمة المال فاكون من المذكين نارها ثم  
اذهب بنفسي الى ميادين القتال ترويحاً لجريده حتى يباع منها مليون نسخة في اليوم بدل  
نصف مليون وتزيد اموالنا زيادة لا حاجة لنا بها وانما تزيدنا تعباً وهمماً . اذهب الى  
ميادين القتال وقد اصاب برصاصة تضي علي في لحظة من الزمان او وقع جريحاً تطأني  
سنايك الخليل فتكسر مني الساق والذراع ويلصق اساني بجنكي من شدة العطش فلا  
اجد من يبل شفتي بقطرة ماء ثم تنهش لحمي الذئاب الى ان أتنفس النفس الاخير وكيف  
يكون حال ابي وامى واختي بعدي . ابي قد لا يسأل . هذا لورد ربرتس اصاب وحيدهُ  
في حرب البوير فهل دمعت عيناه . اما امى ودورا فلا شك انهما تحزنان علي مدى العمر



شرعت في بناء السفن الكبيرة منذ ثمانين او تسعين سنة اي قبلما شرعنا نحن في ذلك بنحو ستين سنة فما اخرها عن مجاراة اوربا بعد ان شرعت في ذلك

فقال هنري لا اعلم ولكن الامر مستغرب جداً وقالت دورا انا أعلم بعض السبب ان لم يكن كاهه فقد رأيت في القاهرة نساء مثل النساء المتعاملات المتهذبات في ارقى البلدان الاوربية ولكنني علمت منهن ان النساء اللواتي مثلن قليلات العدد واكثرهن من الاوربيات والسوريات واليهوديات والتركيات وأما نساء الفريق الاكبر من الاهالي فاكثرهن على غاية الجهل وعدد اللواتي يعرفن القراءة والكتابة بين كل نساء القطر المصري لا يبلغ سبعة في الالف فما دام نصف السكان أمياً وهو النصف الذي يربي الاولاد فكيف ترتقي البلاد . فاستغربت امرأة القبطان ذلك وهي من المهتمات بتعليم النساء في بلادها وقد ساعدت أباهما في انشاء مدرسة كبيرة لهن وجعلت تستخبر من دورا عن كل ما علمته من احوال النساء في مصر وتعليمهن

وانتقل الحديث الى الحرب المنتظرة فجعل القبطان يبرر اعمال دولته ويصف اعتداء الروس عليهم وكان المستر برودي أشد الموافقين له على ذلك فالتفت مكاتب التيمس الى مكاتب جريدة أخرى كان جالساً الى جانبه وقال له من هذا الرجل فقال لم يذكر له اسم في قائمة الركاب وأظنه تاجراً أو سائحاً

وقام النساء بعد الطعام وكن قليلات والتففن بارديتهن وخرجن الى ظهر الباخرة وأما الرجال فبقوا يشربون ويدخنون . ثم جاء مكاتب لندن نيوز يحمل تلغرافين الى هنري ودورا الواحد من بيت واصف بك يقال فيه ان أميناً أفق مراراً والاطباء يطمئنونهم عنه . والثاني من بيت لاثي يهتثها بالوصول بالسلامة ويرجو لها سفراً سعيداً وعوداً حميداً وقد أسفوا لان حادثة أمين بك منعتهم من توديعهم . ودنا برودي من دورا وسلم عليها وهناها بالسلامة وقال لها أنه اضطر أن يسبقها فجاء في اليوم السابق وقضى النهار في السويس . ثم عاد الى غرفة الكتابة وكتب الى السفارة يقول

« أريد على ما كتبتكم لكم الظهر ان في الباخرة نحو عشرين طنّاً من الديناميت وثلاثين صندوقاً فيها مدافع صغيرة وقد أكد لي الوكيل أنه لا تمر سفينة من السفن

من الاسمك واللحوم والخضر والمربيات وقدمت لهم اجود أنواع الخمور الاوربية ودار الحديث أولاً على ما حدث للقطار فوصف لهم هنري ما أصابه واصاب اخته وهو يضحك ويمزج الجد بالهزل . ومما قاله في هذا الصدد ان القطار خاف من صولة الانكليز لما وصل الى التل الكبير فارتعد واضطرب فقالت دورا نعم وكاد يدفنا مع الذين دُفِنوا هناك فقال هنري ولو فعل لعددنا بين الابطال . ثم استدرك على ذلك قائلاً ولكنني علمت من رجل من كبار الموظفين في سكة الحديد المصرية أن الحوادث التي من هذا القبيل قليلة جداً أقل مما هي في اوربا واميركا . فجعل القبطان يسأله عن نسبتها الى عدد الركاب وطول السكك وعدد القطارات وهو يجيب مما بقي في ذاكرته من كلام ذلك الموظف والقبطان يقابل ذلك بما يحدث في بلاد اليابان من هذا القبيل فظهر ان الحوادث التي تحدث في سكة الحديد المصرية قليلة بالنسبة الى عدد الركاب ولكنها ليست قليلة بالنسبة الى سرعة القطارات . واستطرد القبطان السؤال الى احوال القطار المصري وما بلغه عن ارتفاعه السريع . فجعل هنري يصف ما شاهده وما سمعه الى ان قال ان اهالي القطار المصري عشرة ملايين من النفوس ومع ذلك بلغت قيمة صادراتهم في العالم الماضي نحو عشرين مليوناً من الجنيهات . فجمحت عينا القبطان على صغرهما وكانت زوجته تتكلم مع دورا فالتفت اليه وقالت عشرين مليوناً من الجنيهات أي مئتي مليون ين . وكانت تحسن الانكليزية مثل زوجها وهي صغيرة القد بشوشة الوجه تحسبها فتاة في الخامسة عشرة او السادسة عشرة مع انها نصف ولها ولدان شابان احدهما في الجيش والاخر في البحرية وقد زارت اوربا مرتين قبل الآن

فقال هنري نعم عشرون مليوناً من الجنيهات وتسعة اعشارها من ثمن القطن الذي يصدرونه الى اوربا واميركا . فقال القبطان الى اليابان ايضاً وفي سفيتنا الآن لا اقل من ٥٠٠ بالة منه ولكن الذي يدهشني من امر المصريين ان بلادهم على بحرين وتجارتهم الخارجية واسعة ومع ذلك ليس عندهم شركات تجارية ولا سفن تجارية الا سفن شركة واحدة صغيرة ابتاعت سفنها من الحكومة ويباغني ان اشغالها ليست على ما يرام ولا تعطي المساهمين شيئاً من الربح وبلاد مصر على ابواب اوربا وقد

وعزما على النزول منه فقال لهما احد الكومسيرية لا خوف من ذلك لان السكة الحديد المصرية جرت على النظام الانكليزي حديثاً فلا يقوم قطار من محطة الى اخرى الا ويفرغ الخط الذي بينهما فما دمنا هنا لا يقوم قطار من المحطة التي وراءنا . فاطمان بالهما ولم يعلمتا متى يقوم القطار بهما وحسبا انها سيتأخران عن الباخرة التي كانا عازمين على السفر فيها . اما دورا فكانت ترجح ان ذلك بعيد الوقوع فلم تعبأ به واما هنري فكان يودُّ حدوثه ليتأخر اسبوعاً او اسبوعين ويعود الى القاهرة

وبعد ساعتين من الزمان اتت قاطرة سارت بقطارها فوصلا متأخرين ثلاث ساعات . ووجدوا الباخرة في المرفأ وهي يابانية من بواخر شركة نيون يوسن كايشا فنزلا اليها حالاً وارسلا تلغرافاً الى بيت واصف بك يسألان عن صحة امين بك وتلغرافاً آخر الى بيت انلواجه لاثي يشكرانه فيه ويخبرانه بوصولهما سالمين الى السويس وكان وصولهما الى الباخرة الساعة الثامنة مساءً بدل الساعة الخامسة فوجدوا ان

مكاتب جريديتهما قد اعد لهما غرفتين في منتصف السفينة من احسن غرفها والسفينة من اكبر السفن التي تسير بين اوربا والشرق الاقصى واكثرها اتقاناً وافخرها فرشاً وكان الركاب قد لبسوا للعشاء وبينهم كثيرون من كتّاب الجرائد الانكليزية وهم بثياب السهرة وفي جملتهم المستر برودي وكان بعضهم ينتظرون المستر برون وأخته وبلغهم ما اصاب القطار فأخبره عن ميعاده فلما وصلا السفينة حيوهما مرحبين بهما وطلبوا من القطبان أن يأمر الخدم ليمهوا في تقديم الطعام فغسل هنري ودورا أيديهما ودخلا غرفة المائدة من غير أن يغيرا ثيابهما فاستقبلهما الركاب باصوات التهليل والابتهاج وأعطوهما كرسيين الى جانب القطبان وزوجته . وعرف هنري كثيرين من الحضور فاولم اليهم مسلماً وقال للقطبان هل دارت رحى الحرب فاني ارى هنا كثيرين من كتّاب الجرائد فقتل القطبان كلاً ولكن لا بدّ منها عاجلاً أو آجلاً . وكان جالساً في صدر المائدة عند منتصفها وزوجته امامه والى يمينها مكاتب جريدة التيمس فجلس هنري الى يسارها وجلست دورا عن يمين القطبان وسيدة اخرى عن يساره . وقُدّم لهم الطعام لوناً لوناً وهو مما يكل عادة في السفن الكبيرة فرنسوية كانت او انكليزية

عنيمة ووقعت الاسقاط عن الرفوف فاصاب سفظ منها رأسه وكتفيه وكاد يقضي عليه

## الفصل السابع عشر

### الباخرة في السويس

كان اليونان يربئون احدائهم تربية رياضية حتى تقوى ابدانهم فتقوى عقولهم ويستطيعون مغالبة الخصوم في ميدان الحياة والفوز عليهم وانشأوا ما يسمى بالالعاب الاولمبية حيث كانوا يجتمعون ويتبارون في المحاضرة والمصارعة ويكلمون الفائز بالليل الظفر وجعلوا لذلك شأنًا دينيًّا حتى يرسخ في نفوسهم ويكون له المقام الارفع فيها . ولا نرى بين الامم الحديثة من اقتفى خطوات اليونان في هذا السبيل اكثر من الانكليز فانهم يربون احدائهم تربية رياضية ويعروضهم بتقوية ابدانهم ولذلك ترى شبانهم مجدولي العضل اشداء الاعصاب لا يحجمون عن المشاق وهم يشرعون في ترويض ابدانهم منذ الطفولية وقد شرعوا الآن في اغراء بناتهم بترويض ابدانهم ولا يندر ان ترى الفتاة الانكليزية سائرة مع اخيها للصيد والقنص وهي متأبطة بندقيتها مثله او تراها راكبة على جواد تطارد في ميدان السباق او على جمل تقطع به البراري والقفار ولهذا التربية الرياضية اثر ظاهر في ما يبدو من الشعب الانكليزي من القوة ورباطة الجأش والصبر على المشاق ولا يضاھيهم في ذلك الا الشعب الاميركي الذي حذا حذوهم والامم المتبديّة كالعرب والتركمان

وقد كان هنري ودورا من الذين ربوا هذه التربية فلما حدث ما حدث في القطار ووقعت الاسقاط على هنري حتى كادت تقضي عليه كانت غاية ما فعلته به وباخته انها اضحكتهما فهنضا وجملا يضحكان ويقهقهان حتى دمعت اعينهما ثم اطلأ من النافذة يسألان عما جرى فعلمتا بعد اللتيا والتي ان القاطرة اصابت خشبة وضعتها يد ائيمة في طريقها عمداً فحادت عن الشريط وحاد معها مركبتان ولم يحدث في القطار شيء غير ذلك ولكن كان لا بد له من ان يتأخر بضع ساعات الى ان تصل قاطرة اخرى من الزقازيق تسير به . وخاف هنري ودورا ان يأتي قطار آخر من الورا . فيصدم قطارهما



ويتورط في السبل التي يعتادها الشبان في مصر . ولكن هذه التربية السلبية لا تكفي لانها لا تقوي عقول الشبان واعتمادهم على انفسهم وليس في القاهرة كلها نادٍ ادبي يجتمعون فيه ويستفيدون من المطالعة ومن مذاكرة اهل العلم والاختبار كما في البلاد الانكليزية . وهي تمدح اميناً وتثني على آدابه واخلاقه ولكنها تقول انه مبذر متلافٍ لا يعرف قيمة المال ولا يقدر العواقب وتحشى من ان يكون قد تعلق حديثاً بشغل البورصة وقد سمعت انها تتكلم مع ايها في هذا الموضوع وعزمت ان تخبر امه لتردعه والاّ عطلّ مستقبله وخرب بيت ابيه . اما استير وبهية فجوهرتان وكلتُ منهما تحبُ الاخرى كما تحب نفسها على ما ظهر لي مما سمعته من كل واحدة منهما عن الاخرى . وقد لحظت ان اميناً يحب استير وهي تحبه والظاهر ان العائلتين تعرفان ذلك . هذه الامور لاحظتها ملاحظة وقد اكون غلطانة . وبيت واصف بك وبيت راغب باشا من الاصدقاء والظاهر ان حليماً صديق حميم لامين درسا في المدرسة سوية وكذلك واصف بك وراغب باشا . وحليمة اخت حليم بك من اجمل البنات اللواتي وقعت عليهنّ عيني طويلاً القامة بيضاء اللون شقراء الشعر سوداء العينين والحاجبين قد تمثّل فيها الجمال الشرقي بل الجمال التركي بل الجمال الشركسي . ومهما بالغ مصورونا في رسم العيون الحوراء والشفاه الحمراء والحدود الاسيلة والوجنات الموردة لا يبلغون نصف ما رأيت فيها ولم اشبع من النظر اليها . وهي مخطوبة لشاب من كبار رجال الحكومة وسيكون عرسهما في اواخر فبراير او اوائل مارس حينما يقلّ السياح في القاهرة لان اصحاب البيوت الكبيرة يتعبون من ازدحام السياح عليهم ويقال انه بلغت القحة من بعض السياح ان يصوروا العروس في جلوتها وينشروا صورتها في الجرائد وهذا يستعجبه المسلمون جداً . وطلبت حليمة مني ان نبقى في مصر لحضور عرسها وقالت لي استير ان الافراح الكبيرة مثل فرح ابنة راغب باشا يكلف ثلاثة آلاف جنيه او اكثر . وحقاً اني اود ان ابقى وراهُ ولكن الواجب اولى بالاتباع

ولم تكذب تنطق بالكلمة الاخيرة حتى ماتت بهما المركبة ولطمت بالمركبة التي امامها ولطمت بها المركبة التي وراءها فوقعت بين يدي اخيها ولطم رأسها صدره اطمة

اخيها وهذه لم تكن في الحسبان واذا فرضنا انه يقوم من هذه السقطة كما ارجو ويشفي منها تماماً فمتى يكون ذلك وهل يطمنن بالهم حتى يكتبونا واذا لم يقم من هذه السقطة لا سمح الله صار البحث في هذا الموضوع ضرباً من المحال وكيف التففتُ لا ارى الا ظلاماً دامساً لا نور فيه

ولما شرع في الكلام ابطل الاكل وجارته دورا في ذلك فرفع الخادم الطعام من امامهما وعرض عليهما لونا آخر فابيا وطبا الفاكية . ثم عادا الى مكانيهما وكانا جالسين وحدهما فقالت له دورا هب انك كتبت الى والديها وكتبا اليك وظهر لك من كتابتهما ان تزوجك بابلتتهما ليس في الامكان فاذا تفعل فقال ان هذا لا يكون

فقالت كيف لا يكون وقد فهمت من استير ان الاقباط لا يزوجون بناتهم للاجانب مع ان رجالهم يتزوجون بالاجنبيات فان ام بهية من السوريين الذين استوطنوا القطر المصري ولكن لم يسمع ان قبطية تزوجت باجنبي فقال اني لا انظر الى ذلك بل الى ما اشعر به في نفسي فاني اشعر ان هذه الفتاة خلقت لي وخلق لها ويخال لي انها هي ايضا تشعر كما اشعر ولا اعرف سر هذا الشعور المتبادل ولكنه حقيقة لا ريب فيها فقبست وقالت لا تزال انت انت

فقال نعم ومن يستطيع ان يكذب وجدانه ومتى صرت مثلي تشعر بن شعوري . فاحمرت وجنتاها وقالت هذا بعيد عني ولكن انظر كيف نسينا بيت واصف بك ولجة الحزن التي هم فيها

فقال اصبت ولا يجوز ان نفتكر في انفسنا الى هذا الحد قولي لي ماذا اخبرتك استير عن بهية وبهية عن استير واين اخو استير فاني لم اره الا مرة او مرتين فقالت سألت استير عن اخيها فقالت ان اباه صارم جداً عليه وقد وضعه في بنك لا تزيد اجرة فيه على اربعة جنيهات في الشهر وهو يحضه دائماً لكي لا يصرف منها شيئاً الا لانه بخيل بالطبع بل لانه يخاف ان يطلق له العنان في الانفاق فيمتاد الملاهي

الى الحث على الدين والتقوى حتى لما قال جورج لنش ان قصيدة كلنج المشهورة المعنونة  
بحمل الرجل الابيض نفاق ورياء عارضها بقصيدة يخاطب بها البيض بلسان السود قائلاً

احملوا حمل الترقى واملكوا املكنا

وانشرونا في الفيا في واخضدوا اشوا كنا

جئتمونا بسمومٍ وخمورٍ تنهكُ

وجحيمٍ يحشر الله به وبهالكُ

وقد حضرت عظة لاحد خدمة الدين ممثل فيها صور الناس في جهنم تمثيلاً تقشعر منه  
الابدان لم يأت ملتن في شعره بارهب منه ولا جاء دنقي بما يدانيه . وكان اكثر  
الذين صورهم في جهنم من النساء حتى حُيِّل لي ان الجحيم للنساء والنعيم للرجال .  
فصوروا واصاف مثل هذه ترسخ في نفوس الناس فيزيد خوفهم من الموت لانهم  
يرجحون العقاب بعده ولا سيما اذا علموا انهم يحاسبون على كل كلمة بطالة يقولونها .  
وقد يكون لخدمة الدين غرض ذاتي يدعوهم الى تخويف الناس من العقاب وقد يكونون  
مخلصين لا غرض لهم سوى خلاص النفوس ولكن النتيجة من ذلك واحدة وهي  
زيادة خوف الناس من الموت على ضد ما تعلم به الديانة المسيحية وكل الاديان الشهيرة .  
فلو عدل خدمة الدين عن هذا السبيل وشوقوا الناس الى الحياة الاخرى بعد الموت  
لزال مرارة من النفوس وخف فراق الاحباء على الاحياء وقضى الانسان الايام  
الاخيرة من عمره جزلاً متهللاً بما سيصير اليه بعد الموت . ولا رغبة لي الآن في  
موضوع مثل هذا لان اشتغال العقل وقت الاكل يضعف الهضم . هات قل لي الحق  
هل يخطر ببالك ان تعود الى مصر بعد الرجوع من اليابان

فقال نعم هذا كان مرادي ولكن الامر يتوقف على ما اراه من بهية ووالديها فانها  
لم تسمح لي ان اكتبها ولكنني ساكتب والديها فان رأيت منهما ما يقوي الامل طلبت  
منهما ان يسمحا لي بمكاتبها ولكنني لا ادري كيف تتمكن من ذلك ونحن في آخر  
المعمور ولا يصل البريد في اقل من شهر ويلوح لي ان الحرب صارت على الابواب  
وربما اضطر ان اذهب الى ساحة القتال ومن يعلم ماذا يصيبني هناك . ثم جاءت مسألة

واشار كفا في حزنها على اخيها . لا بدَّ من انها تقول ما اقسى هذا الرجل واقل وداده .  
والحق اننا نحن الانكايز قساة نضحي كل شيء في سبيل ما نعدُّه واجباً علينا  
ودخل حينئذٍ خادم ودعاها للطعام فقاما الى غرفة المائدة وكان الجلوس فيها  
قليتين فجلسا على مائدة وحدهما وكلا اللون الاول قبلما عادا الى الحديث . ولما اتاهما  
الخادم باللون الثاني قالت دورا لا اظنهم يجلسون على مائدة الآن ما اقيح الامراض  
والآفات فانها تنقص الحياة وتسلب منها كل مسرة ولا اظن ان المصاب يتألم اكثر  
مما يتألم ذوهه . لو كان الناس يعوّدون انفسهم الاستخفاف بالموت والترحيب به  
كأنه واسطة لا تقادهم من متاعب الحياة لما وجدنا في المرض والموت عشر معشار ما  
نجدّه فيهما الآن من الالم والكدر

فقال اخوها اصبتي ويصير الناس ياجأون الى الاتحار كلما اصابهم مرض او وجع  
لكي يتخلصوا من الالم لان الالم لا يزول بالفكر والتصوّر كما تظنين  
فقلت كلاً ليس الى هذا الحد ولكن ألم تقرأ ان بعض الاقوام يحسبون الموت  
سبيلاً للوصول الى دار السعادة فيرحّبون به واذا شاخ احدهم طالب من اولاده ان  
يقتلوه قبلما تنهكه الشيخوخة فيعجز عن مصادمة الاعداء في الوصول الى دار النعيم .  
فيقتلونه باحتفال عظيم ولذلك يفرحون بموت واحد منهم كما فرح نحن بولادته او بزيجته  
فلو اعتقد كل الناس ان الموت انتقال من دار الشقاء الى دار السعادة كما تعلم الديانة  
المسيحية لزال شوكته تماماً وصرنا نتظره ونرحب به كما نتظر ايام الربيع ونرحب بها  
فقال ان الخوف من الموت راسخ في النفوس منذ أوف من السنين ويكاد يكون  
راسخاً في نفوس الحيوانات لان منها ما يجزع من الموت ويضطرب . وقد مضى على  
الديانة المسيحية نحو الفي سنة تعلم الناس ان الموت انتقال من دار الشقاء الى دار السعادة  
ومع ذلك لم تنزع من نفوسهم الخوف من الموت

فقلت ان تعاميل هذا الامر الاخير سهل جداً لان رجال الديانة يعلمون ان  
بعد الموت دارين دار ثواب ودار عقاب ويخوفون الناس من دار العقاب اكثر مما  
يطمنونهم بدار الثواب . وكثيرون منهم يتخذون التخويف من دار العقاب سبيلاً



الآن وبهية تبكي وتنوح ويكاد قلبها ينفطر حزناً عليه . تصوري نفسك مكانها وأن مركبة التراواي داستني فقتلتي أو كادت ولك حبيب او صديق ولا بدّ له من ان يتركك في تلك الساعة تصوري نفسك مكانها

فاغرورقت عينا دورا بالدموع وقالت له اني اعرف ما يختلج فؤادك وأؤكد لك يا هنري اني احب هذه الفتاة كما تحبها انت واني آسفة جداً لفراقها على هذه الصورة ويكاد قلبي ينفطر عليها وعلى امها ولكن الواجب اولى بالاتباع ونحن مرتبطان بهذا السفر ولا مناص لنا منه واذا بقينا في مصر لا تقدّم ولا تؤخر ويقيني ان امين بك يقوم من هذه السقطة واظن اننا نجد تلغرافاً منهم في السويس يطمئنا عنه والا فلا بدّ لنا من ان نرسل تلغرافاً نسأل عن صحته

فقال لا اظن أنه يقوم من هذه السقطة ألا تذكرين اني رأيت بهية في حلم لابسة ثوباً اسود وهي تستنث بي والثوب الاسود علامة الحداد فتبسّمت وقالت عدنا الى الاحلام واضغات الاحلام . أتظن ان فكراً خطر لك وانت نائم يقدم ويؤخر في امور الناس ومجرى احوالهم

فقال لا يمكننا أن نكدّب كل ما يقوله البعض عن ادراكهم للغيب فان الحوادث كلها الماضي منها والحاضر والمستقبل يفصلها الزمان بعضها عن بعض فاذا لم يقيد العقل بالزمان استطاع ان يدرك المستقبل كما يدرك الحاضر . وكيف ندرك الماضي ونحن بعيدون عنه سنيناً او قروناً ولا ندرك المستقبل وقد لا يكون بعيداً عنا الا أشهراً او أياماً . ولا بدّ من انك تقولين لي كيف ندرك حدوث الشيء وهو لم يحدث بعد فاجيب ان كل حادث متعلق بسلسلة من الاسباب سابقة له وهو موجود فيها بالقوة ولو لم يكن موجوداً بالفعل فكما نرى الزهرة فتصوّر الثمرة التي تتكون منها ونراها بالبصيرة ولو لم نظرها بالباصرة ونرى الطفل فتصوّر الرجل الذي يصير منه كذلك عين العقل تقوى في بعض الناس قهمتك حجاب المستقبل وتعلم الحوادث الآتية مما هو جار . وما لي ولهذا البحث الفاسفي الآن ألم أصف لك بهية قبل أن تأتي الى مصر أو لم تجدي وصفها مطابقاً لما وصفتها به . أو اه يا دورا كم أتمنى أن اكون الآن بجانبها أسليها

## الفصل السادس عشر

## لوعة الوداع

دورا — ما بالك يا هنري صامت لا تتكلم  
 هنري — ماذا أنكلّم أنظري هذه البلاد كم طوت من الامم الغابرين وهي  
 على حالها من عهد الفراعنة الاولين فلاّحها يعيش بالجد والكدح وغنيها يتمتع بجنى  
 فقيرها ثم يدرج الككل تحت التراب  
 فالتفتت من كوة القطار ورات المروج وقد كساها البرسيم ثوباً من الزمرد وقالت  
 ترى ما يكون حال أمين بك الآن

هنري — اذا أنتِ تفكرين فيهم اما انا فاني باذل جهدي لكي انسى ما مضى  
 فلا استطيع ويخطر ببالي احياناً ان اعود من السويس ولكن السفينة تقوم صباح الاثنين  
 ولا تقوم سفينة بعدها الى اليابان توّاً الا بعد اسبوعين وهمتي تقضي عليّ بالذهاب في  
 هذه السفينة وقد ضاقت بي الحيل ولا اعلم كيف اعمل . يجوز ان اضحي عواظي كلها  
 لاجل عمل لا ينالني منه ربح مادي ولا ادبي لماذا نذهب الى بلاد اليابان ؟ لخدمة  
 المالين لكي تكثر اموالهم اما جمهور الاهالي الفلاحين والمعدّنين والصنّاع وهم التسعة  
 الاعشار فلا يستفيدون شيئاً. والمليون ايضاً لا يستفيدون لان زيادة المال لا تزيد الراحة  
 بل تزيد التعب. هذا لورد بنشيلد تقدّر ثروته باكثر من ثلاثين مليوناً من الجنيهات ودخله  
 اليومي باكثر من ثلاثة آلاف جنيه وقد سمعتُ منه ان ما ينقده على نفسه من ما كل  
 ومشرب وملبس لا يزيد على ثلاثة جنيهات في اليوم يأكل في الصباح بيضةً ويشرب  
 كاساً من اللبن والقهوة ويأكل الظهر قطعة من السمك وقطعة من اللحم وقليلاً من  
 الخبز والخضر والفاكهة ونحو ذلك في المساء وان زاد بلي بالتخمة ويلبس مثل اوسط  
 الناس وما هو الا وكيل على امواله يهتم نهاراً وليلاً بتشغيلها وتمثيرها فلو بلغنا مبلغه من  
 الثروة لزدنا طمأً وتعباً . أنظري كيف نحن الان مسخران لغيرنا . كيف دست قلمي  
 وعواظي وخرجت من بيت واصف بك وابنه على فراش الموت ولا امل ان اراه بعد

والاذن الاول عشرة آلاف فصار الاذنان مئة وستين الف قنطار بثمانية عشر ريالاً  
والسعر الآن كم . فقال حاييم سبعة عشر ريالاً فقال صار الفرق ريالاً اي اثنين  
وثلاثين الف جنيه عدا السمسة وبلغ ربحنا منه اولاً ستة عشر الف جنيه فصار الربح  
كله ثمانية واربعين الف جنيه مصري ما عدا السمسة اكتب الفاتورة حالاً وارسلها  
مع داود الى بيت واصف بك

ثم جعل يفكر في استير ويقول في نفسه لا بد من انها كانت تحب امين بك  
فقد احمر وجهها اولاً ثم اصفر لما اخبرتها واخبرت اباه انه قتل ونظرت الي شزراً  
ولكن الله كريم لا بد من ان تنساه ويجب علي ان اظهر امامها بمظهر كرم الاخلاق  
والحزن عليه والاحسن ان اوصي على اكليل كبير بوضع تلى نعشه . اكليل بخمسة  
جنيهات صار ربحنا منه نحو خمسين الف جنيه فلا نبخل عليه بخمسة جنيهات ونستجلب  
رضاها ومحبتها . اما الخواجه لافي فلا اظن انه يمانع في اقتراي بها ولا سيما اذا عرف  
مقدار ربحي هذه السنة . وتبقى مسألة حلیم بك ابن راغب باشا فقد قالت قدم خير  
جارية بيت لافي انها سمعت الشيخ احمد يطنب بمدحه امام استير وايها . ما قصد  
هذا الرجل ياترى . لو مدحه امام الخواجه لافي فقط لقلنا ان مراده عقد سلفه او  
بيع بعض الاطيان ولكن ما مراده من مدحه امام استير . لا نخلص من مشكل حتى  
تقع في آخر ولكن الله كريم من لا يأتي بالقوة يأتي بالحيلة

بمثل هذه الافكار كان يناجي نفسه حينما عاد يهودا من البورصة وقل له ان قطن  
يناير وقف على ١٧ ريالاً فاستبشر خيراً وادخل حساب امين بك مع حساب اليوم  
الماضي وكان قد تركه مفتوحاً للغاية مثل هذه ثم خطر على باله زين الدار وبكاؤها على  
امين بك فقال ان هذه الجارية السوداء ارق قلباً مني . لكنه طرد هذا الفكر من باله  
حالاً قاتلاً الدنيا حرب الذي يأخذ استير من امامي آخذ روحه وصم اذنيه عن  
توبيخ ضميره

وان الاطباء عاجزون عن انقاذ ابنه من مخالب الموت فارتجفت شفاته ودمعت عيناهُ  
وسلم امره لله

وحضر حينئذٍ مأمور من قبل المحافظة وكتب احوال الحادثة وامضاها

## الفصل الخامس عشر

### باب الامل

لم تكد المركبة تجري بانخواجه لاثي وابنته حتى جعل عزرا يناجي نفسه ويقول  
قد جاء الامر طبق المرام ولو بقيت سنة كاملة ادبر الحيل واتداير حتى اخلص استير  
من هذا الشاب واكسب امواله ما عثرت على طريقة احسن من هذه . ولكن لا بد لي  
من ان أأخر اعلام ابيه بذلك حتى تزيد خسارته وقد بلغ النزول الآن ريالاً كاملاً  
واذا استمرت الاسعار على هذا النزول فلا عجب اذا بلغ النزول ريالين او ثلاثة ولكن ما  
الحيلة حتى يصله العلم ولا يلتفت اليه . الاحسن ان ارسل الفاتورة اليه واعمل طريقة  
حتى لا يفتحها الا بعد يومين او ثلاثة . ثم خطر على باله ان يستعين بزین الدار  
فنادها واخبرها ان امين بك قُتل قتلته الكور بائية وان مراده ان يرسل جواباً الى  
واصف بك ولكنه لا يريد ان يطلع عليه الآن لحزنه على ابنه وطلب منها ان تجد  
له طريقة حتى لا يستلمه الا بعد يوم او يومين . ولما سمعت ان امين بك قُتل وقفت  
مبهوتة ثم جلعت الدموع تهطل من عينيها وهي تقول مسكين امين باي مسكينة امه  
واخته كيف قتل وشرعت تبكي . فانتهرها وقال لها ان كان لا بد من البكاء فلا  
يمكنها ان تعمل له العمل الذي طلبه منها . فقالت له ماذا تريد ان اعلم فقال اذهبي  
الآن الى بيت واصف بك ومتى رأيت الخادم داود داخلاً بالجواب فقولي لاحد  
الخدم ان يستلمه منه ولا يسلمه لواصف بك اليوم . فوعده انها تفعل ذلك وخرجت .  
اما هو فنادى حايم وقال له هل وضعت التاريخ على الاذن فقال كلاً فقال ضع عليه  
تاريخ امس اذا وكم المقدار فقال خمسون الف قنطار فقال ألا يمكن ان تجعلها مئة وخمسين  
الف قنطار ارني الاذن ضع واحداً وراء الخمسة انتهى المشكل مئة وخمسون الف قنطار



مع زوجته في هذا الموضوع وكان يرى ان العادات القومية تحول دون اقترانها به لانه لم يسبق لقبطية ان تزوجت انكليزيا . وخاف ان يكون ما بدا منه شعوراً وقتياً يزول سريعاً اما زوجته فكانت تقول انه ليس كذلك بل هو يحب ابنتها من كل جوارحه وقد خرج من مصر غضباً عنه ولولم يكن الانكليز متر بين على تفضيل الواجبات على كل شيء لترك السفر الى الشرق الاقصى وبقي في مصر وبهية تحبه ايضاً ولولم تجاهر بذلك . هذه الامور جالت في باله فزاد استغراباً من عدم مجيء زوجته وابنته الى المحطة . ثم قال لعل بهية خافت ان يبدو منها شيء وقت الوداع ففضلت البقاء في البيت ولقد اصاب في ذلك وهي مُصيبة في كل اعمالها وياليت اخاها مثلها لكنه متهور لا يقف عند حد وهو على لين عربيكته وطيب قلبه سهل الانخداع ولا يقدر العواقب . وعاد الى البيت فرأى مركبة الخواجه لاثي امام الباب ومركبة اخرى ظنها لجراح مشهور فزاد استغرابه وقلق باله حتى اذا نزل من المركبة شعر كأن رجليه عجزتا عن حمله ودخل الدار فرأى بهية واستبر على مقعد واحد متعانتين تبكيان معاً فظن اولاً انهما تبكيان لفراق اخت المستر برون واتفق حينئذ خروج الطيب والخواجه لاثي من غرفة ابنه فدنا الطيب منه وقال لا شيء يوجب الشغال البال وقص عليه ما جرى بالايجاز فلم يفهم شيئاً ودخل غرفة ابنه ولما دنا منه حاولت زوجته ان تكفكف دموعها فلم تستطع فأنحنى وقبّل جبين ابنه ثم خرج وجلس مع الطيب واستعادته القصة بالتدقيق وسأله عمّا فعل ودخل حينئذ الطيب الاول الذي شاهد امين بك اولاً وكان قد ذهب واتى بكيس لوضع الثلج وجلس الطيبان يتداولان وقال لهما واصف بك احضرا كل من تريدان من الاطباء فقال له الجراح لا داعي الآن لحضور احد . وبعد مداولة استغرقت عشر دقائق اتفقا على طريقة العلاج وقالوا لوصف بك ان الحالة لا تخلو من الخطر ولا يمكن البت فيها قبل الغد . فاوصاهما ان لا يذكرنا شيئاً امام زوجته وابنته . وجلس يفكر في ما توّول اليه حاله بعد ابنه وهو وحيد ورجاؤه في الحياة فاطلمت الدنيا في عينيه وجعل يلوم ابنه على طيشه ويلوم نفسه لانه لم يحسن تربيته حتى يكون شديد الحذر . ثم راجع ما قاله له الجراح فايقن انه خفف عليه الامر

شاخصة لا تتكلم كأنها لم تع شيئاً مما قلته وقد امتنع لونها حتى زال احمرار شفيتها ولم تصدق ان قال ابوها للسائق «بيت واصف بك خذنا الى بيت واصف بك سوق حلالاً» حتى تنفست الصعداء.

وضرب السائق الجوادين بسوطه فسارا ينهبان الارض نهياً ولم تكن الا دقائق قليلة حتى قطعت المركبة شارع الفجالة ووصلت الى شارع الظاهر الى بيت واصف بك . وخطر للخواجه لاثي حينئذ ان يترك استير في المركبة او ان يقول لها لتذهب الى البيت اما هي فنزلت من المركبة قبله ونظرت اليه نظر المتوسل كأنها تقول له دعني ادخل ايضاً . فقال لها هل يناسب دخولك انتِ فقالت ولماذا لا يناسب ان ارى بهية وامها واعزيمهما . وارتجفت شفاتها وهطلت الدموع من عينيها فرق لها حتى كادت الدموع تذرف من عينيها وادخلها معه . ولحتهما بهية داخلين فقامت للقائهما ولما دنت من استير خنقتها العبرات وارتمت عليها وامتزجت دموعها بدموعها واعتنق الاثنان ووقف الخواجه لاثي هنيهة ينظر اليهما ثم تركهما تبردان لوعتهما ومشى احد الخدم امامه الى الغرفة التي نقل اليها امين بك فرآه ملقياً على سريره وامه راكعة بجانب السرير لا تعي على شيء . فدعت عنياه ووقف لا يبدي حراكاً . وبعد هنيهة فتح امين بك عينيه ورآه فحاول التمس له وأشار اليه ليجلس فعلم الخواجه لاثي انه لا يزال في قيد الحياة ولكنه لم يعلم حقيقة ما اصابه ولا درجة الخطر الذي هو فيه ودخل الطبيب حينئذ فيسلم واراد الخواجه لاثي ان يسأله عن حاله فاوماً اليه ان لا يفعل . ثم جس نضبه ونظر في عينيه وخرج فتبعه الخواجه لاثي

لما سار القطار من محطة مصر بالمستر برون واختمه عاد واصف بك مستغرباً عدم حضور ابنه وابنته لوداعهما وكذلك عدم حضور الخواجه لاثي وزوجته وابنته على غير عادتهما . وركب مركبته وهو يفكر في امر ابنته فان زوجته كانت قد اخبرته بما رأته منها وسمعتة من حين التقت بالمستر برون وكيف صارت قليلة الكلام كثيرة التفكير وقد سألتها عن شأنها معه فآخبرتها بكل ما قاله لها ولم تخف عنها شيئاً . وتحدث واصف بك

الكاتب - اوفاهُ قبل الميعاد بعشرة ايام سلمنا به قطناً وزاد له عندنا اكثر من  
الفي جنيه

الخواجه لاثي - وكم الفائدة التي انفقتم عليها

الكاتب - طلبت منه الفائدة القانونية تسعة في المئة فاستغلاها وقال انه يدفع  
سبعة ثم طلع الى ثمانية فقلت له ان الامر ليس في يدي بل في يد جنابك  
الخواجه لاثي - طيب قل له يدخل

فخرج الكاتب ثم عاد بعلي بك والتقاهُ الخواجه لاثي الى وسط الغرفة واجلسه  
عن يمينه وقدم له علة السكاير وطاب له القهوة وهو يقول اهلاً وسهلاً بعلي بك ثم  
سأله عن اولاده وعن المدير ومهندس الري وقال اخبرني فيتا انك طالب عشرة  
آلاف جنيه البنك كله على حسابك برهن او بغير رهن

فشكره علي بك على ذلك وقال انه لا يريد ان يفعل الا الامر القانوني . ثم  
عرض ان يأخذ العشرة آلاف جنيه بر باثمانية في المئة سنوي ويقسطها اقساطاً متساوية  
على خمس سنوات ويرهن المئتي فدان ويدفع كل المصاريف القانونية

فرضي الخواجه لاثي بذلك وامر الكاتب ان يخبر الافوكاتو ليكتب الرهنية وسمح  
لعلي بك ان يستلم المبلغ المطلوب حالاً قبل كتابة الرهن ولم يكذبتم كلامه حتى دخل  
الفراس وقال ستي استير تحت في العربية تنتظر حضرتك لتذهبوا وتودعوا الخواجه برون  
ففتح ساعته وقال نعم نعم لم يبق الا ربع ساعة ثم قام واعتذر الى علي بك  
واخذ عصاهُ ونزل وكانت السيدة استير في مركبة فاخرة يجرها جوادان ادهمان من  
الخيل الروسية وسائقها بالباس الاسود والبرنيطة العالية والى جانبه خادم بثياب مقصبة  
فنزل وفتح باب المركبة ولم يكذب الخواجه لاثي يجلس الى جانب ابنته حتى دنا منه  
عزرا السمسار وقال له بلغني الان ان مركبة الترامواي صدمت امين بك بن واصف  
بك وقتلته فان احد خدمة محلنا كان آتياً من جهة السبلندبار وراهُ بعينه وقع امام  
الترامواي وقد رفعوه ميتاً مهشماً ووضعوه في مركبة وساروا مسكين هذا الشاب فاني  
متأسف عليه جداً . ثم التفت الى استير لكي يظهر لها كرم اخلاقه في اسفه عليه فراها

الخواجه لاثي — ينجح وكم يساوي الفدان من الاطيان التي اشتراها منا يا ترى  
الكاتب — يقول انه لا يبيعه بمئة وعشرين جنيهاً وقد عرض عليه مئة جنية في

الفدان فلم يرد ان يسمع

الخواجه لاثي — اشترى منا تسع مئة وخمسين فداناً منذ سنتين لا غير دفع ثمن  
الفدان منها اثنين وسبعين جنيهاً فاذا باعه بمئة جنية فقط يكون ربحه ثمانية وعشرين  
جنيهاً في كل فدان فكم يكون ربحه من الاطيان كلها

ثم اخذ القلم وجعل يخط على القرطاس وقال يكون ربحه من الاطيان التي اشتراها منا  
سته وعشرين الفاً وستمئة جنية. كنا نقول ان الفلاح مجنون فاذا هو العاقل ونحن المجانين  
ثم وقف وجعل يمشي في الغرفة ذهاباً واياباً ويضرب رأسه بيده ويقول هو العاقل  
ونحن المجانين . ولا يبعد ان يبيعه بمئة وعشرين جنيهاً فكم يصير ربحه منها . فقال  
الكاتب خمسة واربعين الفاً وستمئة جنية . فقال الخواجه لاثي كم كم خمسة واربعين  
الفاً وستمئة جنية . خمسة واربعين الفاً في سنتين انظر من منا المجنون . ثم وقف امام  
الشباك وجعل ينظر منه الى المركبات السائرة في الشارع تباعاً سراعاً ذهاباً واياباً وعيناه  
تريانها وافكاره شاردة تجمع الجنيهاً الفاً فوق الف وتتصور الفلاحين اصحاب  
العائم يتمعون بالغنى الوافر ويركبون المركبات الفاخرة تجرها الخيول المطهمة . ثم التفت  
الى الكاتب وقال له لماذا يطالب عشرة آلاف جنية الآن

فقال ان احد جيراني عنده خمسون فداناً ملاصقة لاطيانه وقد اوصلها ابن اخيه  
الى عشرة آلاف جنية اي الفدان بمئتي جنية فاضطر ان يطلبها بالشفعة نكايه بابن  
اخيه ولا بد من دفع الثمن فوراً

الخواجه لاثي — خمسون فداناً — الفدان بمئتي جنية . من سمع ان الفدان بمئتي  
جنية الفدان الذي كان يعرض على الفلاحين بعشرة جنيهاً وبخمس صاريه بمئتي  
جنية . لا يمكن ان تدوم الحال على هذا المنوال ولا بد من « كريبه » فتعود الاسعار  
وتهبط . ولكن ما دام ثمن القطن على ما هو عليه فهبوط الاسعار ضرب من المحال .  
اخذ ان اوفى القسط كله في آخر السنة



ويظهر الفوز لها او تنتصر في معركة كبيرة . على هذا الشرط تم الاتفاق مع السفير فاتفق الثلاثة على رأي واحد وخاطب صاحب التلغراف شركاءهم في نيويورك وصاحب التلغراف شركاءهم في باريس وفيينا وبرلين وذلك بسلك خاص للتلغراف وسلك خاص للتلغراف وفي اقل من ساعة جاء منهم الجواب بالايجاب وامضى الامر وكتب الكاتب قرارهم وسار به الى سفير اليابان

## الفصل الرابع عشر

### مظهر الحب

جلس الخواجه لاثي في مكتبه وهو غرفة تطل على شارع المناخ من جهته الشمالية تدخلها شمس الشتاء من كوة جنوبية كبيرة والغرفة فسيحة جداً فيها مائدة كبيرة امام الخواجه لاثي ومعدان وكراسي ملبسة كلها بالجلد المراكشي البني اللون وفي ارضها سجادة عجمية تغطيها كلها وعلى احد جدرانها خرائط للعاصمة وضواحيها وما فيها من الاراضي البراح المعدة للبناء والى يمين هذه الغرفة غرفة للانتظار يجلس فيها الذين يطلبون مقابلته الى ان يأذن لهم في ذلك والى يسارها غرف الكتاب

وكان في غرفة الانتظار رجل من كبار العمدة بالعمدة والقفطان والجببة وفي يده عصاً مقبضها من الذهب وهو العلامة الوحيدة الدالة على غناه لا سلسلة ذهب على صدره ولا خاتم ماس في يده وانما فيها دبله سادجة من الفضة . وهو كهل يناهز الخمسين لكنه زوج اولاده وكاد يزوج اولادهم ولم يكذب يستقر به الجلوس حتى دخل احد الكتاب ورحب به وقدم اليه سيجارة وامر الخادم بتقديم القهوة وجعل يسأله عن احوال الاطيان والزراعة ويبالغ في تكريمه وتبجيله وبعد حديث دام نصف ساعة دخل غرفة الخواجه لاثي وقال له ان علي بك أتى الآن طالباً عشرة آلاف جنيه ويرهن عندنا مئتي فدان يقول ان الفدان منها يساوي مئة وخمسين جنياً

الخواجه لاثي — الفدان يساوي مئة وخمسين جنياً ؟ اين هذه الاطيان

الكاتب — في الغربية في مركز قاين

بالفشل ولا بدّ لهم من قهر اليابان واذلالها مها اقتضت الحرب من الرجال والاموال لورد بنشيلد — قد يكون ذلك وقد لا يكون ولكن هب ان روسيا امتلكت اليابان وهو امر بعيد الوقوع جدًّا فان حقوقنا على الجمارك اليابانية تبقى محفوظة لنا لا تمس الثاني — هل تقرّر امر الحرب

لورد بنشيلد — كلاً لم يتقرر حتى الآن ولكن الذين يؤخذ بقولهم يقولون انه لا بدّ منها والظاهر ان اليابان ستضرب الضربة الاولى اذا لم تجبها روسيا الى كل مطالبها من غير تعديل ولا تحوير واذا اجابتها اليها فيكون الفوز لليابان اعظم مما لو فازت في الحرب لانها تصير المتصرفة المطلقة في كوريا وفي منشوريا ايضاً وهذا لا ترضى به روسيا بوجه من الوجوه

الثالث — الى كم تحتاج اليابان بعد ذلك لو نشبت الحرب

لورد بنشيلد — اليابانيون على غاية الاقتصاد في ما ينفقونه من بلادهم ولا يضطرون الى الانفاق الكثير الا على ما يتعاونونه من اوربا واميركا كالبوارج والمدافع ولكن لا يبعد ان لا يحتاجوا الى عشرين مليون جنيه اخرى قبل انتهاء الحرب وهب انهم احتاجوا اليها فعندهم مكوس الاشربة الروحية تبلغ ستة ملايين وستمئة الف جنيه فتريد على ربا الدين ولو بلغ مئة مليون جنيه وليس عليهم الآن دين لاجنبي سوى عشرة ملايين من الجنيهات رباها اربعة في المئة فقط

الثالث — وقعت في ما كانت تحذر الوقوع فيه ولا ادري لمن الفضل في ذلك

لورد بنشيلد — الارتهان يجرّ الى المراقبة والمراقبة لا تضرّها بل تنفعها كما نفعت غيرها . هذه مصر نجحت تحت المراقبة نجاحاً لم يحلم به اهلها ولا حاملنا به نحن

الثاني — ولكن شتان بين مصر واليابان ومع ذلك فنحن لا بهمنا من امر الامم الا ان تكون اموالنا مضمونة وان يدفع رباها في مواعيده فان صحّ ما قلت عن دخل جماركها فلا مانع من اقراضها عشرة ملايين من الجنيهات بفائدة ستة في المئة الثالث — متى يصدر هذا القرض

لورد بنشيلد — لا يمكننا اصداره الا بعد ان تضرب اليابان الضربة الاولى

أكبر فائدة مالية يمكن ان تجني في هذا الزمن وقد جاءني السر ادورد برون امس مندوباً من قبل زدي الصحافة واطلعتني على محركات مكانيهم في الشرق الاقصى وفي بطرس برج وموسكو ويتضح منها ان استعداد اليابان اتم من استعداد الروس من كل وجه وانه اذا نشبت الحرب بينهما فالغوز لليابان الا اذا حدثت امور اتفاقية ليست في حساب احد . والظاهر ان لجنة نادي الصحافة كفت اصدار القرض لليابان وقد دفعت عنها ثمن مدرعتين بنيتا في جنوى لحكومة الارجتنتين وجاءني السر ادورد برون من قبلها يرجو ان آخذ بيده ومضى على سفير اليابان اسبوعان وهو يذاكرني في هذا الموضوع

فقال الثاني وما هو الضمان الذي تقدمه لنا اليابان او ما هو الرهن الذي ترهنه لنا فقال لورد بنشيلد ان دخل الجمارك في اليابان مليون وستمئة الف جنيه حسب تقدير الميزانية هذه السنة وهو ليس مرهوناً فيصلح ان يكون رهناً لعشرة ملايين جنيه بل لعشرين مليوناً ولذلك لا ارى بأساً في اقراضها المبلغ المطلوب فقال الثاني وكم تكون فائدة هذا القرض

فقال اللورد بنشيلد طلبنا منها ستة في المئة والمرجح انها تقبل ما طلبناه اذا اصررنا عليه وقد بذل سفيرها جهده ليجعل الفائدة خمسة فقط فأبنت له ان ذلك ضرب من المحال في الاحوال الحاضرة

فقال الثاني . وبكم يصدر القرض

فقال لورد بنشيلد — اراد السفير ان يصدره بسبعة وتسعين ونزل الى خمسة وتسعين في المئة فأبنت الا ان يصدره بتسعين في المئة واخيراً اتفقنا على اصداره بثلاثة وتسعين في المئة اذا وافقتموني على ذلك فتصير الفائدة نحو ستة ونصف في المئة سنوياً مضمونة بدخل الجمر

فضحك الثاني وقال بارك الله في الحروب لولاها ما كان يمكن ان تصح النبوءة القائلة اننا نرجع بثروة الامم

فقال الثالث ولكن كتب اليّ ثقة من بطرس برج ان الروس لا يمكن ان يرجعوا

وافق مجلس نوابنا عليه والآن فيبقى ديناً خاصاً الى ان ندبر امره وقد جاءني بالتلغراف اول امس ان البيع تم وعقد العقد ودفعت الثمن

فقال الدكتور يدغوروزير المعارف اظن اننا تسرّعنا في مشتري الطرف ادين ويبلغني ان الثمن الذي دفعناه فاحش جداً ولا تنسوا ان المليون جنيه الذي ندفعه ثمن بارجة يماثل عشرة ملايين جنيه تدفعها انككترا او فرنسا لان النقود رخيصة عندهم وغالية عندنا فالمليون جنيه تساوي اجرة مليوني عامل عندهم وتساوي اجرة عشرين مليون عامل عندنا ولا يحسن بنا ان نحمل انفسنا فوق طاقتها لاجل حرب لا يعلم ماذا تكون نتيجتها

فقال الكونت تارو رئيس المجلس ان الامر ليس في يدنا ولا نحن مخيرين فيه حتى نختار فان روسيا لا تزال تماطل وتحاول لكي تعتم الوقت وتزيد تحصين ثغورها وتعبئة الجنود وارسالهم الى منشوريا فان لم نبادر ونضربها الضربة القاضية الآن تعذرت علينا مقاومتها في المستقبل

ثم تلا عليهم خطاباً مسهباً وارداً من السفير وجلسوا يكتبون المقترحات الاخيرة ليعرضوها على روسيا مصممين على ان لا يتنازلوا عن حرف منها ولما اتموا كتابتها طلبوا التشرّف بمقابلة الامبراطور ليعرضوها عليه فقابلهم وناقشهم في كل بند من بنودها ثم بيضوا المسودة الاخيرة وارسالها بالتلغراف الى سفيرهم في لندن وهو ارسلها في ذلك اليوم عينه مع رسول خاص الى بطرس برج

### الفصل الثالث عشر

#### القرض الياباني

في غرفة فاخرة الاثاث والرياش في قصر من قصور لندن ام المدائن ثلاثة رجال جلوس حول مائدة وامام احدهم آلة التلغراف يخاطب بها احد المالين في اميركا وامام آخر آلة التلفون يخاطب بها ابن عمه في باريس والثالث اكبرهم وهو لورد بنشيلد فقال قد حان لنا ان ننتقم لاخواننا الذين قتلوا ظالماً وعدواناً وان نستفيد في الوقت نفسه



من غير معارض . والى اين ترسل ابناؤنا الذين ضاقت بهم جزرنا ان لم نرسلهم الى البلاد المجاورة والى اين ترسل بضائعنا اذا لم نحملها بمعاهدات وثيقة تصكفل الربح لصناعنا . ولا اقول ذلك معارضة لحضرة العضو الذي سبقني في الكلام بل اظهاراً للحقيقة وتحذيراً من خطأ يجب ان لا تقع فيه . فوصية الفيلسوف هربرت سبنسر كانت تصدق علينا منذ عشر سنوات او اكثر واما الآن فلا تصدق علينا . والاستعداد للحرب لا يوقع الحرب ولا يقربها بل يبعدها ما امكن . وانا لست اقل من احد منكم كراهة للحرب ولكن كراهتي لها هي التي توجب علي بذل الجهد في اتقانها . واثقاؤها على هذه الصورة هو الخطة المشروعة التي تجري عليها الدول الاوربية . اما اقتراض المال من اوربا برئى معتدل فلا ضرر منه علينا لان اكثر الاموال التي تقترضها تنفق في بلادنا وتوزع فيها فكأنها اموال تقترضها الحكومة وتعطيها للاهالي برأى معتدل لا يستطيعون الاقتراض به هم . وصفوة المقال ان القرض ضروري ولا ضرر منه على الاطلاق بل منه نفع كبير لنا ولذلك ارجو الاقتراع على طلي والمصادقة عليه

فنهض واحد من حزب اليسار وافاض في مناقضة وزير البحرية وبالغ في مضار الحرب وفي ان نفعها لا يعود عليهم . وخالفه واحد من حزب اليمين ودام الجدل اكثر من ساعتين واخيراً اقترح على طلب وزير البحرية فوافق عليه مئتان وعشرون وخالفهم مئة واربعون فقبل بالاكثرية

ثم عرضت لوائح مختلفة فوافق المجلس على بعضها واجل البحث في البعض الآخر . وفي الصباح اجتمع الوزراء عند رئيسهم الكونت كونسورا تارو فقال البارون اراسوكي وزير المالية لا اظن ان مجلس الاعيان يتوقف عن المصادقة على القرض . والكلام بيننا اننا شرعنا في استعمال القرض من الآن ثم التفت الى الاميرال البارون ياماموتو غمبي وقال له أليس الامر كذلك . فقال نعم وبالضرورة احكام فاننا لم نر لنا بداً من مشتري الطرادين المدرعين من حكومة الارجننتين والاشترتهما روسيا وقد اشارت علينا حايفتنا انكثرا ان لا تتأخر عن مشتراهما لحظة وقام بعض اصدقائنا في انكثرا وجمعوا ثمنهما وارسالوه مع مندوب خاص الى جنوى على ان يستوفوه من القرض اذا

وتمرتوا عليها منذ قرون كثيرة ثم انهم متحالفون بعضهم مع بعض وتجمعهم جامعة الدين ولهم كلهم مصلحة واحدة في الممالك الشرقية فاذا حاربنا دولة من دولهم وانتصرت علينا ارهقمتنا ذلاً وغرامة واذا انتصرنا عليها لم نلج منها شيئاً . ولنا عبرة بما جرى معنا لما اردنا ان نجني ثمرة فوزنا على الصين فان ثلاثاً من اقوى الدول الاوربية تصدّين لنا وواحدة منهم لم تكذب ان خطفت الثمرة من يدنا والتتمتها غنيمة باردة ونحن ناظرون اليها لانستطيع ان نبدي حراكاً . فاذا كان القرض للاستعانة على محاربة دولة اوربية فهو الخراب العاجل والوباء الجارف فيجب علينا منعه بكل واسطة ممكنة

فقال له بعض الاعضاء احسنت احسنت وقال غيرهم لم تحسن ولم تصب ولما جلس نهض وزير البحرية وقال لا اعتراض عندي على شيء مما تكله العضو الكريم من وصية الفيلسوف هربرت سبنسر فانها صحيحة يجب العمل بها في الاحوال التي فرضها ولكن سبنسر اوجب علينا الابتعاد عن الاجانب وابعادهم ما دما اضعف منهم وحقته في ذلك واضحة وقوله مؤيد لا غبار عليه اما الآن فلم نعد ضعفاء كما كنا منذ اثنتي عشرة سنة لما كتب سبنسر وصيته بل قد تقدمنا في هذه السنوات تقدماً ادهش اوربا واميركا حتى ان اعظم الدول البحرية خطبت ودنا وحالفتنا

ولو صحّت وصية سبنسر في حالي القوة والضعف على حدّ سوى لوجب ان تبقى كل دولة مستقلة بنفسها معتزلة عن غيرها من الدول ولا تمتع كل اختلاط وتقوضت دعائم الالفة وهذا لم يردّه سبنسر على الاطلاق وانما حضنا على الاعتزال ما دما ضعفاء اما وقد قوينا الآن وحاربت جنودنا كتمناً لكتف مع الجنود الاوربية وبرهنت على انها مثلهم نظاماً وشجاعة كما شهدوا لها وانتظمت امورنا الداخلية تمام الانتظام فلم يبق لنا عذر عن مجارة غيرنا من الامم . ثم ان كنا نخاف الحرب حقيقة فيجب ان نستعد لها لان الاستعداد لها امنع حدوثها واذا لم نستعد طمع فينا الطامعون واضطرونا الى الحرب او الى الذل والصغار . اويليق بهمتنا وعزة نفوسنا ان تؤخذ غنيمتنا من ايدينا ونحن صاغرون هل يليق بنا ان تضيق بلادنا علينا والارض واسعة حولنا ونمنع عن السكن فيها والاشترك في خيراتها واهالي اوربا واميركا يأتونها ويسكنونها

العصر وفي كل العصور وهو الفيلسوف هربرت سبنسر (ولما لفظ اسم هربرت سبنسر نهض ثلاثة ارباع الاعضاء وقوفاً وحنوا رؤوسهم تجلّة واكراماً لذلك الفيلسوف العظيم لانهم من تلامذته فنظر المتكلم اليهم يمينا ويساراً وقال) ان وقوفكم ايها السادة وما ابديتوه من دلائل الاكرام لذلك الفيلسوف العظيم يشجعني على الاسهاب في اقتباس ما نصح لنا به من القول الحكيم الذي كان مرشداً لنا في الماضي ويجب ان يبقى مرشداً لنا في الحال والمستقبل . قال الفيلسوف في نصيحته التي كتب اليها انها يجب علينا ان نبعد الاوربيين والاميركيين عنا ولو قيد ذراع وان نبذل اقصى جهدنا في منعهم عن التمكن في بلادنا لانهم اقوى منا فيخشى علينا منهم واذا فتحتنا بلادنا لهم ولا موالهم كان ذلك الضربة القاضية علينا لاننا اذا انلناهم موطناً قدم في بلادنا ومسنداً يستندون اليه تحوّلوا الى الاعتداء علينا بحر الزمن

هذا ما اوصانا به ذلك الفيلسوف المختص في نصحه واي سبيل يمكننا ان نفتحه للاجانب علينا اوسع من ان نستدين منهم الاموال ونرهن عندهم بعض موارد بلادنا فان الارتهان يجرّ الى المراقبة والمراقبة تجرّ الى المشاكل كما قال لنا سبنسر في وصيته والمشاكل تجرّ الى السيطرة والاستعباد للاجانب . فيا ابناء نبون يا نسل الحكمة البواسل اننا من حين رقي اسلاف امبراطورنا العظيم الى سدة الملك منذ اكثر من الفين وخمس مئة سنة ونحن عائشون احراراً لا سلطة لاجنبي علينا فهل يجوز في شرعكم ان نسلط الاجنبي علينا الآن . أنعيش في الحرية ونحن في العصور التي نحسبها مظلمة ثم نعيش في الاستعباد حينما نستشير . هل تبيح لكم وطنيتكم ذلك واتم ابناء الحرية وابناء النور . كلاً يا سادتي لا تفتحوا سبيلاً للاجنبي علينا ولا تنيلوه موطناً قدم في بلادنا . ولذلك فانا اعترض على عقد قرض اوربي مهما كانت شروطه ومهما كان الداعي اليه ثم اذا كان المراد من هذا القرض ان نستعين به على محاربة دولة اوربية كما تدلّ الدلائل فيكون الامر ادعى الى اجتنابه لان نجاحنا في الحرب مع الصين وكوريا ليس فيه اقل دليل على اننا ننجح في محاربة دولة اوربية لان قدم الاوربيين ارسخ من قدمنا في اساليب العمران الحديث وهم اقدر منا على العمل بها لانهم مارسوها

بالغ ولكن لا خوف منه وإنما الخوف من ارتجاج الدماغ وكان في يده حنجر من الامونيا العطرية ينشقه اياه فافاق وفتح عينيه ونظر الى ما حوله متعجباً ولما وقعت عينه على هنري حاول مد يديه اليه فلم يستطع فأغض عينيه وقال اين انا وعاد الى البحران . ووقف الطبيب حينئذٍ وقال لهنري الامر عرضي على ما يظهر . وافاقت مدام واصف بك حينئذٍ ومشت الى ابنها فالتقاها الخواجه هنري وقال لها انه فتح عينيه الآن وتكلم فشكرته على ذلك وركت امام ابنها ووقعت على عنقه تقبله وكان لا بداً لهنري ودورا من الذهاب لان ساعة السفر قد ازفت وانتهت بهية الى ذلك فتجلدت ومدت لها يديها وقالت كنا ننتظر ان نودعكما في المحطة ولكن امر الله فوق كل امر فقال لها هنري ان الطبيب يؤكد ان الامر عرضي ولو في طائفي أن أواخر هذا السفر أو أمنعه لفعلت ولكن اتمعتنا في القطار ولم يبق الا دقائق قليلة لسفره . ثم ودعاها وودعا امها وخرجا

ولما وصلا الى المحطة رأيا واصف بك في انتظارهما هناك ليودعها وعجب لان ابنة وابنته لم يحضرا لوداعها فقالا له انهما مرّا على بيته وودعاها ولم يذكر له شيئاً عن ابنه ولم يكادا يدخلان المركبة حتى صفر القطار وسار

## الفصل الثاني عشر

### مجلس النواب الياباني

اجتمع الاعضاء كلهم ولم يتخلف منهم الا ثلاثة او اربعة وهذا قليل ولو لم يكن نادراً . ولما استقر بهم المقام افتتح الرئيس الجلسة وجرت اشغال عادية لم يطل البحث فيها ثم وقف وزير البحرية وطلب مصادقة المجلس على اقتراض مئة مليون ين ( ١٠ ملايين جنيه ) من بنوك اوربا واميركا لتعزيز الاساطيل . فنهض احد الاعضاء من متطرفي المعارضين وهو مشهور بقوة المعارضة ومقاومة الوزارة الحاضرة واستأذن في الكلام وقال

لقد اوصانا فيلسوف من اكبر فلاسفة اوربا ان لم يكن اكبر فلاسقتها كلهم في هذا



لا تبدي حراكاً . واقبل الخدم وعلاصياح الجواري وشمل الاضطراب كل من في البيت ثم عادت بهية الى نفسها وكان الرجال قد القوه على مقعد في الدار وخرج بعضهم يدعون الاطباء

لما كان امين مطروحاً على الطريق امام مركبة الترامواي كان الخواجه لاثي والمستر هنري ومهندس من كبار مهندسي الري يتذاكرون في مشرتى الاطيان من الحكومة . وبسط المهندس خريطة كبيرة رسم فيها موقع الاطيان وكيفية وصول المياه اليها وما يشير بانشائه من الترع والمصارف فيها وتقدير النفقات اللازمة لذلك و اشار هنري الى الحديث الذي جرى بينه وبين واصف بك فرفض المهندس رفضاً باتاً ان يعمل برأيه وقال انه لا يكون من ورائه الا الفشل التام لان الوطنيين لم يعتادوا تأليف الشركات وادارتها . وكان هنري بوداً ان يختصر الحديث على قدر الامكان فقل اذن اترك الامر في يدك ويد المستر لاثي وقد كتبت الى ابي ليكاتبكما في هذا الشأن ومع ذلك لا ارى ما يمنع اشترك الوطنيين معنا لا سيما اذا كانوا مثل واصف بك من اهل المقدره في المال والاختبار . وأجمع رأيهم على ان الخواجه لاثي يدير الامر بحكمته

واسرع هنري الى الاوتل و امر الخادم ان يمضي بامتعه الى المحطة ويضعها في المركبة وركب مع اخته ليذهبا ويودعا بيت واصف بك قبل سفرهما ولما وصلا الى الباب الخارجي اعطيا بطاقة الزيارة الى البواب فشى بين ايديهما مشيراً اليهما باتباعه فقبعا حتى وصلا الى باب الدار فرأيا جمعاً غفيراً فيها وامامها ورأتهما بهية فبادرت اليهما وعيناها مغرورقتان بالدموع ووجنتاها تكادان تشتعلان من هول المصاب و اشارت الى اخيها وهو ملقى على المقعد والطبيب يعصب رأسه . ومال رأسها على عنقه حتى كادت تقع على الارض فاسرع هنري اليها وامسك بيديها وادنت اخته كرسياً منها فاجلسها ووقف ينظر تارة اليها وتارة الى اخيها ثم التفت الى جهة اخرى فرأى مدام واصف بك على مقعد والجواري يفركن يديها فبادرت دورا اليها وجعلت تفك ازرارها وترك هنري بهية تطفي لوعتها بدموعها ودنا من امين بك وسأل الطبيب عنه فقال الجرح

الى دورا حين سفرها ولم يكد يصل الى السبلندبار حتى خطر له انه اخطأ في كيفية الاذن الذي سلمه لعدرا لانه لا يقيد بزمان المشتري ولا بزمان البيع وعزم ان يعود اليه ويقول له ان يشتري هذا المقدار ما دام السعر دون ١٨ ريالاً وان يبيع كل ما اشتراه له اذا هبطت الاسعار وبلغت خسارته مقدار الربح الذي ربحه اولاً اي انه يخاطر بالربح الذي ربحه لا باكثر منه . وعاد نحو البورصة وهو يفكر في هذا الامر الى ان بلغ طريق الترامواي فسمع صوتاً كقبح الخنزير فالتفت الى جهته واذا اوتوموبيل كبير آتٍ عن يمينه من الجهة الغربية فاسرع لكي يجيد من طريقه وسمع حينئذ صوت جرس الترامواي من الجهة الجنوبية فالتفت اليه وللحال عثرت رجله بخطوط الحديد وسقط على وجهه وعيناه نظران الى مركبة الترامواي مقبلة اليه كأنها قلعة عظيمة مادت بها الارض وانفجر بركان وراءها فقذف بها في الهواء ورآها مسرعة اليه حتى حجبت الارض والسماء من امام عينيه فايقن انها ستقع عليه وتطحنه طحناً وان لا مناص له من ذلك لان رجله شلتا عن النهوض فافتكر في ابيه وامه واخته وما يحملهم من الحزن عليه فحاول مد يديه ليدفع تلك الداهية عنه ولم يكد يرفعها عن الارض حتى أغشى عليه واطبقت الظلمة على عينيه .

ووقف الناس على جانبي الطريق بعيون شاخصة وقلوب خافقة وقد قطعوا الرجاء من نجاته الى ان مرت المركبة وهم وقوف لا يجسرون على الدنو منه واخيراً بادر اليه بعض السياح الاجانب فتشجع غيرهم من الوطنيين واقتربوا منه ورفعوه عن الارض بكتف مخلوعة ورأس مهشّم وعرفه بعضهم فرفعوه الى مركبة ليمضوا به الى بيته وحضر اثنان من رجال البوليس حينئذ وايا ان يدعا المركبة تسير به الأبعد ان يكتبها محضر الحادثة ووقع الحجاج واللجاج بينهما وبين معارفه حتى كاد يفضي الى الشجار واخيراً اقبل فارس من فرسان البوليس وصرف الرجلين وسار مع المركبة

ولا تسل عمّا حلّ بأمه واخته لما رأتاهُ محمولاً على ايدي الرجال اصفر الوجه مغمض العينين مرتخي المفاصل كأنه جثة لا حياة فيها . اما امه فصرخت صرخة منكرة واغشى عليها واما اخته فاستندت الى الجدار وشخصت الى السماء ووقفت كالليت

الخواجه لاثي وزوجته وابنته وعلم منهما انهما مسافران في اليوم التالي الساعة الحادية عشرة صباحاً الى السويس ومنها الى الشرق الاقصى . وسألاه عن بهية وامه وابيه وودا لو احضر بهية معه فاعتذر عنها . وأسقط في يد هنري لانه كان يحب ان يراها ملياً قبل سفره ولام نفسه لانه تقيّد بهذا السفر ولم يُطلع اياه على ان له غرضاً آخر منه غير الغرض التجاري والسياسي وودّ لو اتيح له ان يخرج من الاوبرا حينئذٍ وينورها حتى يتودّع من رؤيتها قبل سفره . وكانت هذه الافكار تتردد في صدره فلم يكذب على شيناً مما سمعه وراه . وعلمت دورا ما كان يشغل باله فاجتهدت لكي تقوم مقامه في محادثة الخواجه لاثي وزوجته وابنته حاسبة ان ذهاب اخيها الى الشرق الاقصى ينسبه ما رآه في مصر

والتقى امين بعزرا وغيره من المشتغلين في البورصة وعلم منهم ان بورصة نيويورك اقبلت متحسنة بضع بنوط و اشاروا كلهم بالمشتري لان الاسعار سترتفع حتماً لقلّة المتأخرات ولاحتياج المعامل الى اكثر من الموجود والمتنظر وانه لا بدّ من حدوث ما يسمى بمجاعة القطن فيبلغ ثمن القطنار خمسة وعشرين ريالاً او اكثر . فسمع هذا الكلام ولم يقل شيئاً لكن الكلام اثر في نفسه ولو لم يظهر اثره حينئذٍ . ونظر الى استير جالسة الى جانب دورا وجعل يقابلها بها فقال انها اجمل من دورا وفضلاً عن ذلك فاننا مشتركان في الاذواق فاذا كان ابوها لا يبق مصرّاً على تزويجها باحد ابناء عمها فهي خير قرين لي ولا عبرة بما قلته لحايم بك

وعاد من الاوبرا الى البيت قبل انتهاء التمثيل لان كلام عزرا واغراقه عن ارتفاع القطن شغل باله و بات يفكر فيه وصمم على ان يسترد ما باعه او يشتري خمسين الف قنطار ولا يقيمها الا ريثما يرتفع السعر خمسة ريالات فيبيعها ولا يُطلع والديه على ما فعل الا بعد ان يتحقق الربح ويقبضه . ونام وهو يحلم بذلك ونهض في الصباح ولم يصدق ان صارت الساعة التاسعة حتى اسرع الى مكتب عزرا وطلب منه ان يشتري له خمسين الف قنطار بالاحسن فقال له عزرا اعطنا الاذن كتابةً وكتب حايم الاذن فامضاه امين وخرج وسار الى جهة اول تل شبرد ليوصي مرتبة الازهار بعمل طاقة جميلة يهديها

يا فاطمة كيف حال ستك

فاطمة — بخير تسلم عليكم وهي وسيدي برسوم عتبانين عليكم ازاى تعزموا كل الناس وما تعزموهمش

فقات مدام واصف بك انهم لم يعزموا احداً ولكنهم التقوا بشاب انجليزى واخته في البالو فتعرفوا بهما ودعوها لتناول الشاي مع مدام لاثي وابنتها فقات فاطمة ان برسوم افندي رأى هذا الشاب واخته في البالو ونظره يدل على بهية كأنه يعرفها من قبل

فاستقرت مدام واصف بك ذلك وكانت قد رأت وقوف هنري مع ابنتها وودت ان تعرف ما دار بينهما من الحديث . وكانت ام برسوم تمنى نفسها بتزويج ابنتها بهية وقد فاتحت مدام واصف بك بذلك مراراً فلم تجد منها اقل رغبة فيه لان برسوم لم يكن من الشبان الذين يملأون العين ولا كانت بهية تنظر اليه بعين الاكرام بل كانت تزدرى به لا سيما وانه كان كثير الاعتداد بنفسه لتنظيمه بعض القصائد وكتابه بعض المقالات وكان هو يزدرى باصحاب الاموال ويحسب انهم جمعوا ثروتهم بالحيل والنفاق لا بالتعب والاستحقاق وكثيراً ما وقع الجدال بينه وبينها في هذا الشأن ولما علمت انه طلبها من ايها زاد نفورها منه ولكنها بقيت تسايهه كما تسايه باقي الناس

اما ام برسوم فكانت خرقاء رعناء تعتقد بالسحر والطلسم فقصدت رجلاً يقال انه يعرف علم المصريين القدماء وطلبت منه ان يكشف لها بعلمه ما يكون من امر ابنتها وهل يتاح له الاقتران بهية فكتب اسمها واسم ابنتها واسم بهية وامها ورتب حروف هذه الاسماء في جداول وجعل يسقط بعضها من بعض ويزيد ويحذف الى ان وصل الى نتيجة قال انها طبق المرام

## الفصل الحادى عشر

السقوط والسفر

ذهب امين الى الاوبرا الخديوية والتقى بهنري واخته وكانا قد حضرا بدعوة



عبد الله — تكلمت في الاول مع امين باي ثم جاء حليم باي واخذ يكلمها ووقف  
مبهوت منها

زين الدار — وقلوا يه امين باي

عبد الله — ما قُدُّوش حاجه ولكن شايفك ان السم الانجليزية لعبت براسو

زين الدار — الله وترك ستي استير

عبد الله — ما ظننيس أوهو بدو يسايرها والسلام وسمعتو يتكلم عن ستي استير مع حليم  
باي وكأوا التنين يمدحوها قوتي وما صدقش حليم باي انها تتكلم عربي حتى سمعها

زين الدار — عربي وتكلم احسن مني ومنك وكان يجيها واحد شيخ من

الازهر يعلمها

عبد الله — وقد كدا الخواجه لاثي يحب ولاد العرب

زين الدار — الخواجه لاثي امير وسيدي عزرا امير

عبد الله — بيقربوا بعض

زين الدار — ما اعرفشي يمكن بيقربوا بعض كل اليهود قرايب اهو قتللك عن

الشيخ بيومي ومن باكر رحلوا تاني نوبه واديلو النصف ريال

ثم ودعت وخرجت . ودخلت مدام واصف بك بعد خروجها ورأت الخدم

يمسحون الآنية والادوات الفضية بالمناشف والجلد الناعم فاوصتهم ان ينفضوا الجلد

من الغبار قبل مسحها به ووقفت معهم هنيهة الى ان وضعوا كل شيء في مكانه بعد

ان عدوه امامها . ثم جلست وفتحت دفترًا وجعل الطباخ يسرد لها اسماء الاشياء التي

اشتراها ذلك اليوم وثن كل منها وهي تستغلي البعض وهو يقول « كل شي نار يا ستي

اللو كندت غلّت علينا كل شي اللحمه والفراخ والحمام والحضار ما فاش حاجة بتتقارب .

ثم حاسبتة على ما معه من النقود وما صرفه ذلك اليوم وكشفت الحلل ونظرت ما فيها

من الطعام وخرجت

ولم تكذب تخرج حتى دخلت دار الخدم جارية عجوز وسامت ووقفت مع عبد الله

تكلمه بصوت منخفض ودخلت البيت فالتقت بدمام واصف بك فقالت لها مالك

وكانت الاثنتان متآخيتين فلا تخني احداهما عن الاخرى شيئاً لا سيما وان عزرا استهوى  
 قدم خير بهداياه عن يد زين الدار . فلما خرجت استير مع امها الى بيت واصف بك  
 اسرعت قدم خير واخبرت زين الدار بذلك ففضت هذه الى بيت واصف بك  
 وجلست مع الجوارى والخدم وكانوا يعرفونها ويكرمونها ولا سيما السودانيون منهم  
 وينادونها بيا امي ويعتقدون انها تبصر البخت وتضرب بالرمل . ولم تك تدخل حتى  
 دنا منها شاب اسود الوجه مشرط الوجنتين كبير العينين جاحظهما اسمه عبد الله ودار  
 بينهما الحديث التالي

عبد الله — فين الكتاب

زين الدار — الشيخ موش عايز يكتب

عبد الله — على شان ايه

زين الدار — ما يكتبش كتاب زي دا بر بع ريال

عبد الله — والعمل ايه

زين الدار — هات ربع تاني وهو نصف ريال حاجه وتصير لك عروس مثل

قدم خير

عبد الله — اهو ربع ريال تاني

زين الدار — طيب ارحلوا من باكر واي دول الناس العندكم

عبد الله — مدام لافي وسقي استير وواحد ينقلو حلیم باي ابن راغب باشا وخواجه

وست انجليز

زين الدار — وقوي ستي بهيمة محتفلة فيهم

عبد الله — قوي قوي وقفت مع الخواجه الانجليزي اكثر من ساعة قدام الشباك

وقد متلو الشاي فمسك الفنجان بيدو ونمي يشربو

زين الدار — وكانوا يتكلمون ايه طول الساعة

عبد الله — انا عارف . كانوا يتكلموا بالانجليزي او بالفرنساوي

زين الدار — وسقي استير مع مين كانت تتكلم

وقاموا كلهم في اليوم التالي قاصدين مصر وكان البحر هادئاً فرأى برودي مجالاً واسعاً للكلام مع هنري واخته وتظاهر انه متفرض لليابانيين على الروس وكاد يعلم من هنري ان اليابان اشترت الطرادين لكن هنري لم يقل ذلك صريحاً ولا برودي دقق في البحث بل كان يتكلم كأن الامر مقرر في ذهنه . ولما وصلوا الى القاهرة نزلوا كلهم في نزل ساقوى

وكتب برودي يوم وصولهم الى القاهرة يقول « ان المستر برون قابل وكيل دولته في بورت سعيد ولم استطع ان اعلم ما دار بينهما من الحديث » وارسل في اليوم التالي تلغرافاً بالارقام يقول فيه ان هنري أمر بالسفر حالاً الى بلاد اليابان وانه سيرافقه اليها ثم جلس وكتب تفصيل ما رآه وسمعه منه من حين وطئت رجله القطر المصري الى حين كتابة الكتاب

## الفصل العاشر

### دار الخدم

دار الخدم في بيت واصف بك يُدخل اليها من باب خاص الى الجهة الشرقية من البستان وتأتيها زوجة واصف بك مراراً كل يوم توصي على الطعام وتراقب الخدم وتكتب الحساب لانها تقول ان لا بدّ للزوجة من ان تراقب مطبخها كما تراقب ثيابها وحالها والا تضاعفت النفقات باهمال الخدم ان لم يكن باختلاسهم وجاء الطعام تفهاً لا يؤكل . لكنها لم تكن تدقق في منع خدام الجيران والاصدقاء من الدخول بين خدمها فكانوا يتزاورون احياناً كثيرة ويتحدثون بكل ما يسمعون في بيوت اسيادهم

ولما مضت استير وامها الى بيت واصف بك على ما تقدم تبعتهما زين الدار وهي جارية عجوز في بيت عزرا اشتراها ابوه منذ اربعين سنة وعتقها حين صدر الامير بعق العبيد لكنها بقيت في بيت سيدها لانها تحب اولاده كأنهم اولادها . وكانت تعلم ان عزرا يريد الاقتران باستير ويخشى من انها تميل الى ابن واصف بك فتفتني خطواتها وتسبق اخبارها وتوافيه بها . وكان في بيت لاثي جارية فتية اسمها قدم خير

ولامت دورا نفسها على سوء ظنها بالرجل لانها لم تر منه الا كل مجاملة لكنها لم تستطع ان تغلب على نفورها الطبيعي منه

وسأله هنري الى اين تقصد فقال الى بلاد اليابان ولي رفاق ينتظرونني في جنوى فلا بد لي من المرور عليها واذا لم التق بهم هناك التقيت بهم في مصر . فقال هنري اذا نحن رفقاء . فقال برودي هذا يسرني كثيراً وعسى ان لا يحدث ما يجعلني اغير خطة سفري لانني لست ذاهباً لغرض معين وقد كانت هذه السياحة في بالي منذ سنتين فلم تيسر لي الا الآن واذا التقيت برفاقي في جنوى فقد نذهب بطريق القسطنطينية ونمر على سورية ولكن لا بد لنا من التعرّيج على مصر . وقاموا يمشون على الرصيف ويتحدثون في مواضع مختلفة الى ان ارتفع الدخان من السفينة التي كانوا عازمين على ركوبها فنزلوا اليها . وكان البحر هائجاً جداً فاصاب دورا دوار شديد وكذلك هنري اصابه شيء من الدوار واما برودي فلم يظهر انه اصاب بشيء فاخرج حنجراً من جيبه وقال ان فيه املاحاً وسوائل عطرية تزيل الدوار او تخففه واعطاه لدورا فتناولته منه وشكرته وجعلت تستنشق رائحته فحفت دوارها قليلاً او توهمت انه خف ولعل رائحته اخفت رائحة الفحم القطراني الذي يوجد في السفينة وهو السبب الاكبر للدوار . ثم انتقلت الى الحجة التي تهب منها الريح حتى لا يصل اليها شيء من رائحة السفينة فسكن دوارها وبعد نحو ساعة وصلوا الى كاله وركبوا القطار الى باريس فباتوا فيها تلك الليلة وقاموا في الصباح وقصدوا ايطاليا ووصلوا جنوى ونزلوا في نزل واحد

وكتب برودي الى السفارة في المساء يقول « رأيت اليوم مع ثلاثة من اليابانيين زاروا الطرادين المدرعين اللذين بنيا للحكومة الارجتين وظهر لي من قرائن مختلفة انه مفوض في مساعدتهم على مشتراها وقد ذهب معهم الى بنك سلون كوهن وكان مدير الترسانة ووكيل حكومة الارجتين معهم والراجح عندي انهم امضوا عقد البيع اليوم هناك . وقد رشيت الخادم ليسلم الي المكاتب التي يرسلها المستر برون الى ابيه لكنه لم يسلمها الى الخادم بل اخذها ووضعها في صندوق البريد بيده »



والذي يهمنى من امره انما هو المهمة السرية فيجب ان تقتني خطواته وتقف على اعماله بالتفصيل . اُمتعدت للسفر يا مستر برودي

برودي — متى

السكرتير — اليوم الساعة العاشرة قبل الظهر

ففتح برودي ساعته وقال بعد ساعة ونصف . وصمت هنيهة وهو ينكت الارض بعصاه ثم فتح ساعته ثانية وقال نعم الساعة العاشرة

فاعطاه السكرتير ظرفين ولفعة من الاوراق المالية فوضعها في جيبه وودعه وخرج

وقبل الساعة العاشرة بدقيقة كان في محطة تشرنج كروس ومعه اُمتعته ودخل

المركبة التي دخلها هنري واختمه وبعد لحظة سار القطار بهم ينهب الارض نهياً قاصداً

مدينة دوفر . وبعد هنيهة فتح سفطة واخرج بعض المجلات المصورة وعرضها على

هنري ودورا وعلى رجل ثالث كان راكباً معهم فشكروه وتناولت دورا مجلة منها واما

هنري والرجل الثالث فاخرجا من جيبيهما جريدتين من جرائد الصباح وجعلتا يقرأن ان

فيهما . فقال برودي لهما نحن ندع السياسة لكما والتفت الى دورا كأنه يطلب مصادقتها

على ما قال فلم تستغرب منه هذه الجرأة بعد ان شجعت عليها بتناولها المجلة منه فاشارت

اليه برأسها اشارة الاستحسان وانقطع الحديث الي ان وصلوا الى دوفر

وكان برودي كهلاً في نحو الخامسة والاربعين من عمره اشقر الشعر ازرق العينين

طويل القامة عريض المنكبين تالوح على وجهه لوائح القوة والبسالة مع توقد الذهن عيناه

دائماً الحركة كأنه يستجمع كل ما يراه ويسمعه ولم يكن شيء في منظره وحركاته

يدعو الى النفور او التخوف لكن دورا اوجست منه شرّاً حالماتاًه ولامت نفسها

لانها تسرعت وتناولت المجلة من يده ففتحت له سبباً الى الكلام معها

ولما وصلوا الى دوفر ونزلوا من القطار وجدوا السفينة لا تسافر بهم الا بعد ساعتين

فقال دورا لاختيها اين تناول الغداء . فبدت الحيرة على وجهه لانه لم يكن قد اكل

في دوفر قبلاً فقال لهما برودي اذا سمحتما لي فانا ادلكما على مطعم اُمتدت الاكل فيه .

فشكراه وسارا معه الى الجهة الشرقية من المحطة ودخاوا مطعماً اكلوا فيه مما حضر .

الامم في ثقلها وشكائها لان اولادهم يرثون الارتقاء من آباؤهم ومن امهاتهم معاً فوافقتها دورا على ذلك وقالت انها تعرف كثيرين من اليابانيين رجالاً ونساء وهم على غاية الذكاء وعلو المهمة وسفيرهم في لندن لا يفرق عن سفراء بقية الدول الاوربية الكبرى وزوجته تقابل في بيتها مثل زوجاتهم

ودار الحديث في السلامك على مثل ما دار عليه في دار الحریم والتزم الشيخ احمد خطة الاعتدال وكان يقول ان اكثر نساتنا لسن متريات التربية الكافية التي تسمح لمن بمخالطة الرجال ومع ذلك فقد قام من نساتنا سيدات كن يدرسن العلوم الشرعية وكان اكبر الائمة يقرأون عليهم واللوم في التضيق على نساتنا ليس على العرب ولا على الاسلام بل على الذين التصقوا بهم من أمم الفرس والترک والديلم ولما انقضت الزيارة عاد الضيوف من حيث أتوا وطاب هنري من راغب باشا وابنه والشيخ احمد ان يشرفوهم اذا زاروا بلاد الانكايز

ولم يصدق امين بك ان اوصل اخته الى البيت حتى عاد الى البورصة فوجد عزرا فيها وسأله عما اشتراه له وعن الاسعار فقال اشتريت لك عشرة آلاف قنطار حسب أمرک وقد هبطت الاسعار قليلاً بعد ذلك ولكن يقال انها ستصعد ثانية فهل نستغني فرصة النزول ونشتري أكثر . فقال امين كلاً يكفي الآن عشرة آلاف قنطار وسار في طريقه

والتفت عزرا الى حاييم بعد ذلك وقال له لم يعلق الآن ولكن غداً يعلق الله كريم

## الفصل التاسع

### التقرير السري

سكرتير السفارة — تقرّر سفر المستر هنري برّون بن السر ادورد برون صاحب لندن نبوز الى بلاد اليابان وسيمرّ على جنوى ومصر في مهمة سرية تتعلق باليابان ومهمة عمومية تتعلق بانكلترا . ومدار العمومية على زرع القطن في مصر والبلاد المجاورة لها لاضعاف اصحاب القطن في اميركا ومنع استبدالهم والاخرت معامل للكثير .

وكان يحسن الفرنسية لانه من التلامذة الذين درسوا قديماً في فرنسا  
 وكان الشيخ احمد هناك وكذلك استير وامها فسلم على هنري واخته بالفرنسية  
 لانه كان شارعاً في درسها وكانت استير تحاطبهُ بقولها يا استاذي . وبعد قليل قامت  
 استير وامها وبهيّة ودورا وسرن مع احد الخصيان الى دار الحریم وهي داخل دار  
 الرجال او السلماک مفضولة عنها برواق طويل على احد جانبيه حديقة كبيرة وعلى  
 الجانب الآخر دار الخدم . والتقهين حلیمة عند باب الدار وعرفت امها بدورا  
 وكانت استير وامها وبهيّة يعرفها جيداً ولم تكن ام حلیمة تتكلم غير العربية والتركية  
 فجعلت حلیمة تترجم بينها وبين دورا

وجلس السيدات ووقف الجوّاري في خدمتهنّ وقد منّ لهنّ الشاي في فناجين  
 من الذهب مرصّمة بالجواهر ثم نهضنّ يتفرجنّ على دار الحریم وحديثها فتذكّرت  
 دورا ما قرأته في الف ليلة وليلة وقالت بل ما اراه الان اغرب مما قرأت عنه لانه  
 جامع بين بدائع الصناعة الشرقية ومجالي الصناعة الغربية فالغرف شرقية في شكلها  
 ونقشها وفرشها وغربية في ما فيها من الكراسي والمقاعد والموائد والخزائن والستائر  
 والثريات . والجوّاري شرقيات او تركيات في لبسهنّ الابيض المهبل ولكن سيدتهنّ  
 غريبتان في لبسهما وعقنص شعرهما كأنهما حضرتا من باريس امس . وطالت الزيارة  
 نحو ساعة من الزمان وسأت ام حلیمة دورا عن اهلها وكم اخ واخت لها وعن غرضها  
 من هذه السياحة ولما علمت منها انها ذاهبة مع اخيها الى بلاد اليابان استغربت ذلك  
 جدّاً واستعظمتهُ وقالت انها قرأت عن اليابانيين وعن تقدمهم السريع في احدى  
 المجلات العربية ورأت صورة ملكتهم وهي تشبه ملكات اوربا والظاهر انها تقلد ملكة  
 الانكليز في لبسها ويظهر من صورتها وصور غيرها من النساء اليابانيات انهنّ يظهرنّ  
 على الرجال كالنساء الاوربات ثم قالت ولا عجب اذا تقدّم اليابانيون اكثر منا لان  
 نساءهم يتعلمنّ من معاشرّة الرجال ومزاولة الاعمال فتتسع مداركهنّ وتقوى عقولهنّ  
 بخلاف اكثر اهالي المشرق الذين يحبون نساءهم عن الابصار ويحبسونهم في بيوتهم  
 فلا يرين الا الجوّاري والخصيان ولذلك وجد العلماء ادمغة اليابانيين مثل ادمغة ارقى

ان ابيع لهُ حسناً فعلت والا لزيد ربحه خمسة عشر الف جنيه . الله كريم  
 حاييم — وقد بلغ ربح محلنا الآن من قطن امين الذي اصلناه لحسابنا نحو ستة  
 عشر الف جنيه عدا السمسة  
 عزرا — وسيتضاعف ان شاء الله

## الفصل الثامن

### دار الحریم

لما حان الوقت لذهاب هنري ودورا الى سراي راغب باشا اقبل امين وبهيمة الى  
 نزل سافوي ليأخذاها منه . وقال حلیم في نفسه لا بد من ترك البورصة الآن ونزعها  
 من بالي تماماً . ولما وقعت عينه على دورا تذكر الايام السالفة حينما كان في بلاد الانكليز  
 يشاهد البنات الانكليزيات بوجناتهن الموردة وعيونهن الزرقاء البراقة فهزه عامل  
 الوجد وحياتها وحييا أياها وركب الاربعة مركبة واحدة من نوع اللندو وساروا من  
 امام البوسطة فشارع محمد علي فسوق السلاح الى سراي راغب باشا ولما دخلوا باب  
 السراي الخارجي ونظر هنري ودورا الى ما امامهما لم يصدقا اعينهما وظنا انهما في حلم  
 لان الاسواق والعطافات التي مروا فيها لا يُنتظر ان توصل الى حديقة غناء باسقة  
 الاشجار واسعة الخائل كبيرة الفساقى تندفق منها المياه وتسبح فيها الاسماك . وسارت  
 المركبة بهم بين الادواح المختلفة الانواع والاشكال الى ان وصلت الى سلم من الرخام  
 الناصع البياض يُصعد به الى رواق كبير قائم على عمد من الرخام طول العمود منها نحو  
 عشرين قدماً فوقها قناطر عريضة الشكل وارض الرواق مفروشة بالرخام المجزّع ويدخل  
 منه الى غرف السلامك وهي واسعة مفروشة بالبسط العجمية فدخلوا كلهم من غرفة  
 الى اخرى الى ان وصلوا غرفة الاستقبال الكبرى وكانت غربية شمالية تدخلها شمس  
 العصر وتنعكس اشعتها عما فيها من الزجاج المذهب والقيشاني القديم واستقبلهم امين  
 بك عند سلم الرواق وراغب باشا في غرفة الاستقبال الكبرى ورحب بهم وكان كهلاً  
 طويل القامة واسع الجبين كبير العينين تلوح على وجهه لوائح الشهامة وعزة النفس



بالريح بل لا بدّ من خسارة تلحق البائع او الشاري او تلحقهما كليهما لان ربح السمسار منهما

الطمع — هذه سنة غير عادية وكل احد يعلم ان موسم اميركا لا يكفي لمقطوعية المعامل والمتأخرات قليلاً جداً

القناعة — ما ادرانا ان المعامل لا تقلل ساعات العمل كما فعلت غيره مرة فيصير القطن كافيًا لها وزناً عليها وتهبط الاسعار . وما ادرانا ايضاً ان حزب النزول لا يتعلّب على حزب الصعود واذا حدث ذلك وهبطت الاسعار وخسرت فمن اين توفي الخسارة وابوك لا يعلم شيئاً عن اشتغالك بالبورصة وامك لا تملك نقوداً تعطيك اياها

الطمع — هذه ظنون لا تذكر في جانب الامر المحتمق وهو صغر الموسم وقلة المتأخرات اما المعامل فان تأخرت عن العمل اليوم فستعود اليه غداً لان مقطوعية الدنيا لا يمكن ان تقل بل هي آخذة في الزيادة

وبمثل ذلك كان يحارب نفسه بنفسه فقلبت قوة الطمع على قوة القناعة ورسخ في ذهنه انه خسّر عشرين الف جنيه على الاقل باصغائه الى نصيحة امه فتألم وتمرمر وتولاه صداع شديد حتى شعر كأن صدغيه كادا ينشقان من كثرة ما تورّد من الدم اليهما فهض وفتح كوة ووقف فيها يستنشق الهواء النقي لعلّ دمه يتنقى مما تجمع فيه من الفضول بانذار دقائق دماغه وظلّ يلوم نفسه الى ان اذن العصر فانتبه الى انه وعد حليم بك بالذهاب مع هنري واخته اليه

واجتمع عزرا ويهودا وحاييم في المساء فقال عزرا خلص من الشرك ثم عاد اليه لا يمكن ان يخرج بقرش واحد الله كريم وسأجعل استير تنظر اليه كما تنظر الى الفحمة السوداء . ماذا فعلت اختي يا حاييم

حاييم — اخبرت الخواجه لاثي وزوجته عن اشتغال امين بالبورصة فاغتاظ الخواجه لاثي وقالت مدام لاثي انها ستري امه وتكلمها في شأنه

عزرا — لا بدّ من انها فعلت حسب كلامها والا ما قام في الصباح وطلب مني

اي ثلاثين الف جنيه في ساعتين . ثم التي رأسه على يده وكاد يغمى عليه . وبعد قليل نهض مذعوراً وطاب عزرا بالتلفون فقيل له ان تلفونه مشغول فنزل الى دار الليوان وركب مركبة وامرعى الى مكتب عزرا فوصله بعد اقبال البورصة وعلم منه ان الاسعار بلغت ١٨ ريالاً وانه باع له بخمسة عشر ريالاً الى ١٥ ونصف ولو انتظر الى الظهر ل زاد ربحه نصف جنيه في كل قنطار فبلغ خمسة عشر الف جنيه . وقال له انك لم تسمع نصيحتي ونحن دائماً ننصح زبائننا وقد بلغ ربحك عندي الآن اربعة آلاف وخمس مئة جنيه فزاد الف وخمس مئة جنيه عما كان امس ولو سمعت نصيحتي لكان ربحك الآن عشرين الف جنيه « نت » ولكن انتم المصريين تستعدون من ينصحكم

امين — ألا سيدى لاسترجاع مركزي

عزرا — لا اعلم اظن ان السعر يبلغ ٢٠ ريالاً او خمسة وعشرين كما حدث في السنة الماضية وقد صار الشغل الآن خطراً ومع ذلك لا بأس بأن تخاطر ببعض الربح امين — اشتر لي عشرة آلاف قنطار

عزرا — اكتب يا حاييم عشرة آلاف قنطار لامين بك عند اول فتح البورصة وعاد امين بك الى البيت وجلس على المائدة ولم يفه بكلمة ورأت امه انه مشغول البال فاستفردته بعد الغداء وسألته عن القطن فقل لها انه باعه ولم تسأله عن ربحه ولا اخبرها هو به . واخذ الرواية التي كان يقرأها وحاول القراءة ولكن افكاره كانت شاردة فقلب الصفحة بعد الصفحة وهو يقرأ ولا يعي شيئاً . وقامت في نفسه قوتان متضادتان قوة الطمع وقوة القناعة فكالتا تتحاوران وتتناظران على هذا النمط

الطمع — لعن الله الساعة التي اطعت فيها امك فلو لا ذلك لبلغ ربحك الآن اكثر من عشرين الف جنيه . من يستخف بهذا الربح بل كان يجب ان تصدق قول عزرا وتشترى ثلاثين الفاً اخرى عند اول فتح البورصة بدلاً من البيع فكان ربحك الآن ثلاثين او اربعين الف جنيه — هذه خسارة لا تعوض

القناعة — من يعرف المستقبل ومن يقدر ان يحكم بارتفاع الاسعار فقد ربح اكثر من اربعة آلاف جنيه وهو ربح طائل فاقنع به ولا تخاطر ايضاً فما كل مرة تعود

عزرا انبىع الثلاثين الف قنطار فقال امين نعم بها كلها . فقال عزرا ولكن بيع ثلاثين الف قنطار دفعةً واحدة ينزل السعر كثيراً . فقال امين بها على دفعتين او ثلاث وعلى كل حال اريد ان اخلص قبل الساعة الحادية عشرة خذ كلامي هذا امراً لك بالبيع وكانت امه تسمع كلامه فسرت منه واعتمتته ونزل الى الديوان على جاري عادته وهو يشعر احياناً كأن حملاً ثقيلاً نزل عن ظهره واحياناً كأنه ارتكب خطاءً فظيماً . وفي نحو الساعة العاشرة ناداه عزرا بالتلفون وقال له بعنا عشرة آلاف وبعد نحو نصف ساعة ناداه ثانية وقال بعنا عشرة آلاف اخرى وبعد ربع ساعة قال له بعنا العشرة الآلاف الباقية والاسعار آخذة في الارتفاع جداً ولو بقي قطنك لتضاعف ربحك الآن اسمع مني ودعني استرد لك عشرة الآف قنطار . فقال امين كلاً . ولكنه عاد الى مكتبه مشغلاً البال مضعع الافكار وكان رئيسه قد اعطاه رسم كبري ( جسر ) يراد انشاؤه على النيل عند الروضة ليدرسه فلم يعد يستوضح الخطوط بل صار يراها مشتبكة بعضها ببعض واراد ان يسترد افكاره الشاردة فلم يستطع فجعل يلوم نفسه ويقول لقد ربحت في شهر اكثر من راتب الناظر في سنة فلماذا لا اقنع ثم يقول ولكن لو صبرت ساعتين لتضاعف ربحي لقد صدق المثل في العجلة الندامة وفي التأني السلامة وخرج من مكتبه بعيد الظهر والتفت الى تelfرافات روتر فوجد فيها التelfراف التالي

نيويورك في ٢٩ ديسمبر

« ارتفعت اسعار القطن اليوم بمضاربات حزب الصعود الى حد لم يسبق له نظير منذ اعوام كثيرة فاقلت السوق بارتفاع ٤٨ الى ٥٠ بنظاً ومما زاد المضاربين هيجاناً ورود تelfرافات من نيوارلينس بتأليف سنديك هناك لا يتباع كل ما بقي من القطن وبيعه باسعار عالية جداً » . فلما قرأ هذه السطور دار رأسه واصططكت ركبته واسودت الدنيا في عينيه فلم يعد يستطيع الوقوف فجلس على كرسي وهو يقول في نفسه فرصة ضاعت قال لي عزرا فلم اصدقها لا يمكن ان تكون مدام لاثي مخلصتنا لنا فانت وخذت امي يا للحماقة يا للجنون لا يبعد ان تكون الاسعار بلغت عشرين ريالاً الآن واظن انه باع لي بخمسة عشر ريالاً فلو صبرت الى الآن لربحت خمسة ريالات في كل قنطار

حاييم — نحو ثلاثة آلاف جنيه  
 عزرا — ثلاثة آلاف جنيه وكم ثروة ابيه  
 يهودا — ثروة ابيه كبيرة جداً اطيانه تساوي ثلثمائة الف جنيه او اكثر  
 حاييم — وليس له غير صبي و بنت  
 عزرا — الله كريم ما دامت رجله في البورصة لا يمكن ان يفلت من يدي  
 حاييم — ولكنه راح في الطلوع والتظن طالع  
 عزرا — على الطلوع او النزول انا اعرف شغلي معه ولا يمكن ان يرى استير  
 قوموا بنا الآن

ذهب امين الى غرفته قبلما يرجع ابوه واخذ المقطم والتفت الى الكنترانات فوجد  
 الاسعار لا تزال متمسكة فاطمان بالله فقرأ التلغرافات والاخبار المحلية والاعمال الخارجية  
 و قليلاً من رسائل الجبهات . وكان يطالع رواية انكليزية حديثة فقرأ منها فصلين وخلع  
 ثيابه لينام . واخذ يراجع ما سمعه من دورا ويقابلها بهيئة و باستير وبالبنات الانكليزيات  
 اللواتي رآهن في انكلترا لما كان يدرس الهندسة فيها فقال انها من اجملهن منظراً  
 والطفهن معشراً ويسرني منها انها تعجب بالشرقيين وقد صرحت لي انها تحسدنا على  
 هواء مصر وتود ان تقضي فصل الشتاء ههنا دائماً . لكن استير افضل منها من بعض  
 الوجوه لا سيما وان لغتها مثل لغتنا غير انها اسراييلية وانباء عمها لا يتركونها وليس بيننا  
 غير صداقة اتجتها المعاشرة وقد اتى حاييم الآن وظهر لي منه انه يميل اليها هنيئاً له فانها  
 من افضل البنات . لقد اصابت امي في ما قالت من جهة البورصة لا بد من تصفية  
 مركزي غداً . ثم ران الكرى على جفنيه فنام الى الصباح

وقبل ان ينزل الى الديوان قالت له امه لا تنس وعدك والاحسن ان تكلم  
 عزرا الآن بالتلفون وتقول له انك انسحبت من شغل البورصة . فقام الى التلفون  
 مكرهاً وطلب عزرا وقال له ان يغطي مركزه كله بالاحسن . فقال له عزرا انا نتظر  
 صعوداً اليوم ومع ذلك فالامر لك فقال له لا بد من بيع كل ما عندي اليوم . فقال



امين — الريح ليس عنده بل عند السمسار

امه — من هو هذا السمسار

امين — عزرا ابراهام

امه — عزرا هذا الولد الخبيث من اوقعك في يد عزرا كم بيت خرب اسأل  
استير عنه فانه طلبها عدة مرات فرفضته . عزرا وصهره حايم وشريكه يهودا جماعة  
لصوص . وهذا شيء يشق المرأى يا امين ابن ابوك انا لا اطيق هذا . اتلقتي نفسك  
في ايدي هؤلاء اللصوص . قم الآن واذهب وصف شغلك معهم ولا يمكن ان اصبر  
عليك الى الصباح

امين — هدي روعك فان البورصة تتقل ليلاً واعدك وعداً صادقاً اني اذهب  
غداً واصفي شغلي فاني انا غير مستريح البال ولو لم يغرنى برسوم على هذه الصورة  
التي شرحتها لك ما كان يمكن ان ادخل في هذا الشغل وغداً امر على عزرا قبل  
ذهابي الى الديوان لكي يصفي مركزي كاه  
ثم قام اليها وقبّل يدها وجبينها وقال لها عندي رضاك بالدنيا كلها . فقبّلت وجنتيه  
ووعده انها لا تخبر اباها

جلس عزرا وحايم ويهودا في المكان الداخلي من مكتبهم بعد ان ذهب  
المستخدمون كلهم ما عدا الفرّاش وهو بربري له في خدمتهم بضع سنوات وحسبوا  
ارباح النهار فوجدوها وافرة جداً وكانت ادارة المحل في يد عزرا لانه اهرم وادهام  
لكن لم يكن السرور بادياً على وجهه كما كان بادياً على وجه شريكه فقال له يهودا  
ما شأنك قال لا شيء

يهودا — لا بد من شيء هل اتى تلغراف في غيابي

عزرا — كلاً ولكن اتت زين الدار الآن واخبرتني ان استير ذهبت مع امها  
الى بيت واصف بك حيث التقت بامين وقلبي يحدثنى ان استير لم ترفض طابى الا  
لانها تحب ابن واصف بك . انظر حسابه يا حايم كم صار ربحه الآن

ولكنه ليجَّ عليَّ كثيراً حتى اعطيتهُ تحاصفاً من لجاجتهِ فمضى واتاني بعد يومين وقال انه اشترى النفي قنطار قطن لهُ الف ولي الف ودفعت المئتي جنيهه عربوناً فربح قطني ثلاثمائة جنيهه في يومين وانه عازم ان يشتري ثلاثة آلاف قنطار اخرى على الربح الذي ربحتهُ فلم اعرضهُ في ذلك ولكنني قلت لهُ صريحاً اني لا اريد هذا الشغل ولا ادفع غرضاً من الخسارة فرضي بذلك وتوسع في الشغل والآن لو صفت مركزي بلبح ربحي ثلاثة آلاف جنيهه لان الاسعار ارتفعت اكثر من ريال ونصف في اقل من شهر

امه — لا أعرف هذه الحسابات ولا اريد ان اتعب رأسي في تتبعها وانما اطالب منك واحتم عليك ان تخرج الليلة الليلة من شغل البورصة . قل لبرسوم ان يرد لك المئتي جنيهه التي اعطيتهُ اياها والله يبارك لهُ بالربح كله فاننا في غنى عنه من كرم المولى أمين — ان الربح الذي ربحتهُ حلال لي ولا يأخذهُ برسوم لو سمحت لهُ بهُ لانهُ هو ربح مثلي واكثر مني وكل تجار الدنيا يشغلون في البورصة . وكل رجال المال والاعمال الذين قرأنا عنهم في اوربا واميركا جمعوا اكثر ثروتهم من الشغل في البورصة ولولا البورصة لوقف دولاب التجارة واستبدت التجار بالفلاحين وانا وافقك واترك هذا الشغل ولكنني لا اترك ربحي منه نعم اريد ان اترك هذا الشغل لانهُ شغل بالي كثيراً وأؤكد لك اني حُرمت النوم من شهر الى الآن مع اني لم اخسر يوماً واحداً امه — قُل في مزايا البورصة ما شئت فاننا لا اغير رأبي واعمقادي ولما سمعتهُ من اشد الناس اخلاصاً لنا من مدام لاثي عن لسانها وعن لسان زوجها . وما لنا ولقول زيد وعبيد فقد قضينا الصيف في رحل الاسكندرية وما كنت اسمع الا ان فلاناً كان يملك خمسين الف جنيهه او مئة الف جنيهه كان عندهُ الخدم والحشم والعريبات فأصبح على الارض لا يملك شيئاً واولادهُ يخدمون الآن في مصالح دينية بعد ان ربوا في الرفاهة والنعيم وما ذلك الا لان اباهم طير اموالهُ كلها في البورصة . ورأيت مرة رجلاً مستخدماً بثمانية جنيهات في الشهر قيل لي انه كان يملك مئتي الف جنيهه طيرها كلها في البورصة . فلا تجادلني الله يرضى عليك بل عدني انك الليلة الليلة تترك هذا الشغل وتسترجع دراهمك من برسوم وتترك لهُ كل الربح

## الفصل السابع

## البورصة

لما خرج واصف بك لزيارة المستر هنري برؤن مشت زوجته مع ابنتها الى غرفة الجلوس وجلست دورا على البيانو تسلي نفسها ببعض الالخان القديمة فقال امين لامه كيف رأيت هذه الفتاه واخاها . فقالت رأيتهما على غاية اللطف والتهذيب ويا حبذا لو بقيا فصل الشتاء عندنا ولكنهما مسافران بعد غدي الى الهند والصين واليابان . فقال هذا شأن الانكليز فانهم اهل سفر . فقالت نعم انهم ذوو وهم عالية . ثم صمتت وصمت هو ومررت دقائق من غير ان يفوه احدهما بكلمة كأن كلاً منهما كان يفكر في موضوع ولا يدري كيف يتبدىء الكلام به . واخيراً التفتت اليه وقالت له عهدي بك انك لا تخفي علي شيئاً

فادرك مرادها وقال ماذا قالت لك مدام لاثي . فقالت اخبرتني خبراً لا اكاد اصدقته . فقال ان الخواجه لاثي معتاذ مني

فقالت لا تقل ذلك فان الخواجه لاثي ومام لاثي يجانك مثل ولدتهما وقد اكّدت لي مدام لاثي ان هذا الخبر لم يبلغ زوجها الا اليوم وكان مراده ان يراك وينصحك لكي تترك هذا الشغل حالاً لانه ما من احد دخل البورصة وخرج وعلى بدنه قبيص امين - ان هذه سنة غير اعتيادية لا تفوت ونصف اهالي مصر داخلون

في البورصة

امه - هم مجانين وقد ورثوا اموالهم ولم يتعبوا في تحصيلها اما نحن فكل غرش حصّله ابوك حصّله بعرق جبينه . نعم ان جدك كان على ثروة طائلة ولكن ايام اسمعيل لم تترك له شيئاً والآن يا ولدي برضاي عليك لا تدع الخبر يصل الى ابيك بل اخرج من هذا الشغل حالاً

امين - اتعلمين كيف اتقدت اليه اتاني برسوم افندي ذات يوم وطلب مني مئتي جنيه قرضة ولم ارد ان اعطيه في اول الامر لانني اعلم انه يلعب في البورصة

مساعد لكم على نيلها وأؤكد لك ان لمصر اصدقاء كثيرين في البلاد الانكليزية وسوف تطلق ايدينا في اصلاحها على ما نشتهي ونريد فاذا ساعدنا اهلها صارت على ما يتمنون . هذا واعيد القول من جهة مشتري الاطيان واحياؤها اني سأكتب الى ابي بخلاصة حديثنا ولا بدّ من ان نصل الى نتيجة ترضيكم

ثم نهض واصف بك والخواجه لاثي وودعا وانصرفا . وجلس هنري فكتب لايه كتاباً طويلاً اسهب فيه الشرح عما شاهدته في بيت واصف بك وعن زيارة واصف بك والخواجه لاثي له وحديثهما معه والرأي الذي اقرّأ عليه . ومما قاله في كتابه اؤكد لك يا ابي ان المصريين الذين لقيتهم من كل الطوائف الساكنة مصر من قبط ويهود وعرب وسوريين واترك على غاية الذكاء ورقة الجانب . والظلم الذي طال عهده في بلادهم يكاد اثره يزول وينسى من بين الطبقة المتعلمة منهم فقد كنا انا ودورا امس في بيت واصف بك كأننا في بيت احد اعمامنا ومداموازل واصف بك لا تفرق عن دورا في آدابها ومعارفها وهي تتكلم الانكليزية مثلي وتتكلم الفرنسية والعربية وابوها وأبوها وأما يحسنان الفرنسية . وواصف بك يتكلم عن الاطيان والري والزراعة كأنه من مهندسي الري . ثم فصل له رأيه على ما تقدم وطلب من ابيه ان يكتبه في ذلك رأساً وان ينشر من كتابه ما شاء في جريدته

ثم استدرك على ذلك قائلاً اما المهندس المعلوم فرأيه ان نشترى مئة الف فدان من الحكومة وقد اراني موقعها واكد لي اننا اذا اشترينا الفدان بمجنيبين وانفقنا عليه خمسة جنيهات لا غير امكنتنا بيعة بعشرين جنهما وسيكاتبك في هذا الموضوع ولولا حتمك علي بالسفر الى اليابان حالاً لبقيت هنا الى ان يتم هذا الامر وغداً اكتب عن الشغل الآخر بالتفصيل

وكتبت دورا الى أمها تصف لها ما رأتها في يومها وتقول انها مدعوة مع اخيها الى بيت راغب باشا أبي حلیم بك في اليوم التالي وانهما سيسافران في اليوم الذي بعده قاصدين الشرق الاقصى



في قليل من الريح اي اذا القتم شركة وطنية تتباع الاطيان الواسعة من الحكومة وتصلحها وتحرثها وتبيعها للاهالي فنحن نمدكم بالمال على شرط ان تضمنوا لنا رباحاً اربعة في المئة مع قليل من الريح الذي تربحهُ شركتكم وعلى كل حال لا استطيع ان اقول لك القول النهائي في هذه المسألة ولكنني سأكتب الي والدي وارجح ورود الجواب منه بالقبول مبدئياً ثم تتفقون على المال المطلوب وبقية التفاصيل وسأخبر والدي لكي يكتب حضرتك مباشرة لانني عازم على السفر بعد ثلاثة ايام او اربعة

ثم تحدثوا في شؤون أخرى واطنب واصف بك في مدح ما فعله الانكاييز من الاصلاح في البلاد وجعل يقابل الايام الحاضرة بالايام الغابرة ايام السخرة والمعارج والكر باج الى ان قل لكن الانسان يطلب المزيد لانه مفطور على طلب السكال فقد اصلحتم كثيراً وبقي اكثر مما اصلحتم لا سيما في ما يعلي شأن الامة ويدنيها من الاستقلال فقال هنري ارجو ان تفصل لي هذا الاجمال

فقال واصف بك حباً وكرامة أرى انكم جريتم عندنا على سياسة لا تجلو من الاضرار بنا ولولم تقصدوا ذلك وهي انكم تطبخون لنا لكي نأكل ولا تدعوننا نحرق اصابعنا وقد مثل لي ابني على ذلك مثلاً اراه منطبقاً على الحالة الحاضرة تمام الانطباق وهو ان استاذ الكيمياء عندنا يحضّر المواد الكيماوية ويعمل بها التجارب من حل وتركيب فيراها التلامذة ويسرون بها وقد يدركون الغاية منها ولكنهم لا يتعلمون ولا يترنون واما الاساتذة في بلادكم فيعطون كل تلميذ المواد اللازمة للتجارب الكيماوية ويتركونه وشأنه فيأخذ يمتحن ويجرب الى ان يصل الى المراد فيتعلم بالعمل ما لا يتعلمه ذلك بالنظر فلو وازرتمونا بشيء من النصيح والارشاد وتركتمونا نعمل الاعمال وحدنا بلغنا شأو اليابانيين في هذه العشرين سنة ولم نبق على ما نحن عليه ولا انكر اننا نكثر من الخطاء والغلط في اول الامر ولكن الانسان يتعلم من الخطاء اكثر مما يتعلم من الاصابة

فنظر اليه هنري بعين الوقار وقال هذا هو عين الصواب يا واصف بك واذا كانت هذه امنية الامة كلها فعلى م لا تجاهرون بها . ويقيني ان مصلح بلادكم يكون اول

شركات اجنبية لان الاموال التي تأخذها الحكومة ومصاحبة الدومين واخواننا الاسرائيليون تبقى في البلاد فتزيد بها ثروتها وتستفيد منها واما الاموال التي تربحها الشركات الاجنبية فتخرج من البلاد ولن تعود اليها

وكان هنري منصفاً ويجب الانصاف فقال لواصف بك اصبت ولكن بماذا تشير ان كنت لا تستصوب بيع الحكومة لاطيانها بالمزاد العمومي ولا يبيعها للشركات الاجنبية فتبسم واصف بك وقال رأيت في ذلك ان الحكومة تفعل فعل الشركات الاجنبية فتحفر الترع والمصارف في الاطيان البور كما حفرت في غيرها وتجزئها اجزاء صغيرة وكبيرة من عشرة فدادين الى مئة ومئتين او اكثر وتفرض لها ثمناً رخيصاً تبعها به مشترطة على المشتري اصلاح مقدار معلوم منها كل سنة وتضرب عليه ضريبة خفيفة وتفرض زيادتها رويداً رويداً حتى تبلغ مئة غرش مثلاً في عشر سنوات فيضطر المشتري ان يصلح هذه الاطيان لكي يستطيع ايفاء الضريبة من ريعها او يضطر ان يردها الى الحكومة . فتصلح الاطيان البور وتستفيد الحكومة والاهالي وتبقى الفائدة لها ولهم من غير شريك

فاعترض الخواجه لاثي على هذا الرأي وقال لا يصلح بالحكومة ان تكون تاجرة او مزارعة وتناظر رعاياها في ما يستطيعون عمله وحدهم ورأيي ان تؤلف شركة وطنية تتابع الاطيان من الحكومة وتباشر اصلاحها وبيعها للفلاحين واصلاحها على الشركات الكبيرة اسهل وارخص من اصلاحها على الفلاحين انفسهم

فقال واصف بك اذا لم ترد الحكومة ان تفعل بالرأي الذي اشترت به فرأي الخواجه لاثي يتلوه في الفائدة ولكن الوطنيين لم يعتادوا تأليف الشركات واكثر الشركات الوطنية انما هي وطنية بالاسم ثم انه ينقصنا المال لان الاموال التي بين ايديهم يجب ان يكون ريعا لهم اكثر من ستة في المئة سنوياً والاّ أوفوا بها ما عليهم من الديون المتراكمة للبنوك الكثيرة فان لم تأتنا اموال ربها اربعة في المئة او اقل فلا امل بنجاح المسعى

فامعن هنري في طلبه ثم قال يظهر لي اننا نستطيع ذلك ولا سيما اذا اشركتمونا

فنجحر الترع والمصارف اللازمة لها ونبي فيها العزب ونقطعها الى قطع صغيرة من عشرة افدنة الى مئة ونبيعها للفلاحين ونقسط ثمنها عليهم مشترطين ان يقصوبوها ويحلوها ويزرعوا ثلثها على الاقل قطعاً

فدُهِش واصف بك من استعمال المستر هنري للمصطلحات المصرية الزراعية كالترع والمصارف والتقصيب والتحلية وقل له اراك خبيراً بالامور الزراعية المصرية مثل واحد منا فكيف تم لك ذلك ولم يمض عليك في مصر الا بضعة ايام

هنري - لقد درست هذا الموضوع في كتاب السروليم ولكنكس كل مدة سفري

في البحر ثم قابلت هنا احد كبار المهندسين فارتأى لي الرأي الذي بسطته لك

واصف بك - لقد جرت الحكومة في مبيع اطيانها - والاولى ان اقول اطيان

المصريين لان الاطيان لاهالي البلاد لا للحكومة - قد جرت على اساليب مختلفة ففي

اول الامر كانت تعطيهم اياها من غير ثمن او تجبرهم على اخذها مجاناً وهم يتمتعون

مخافة ان تضرب عليها الضرائب من غير ان تجري عليها الماء اللازم لاروايتها واطياننا

لا تنتج شيئاً من غير ري لانها ليست مثل اراضيكم التي تروى بماء المطر . ثم لما اصلحت

الحكومة الري وصار في امكانها ارواء الاطيان البور امتنعت عن اعطاء الاطيان مجاناً

وعن بيعها بالثمن ايضاً نعم انها تتبع في بعض الاحيان قطعاً صغيرة ولكنها تطرحها في

المزاد العمومي فيأتي اناس من اخواننا ( والتفت الى الخواجه لاثي ) لا يقصدون

مشتري الارض واحياءها بل تغلية ثمنها او يرضيهم المشتري بالمال . فيرفعون ثمن الفدان

الذي يساوي جنينين الى عشرين جنيناً فيضطر الفلاح ان يدفع ثمناً فاحشاً ولا يعود

قادراً ان يشتري الا افدنة قليلة ولا يعود قادراً ان ينفق على اصلاحها واذا لم يشتريها

هو اشتراها الخواجه ابراهيم او الخواجه اسحق وباعه اياها الفدان بثلاثين جنيناً او

اربعين وقسّط ثمنها عليه بالر با الفاحش . وانكى من ذلك ان الفلاحين انفسهم لا

يعرفون مصالحتهم فيتناظرون ويغالون في الثمن حتى يشتروا الفدان بمضاعف ثمنه . كذا

كانوا يفعلون باطيان الدومين حتى ان ما ثمنه الاساسي اربعون جنيناً اشتروه بمئة جنينه

وهذا الاسلوب على ضرره الواضح اخف ضرراً في نظري مما لو اخذت الاطيان

فقال حلیم اصبت يا استاذ لكن اجتماعنا امس كان على غاية الحشمة والوقار وقد  
تعرفت فيه باحدى تلميذاتك

الاستاذ — من السيدة استير

حلیم — نعم السيدة استير وهي تعرف العربية احسن مني

الاستاذ — اظنها كذلك لانها اذكى البنات اللواتي رأيتهن قرأت علي مبادئ  
النحو والبيان ولها انشاء حسن وقد حاولت بعض المرّات نظم الشعر فنظمت ابياتاً  
حساناً . ولكن قل لي ما يهملك من امرها قل لي ولا تخف عني

لا شيء يا استاذ ولكنني تحدثت معها فاعجبني حديثها بالعربية والفرنسوية وعلمت  
منها انها قرأت العربية عليك فسألتك عنها

فقال الاستاذ لهذا الغرض زرتني الآن . فاحمرّ وجه حلیم ولم يقل شيئاً . فقال  
الاستاذ هي كتابيّة والتزوج بالكتابيات حلال فلا تتركها لانها درة يتيمة

### الفصل السادس

#### الشركات الاجنبية ومبيع الاطيان

اقبل واصف بك والخواجه لاثي على نزل ساقوى بُعيد الساعة التاسعة لزيارة  
المستر هنري برون فقابلهما في غرفة الاستقبال الكبرى واعتذر اليه واصف بك عن  
غيابه من بيته لما شرفه ثم جلسوا يتجاذبون اطراف الحديث الى ان انتهوا الى الاطيان  
البور وسبل استحياها فقال واصف بك بلغني من الخواجه لاثي انك آت من قبل  
شركة كبيرة لمشتري جانب كبير من الاطيان البور بقصد اصلاحها وزرعها قطناً وتوسيع  
زراعة القطن في القطر المصري بكل واسطة ممكنة

فقال هنري الامر كما قال المسيو لاثي واريد ان انجز عملي باسرع ما يمكن لاني  
مضطر الى السفر سريعا الى الشرق الاقصى

واصف بك — تراني في خدمتك فما هو الشيء الذي تطلبه مني

هنري — ما رأيك في مشتري مئة الف فدان من الاراضي البور من الحكومة



وهي مشغولة البال بما سمعته ورأته من المستر هنري برون فسارت الى غرفتها وهي تحسب نفسها في حلم لا في يقظة وكيفما التفتت تشعر كأنها ترى وجه ذلك الشاب وتسمع صوته فيزيد قلبها خفقاناً وفكرها اضطراباً . وامين مشغول بما قاله له حليم بك ويقول في نفسه قد يحتمل ان يكون مجداً في قوله ولو كان كثير المزاح . فان كان مجداً واخذ استير من امامي فماذا افعل ولكن أليس هذه الفتاة الانكليزية افضل منها وهل يمكن ان احبها وتحبني ولعل استير تحبه ولا تحبني واليهوديات يتزوجن بالمسلمين كما يتزوجن بالمسيحيين وهو اوسع مني ثروة واعلى مقاماً . ابوه من باشاوات مصر العظام نعم ان امه شركسية او تركية ولعلها كانت من سراري القصر العالي ولكن المقام للاب . لعله كان يمزح ولكن قلبي يدلني على انه كان يتكلم بالجد وقد حدث استير مرة واحدة فشغف بها فكيف لو حدثها مراراً وعاشرها كما عاشرتها انا لا شك انه يُعْرَم بها وقد اسقطت حتي له صريحاً فلا يلبق بي ان ارجع في قولي ولكن اي حق لي عشرة فאלفة فصدقة لو كنت احبها حقيقة لما مال قلبي الى غيرها

وظلت هذه الافكار تتابى ساعتين من الزمان وهو مثل سفينة تتقاذفها الامواج الى ان دق جرس العشاء وجاء الخادم يدعوه للطعام فغسل وجهه وخرج الى غرفة المائدة وعاد حليم من بيت واصف بك وهو يفكر في ما رآه وسمعه من استير ويقول في نفسه انها جوهره ثمينة ولا بد من ان اسأل الشيخ احمد عنها فانه ادرى باخلاق تلامذته من كل احد فسار قاصداً زيارته فوجده في بيته وحده على خلاف العادة فقبل يده وجلس اليه وافتتح الحديث بما سمعه منه في البالوعن الرقص وشرب الخمر . فقال الشيخ رأيتك ترقص مع الراقصين . فقال كنت افعل ذلك وانا تلهيد في اوربا ولا ازال ارقص احياناً فهل يرى الاستاذ في ذلك بأساً . فقال هي عادة لا استحسنها ولكني لا احرمها ولا سيما في المجتمعات الادبية حيث يكون الراقصون والراقصات من الاقارب او العشاء فقد رأيت البدو يرقصون رجالاً ونساء في حلقة واحدة كأنهم اخوة واخوات لواء العفة والشهامة منشور فوق رؤوسهم لا شيء يكدر صفاءهم اما اذا فسدت الاخلاق فالفضل بين الجنسين ادرأ للمفاسد

امين ماذا تعني

حليم — ماذا اعني — اعني انك تودُ الاقتران بها  
امين — ابي اكرمها لذكائها وواسع اطلاعها ولكنني لا استطيع الاقتران بها لانها  
لا بدَّ وان تقترن باحد ابناء عمها لكي لا تذهب ثروتها الى اجنبي  
حليم — ان كنت قد صرفت النظر عنها فانا اقوم مقامك لانها اعجبتني جداً  
امين — بارك الله لك فيها

حليم — هات يدك وتصافحا وسارا الى حيث السيدات وكان هنري وبهية  
قد سبقاهما الى هناك والتفتت دورا الى اخيها وقالت له هلم بنا فقد طالت زيارتنا ثم  
التفتت الى مدام واصف بك وقالت لقد قضينا ساعتين كأنهما دقيقتان بما رأيناه  
من أنسكم

فقلت مدام واصف لقد صار لنا غاية الشرف بتشريفكم وتشريف حليم بك  
ومدام لاثي ومدام اوزيل لاثي وقد استاء واصف بك كثيراً لأنه لم يستطع الحضور  
لمشاهدتكم فان عنده مجلساً طائفيّاً في البطر كخانة لا بدَّ من حضوره فيه ولكنه  
سيتشرف الليلة ويراكم في الهوتل الا اذا تمازتما وشرفتما للعشاء صحيح يا مستر برون  
وانت يا مدام اوزيل وانت يا حليم بك تفضلوا شرفونا للعشاء . مدام لاثي ومدام اوزيل  
لاثي امين يذهب ويقول للمسيو لاثي انكما عندنا واتي به تفضلوا كلكم وابقوا عندنا  
للعشاء عشاء عائلي لا تقوم فيه بالواجب ولكن الغرض اكنساب مؤانستكم

فشكر الجميع معروفاً وودعوها وانصرفوا فخرجت معهم هي وابنتها الى باب  
المنزل وقطفوا لهم بعض الازهار واعطوهم اياها واعطت بهية لمستر هنري زهرة من  
القرنفل الناصع البياض الزكي الرائحة فاخذها حاسباً انه نال بها بعض السعادة التي يتمناها  
وعادت مدام واصف بك وولداها ولكل منهن شغل شاغل — مدام واصف  
مشغولة البال بما اخبرتها به مدام لاثي وهو ان ابناً اخذ في شغل البورصة خفية عن  
ابيه وهو ربحان الآن ولكن يحتمل ان يخسر في يوم واحد اضاعف ما ربحه ويثلم  
صيته وصيت ابيه

فقات وعلى م لا تفعلون مثلنا فان ائمة الدين عندنا على غاية الفقر فهم في حاجة دائمة الى اغنيائنا فيسترضونهم ولا يعارضونهم في شيء ولذلك ترانا بين الشرقيين كالشرقيين وبين الغربيين كالغربيين نلبس لكل حالة لبوسها . وان لم يسر الانسان مثل الممتازين الذين يعاشرهم ويساكنهم بقي منظوراً اليه بعين الازدراء

وكان حلیم قد حادث استير غير مرة ولكنه لم ير من ادبها ما رآه الآن فجعل يقابلها باختة ولا يرى اختة تمتاز عليها في شيء . ومما زاده اعجاباً بها فصاحة نظمتها بالعربية والفرنسوية فقال لها اراك تحسنين العربية على غير ما اعهدت في المتفرنجين من المصريين عموماً والاسرائيليين بنوع خاص ولا سيما من السيدات . فضحكت وقالت ان الشيخ احمد كان استاذي واستاذ اخي وقد قرأنا عليه النحو والبيان ايضاً . فنظر اليها مدهوشاً وقال ان كان الامر كذلك فصار علي ان احاسب كيف اتكلم معك . وقدّم لها كرسيّاً وجلس اليها يحادثها في شؤون مختلفة وكان يعلم ان اميناً يعجب بها ولكنه لم يكن يحسب انها على هذا القدر من الذكاء وسعة الاطلاع فقال في نفسه هذه الفتاة خير من كل فتاة رأيتها ولا اظن ان ابي وامي يعارضاني في التزوج بها ولي اسوة بفلان وفلان من امراء بلادنا المتزوجين يهوديات . والتفت امين فراه جالساً مع استير مصغياً بكليته اليها فود ان يعرف ما هو دائر بينهما من الحديث ولحظت دورا ذلك منه فشت معه الى ان وصل الى استير وحليم فنهضت استير اليهما ونهض حلیم وبعد حديث قصير افرقوا على غير ما كانوا . مشت دورا واستير الى حيث مدام واصف بك وام استير ومشى امين وحليم وحدهما ودار بينهما الحديث التالي

حليم — ما هذا الذكاء وما هذه النباهة . كنت اسمع عن ذكاء الاسرائيليات ولا اصدق فهل هذه الفتاة نادرة بين بنات جنسها او كلبن كذلك

امين — لا اظنها نادرة لان امها ذكية مثلها ولكنها تمتاز على غيرها باتقانها للغة العربية فانها تكتبها كما تكتب الفرنسية وكان الشيخ احمد استاذاً لها فيها

حليم — كذا قالت لي فهي مثل حلیمة من هذا القبيل وتفوقها في معرفة الفرنسية ولكن حلیمة تعرف التركية — ما علينا هل انت على ما اخبرتني به عنها

اميناً أبيض الوجه اشقر الشعر وكذلك كانت امه وهي سورية الاصل وكذلك اخته بيضاء الوجه او فيها سمرة قليلة يخفيها توردها وجنتيها . ورأى هو فيها ما عهده في الفتيات الاسكتلنديات من رقة ورشاقة على ادبٍ ورزاقه

ووقف حلیم مع استير وكان حديثهما عن البالو ايضاً ومن شاهدا فيه فسألته هل كانت امه واخته مع نساء السراي وراء الستار فقال كلاً فان حلیمة تقول إما ظهور تام بين الناس واما الاستكتمان في عمر البيت وقد طالما حاولت اقناعها لتفعل كما يفعل نساء الاستانة فتخرج في المركبة لابسة يشمكاً فتشاهد جمال الطبيعة ومن فيها وهي لا تزيد الاً تمسكاً برأيها لا لانها تكره ان ترى الناس بل لانها تكره ان تحسب معتدية على عادات قومها او على ما يحسبونه من السنن . فاما ان يزال الحجاب تماماً بنوع عام صريح تشترك فيه الفلاحة بائعة اللبن والاميرة المتنعة في قصرها واما ان يبقى مرعياً تمام الارعاء ولذلك تقضي اكثر وقتها في الحديقة الكبيرة حول دارنا واذا خرجت الى الغزاة ففي مركبة مقفلة وخروجها نادر الاً في فصل الصيف حين نذهب الى ابعادنا او نساغر الى الاستانة . ولا اخفي عليك ان جمهوراً كبيراً من شباننا المتعلمين المتهذبن يذهبون مذهب شيوخنا ويقولون بوجوب الحجاب وانهم لا يسمحون لنسائهم بازالته مطلقاً ونحن القائلين بازالته عددنا قليل وصوتنا غير مسموع لان ائمة الدين ضدنا ولكن بلغنا الآن ان لنا حزباً كبيراً في الهند فان قومي على مقاومة ائمة الدين هناك تحقّق الفوز لنا قريباً والاّ فزمنه بعيد

فقلت ولكن الشيخ احمد لا يكره ازالة الحجاب وخروج النساء مكشوفات الوجوه مثلنا ومثل نساء الافرنج فعلى م لا تستعيبون به . فقال هو واحد وصوته ضائع بين اصوات المئات والالوف ولذلك ترى منهم يكفرونه كلما قل قولاً خالف فيه المؤلف . فقلت ولكنني رأيت البارحة في البالو والناس ماتمون حوله وهم من جلة القوم . فقال هؤلاء ليسوا من العلماء بل من الناشئة الجديدة واكثرهم متعلم في اوربا واما العلماء فلا يلبسون الطرايش ويعدّون لبس الطربوش بدعةً وكان واحد منهم وهو من اعلمهم وافضاهم يقول ان كل لابس طربوش مارق من الدين



فقلت « كلاً » من غير تردد ثم قالت انا اعلم انكم لا تستهجنون هذه العادة  
ولكننا نحن بنات المشرق نستهجنها جداً  
فوقف حائراً لا يدري ماذا يقول وادركت هي حيرته وارادت ان تجدل له مناصاً  
منها فقالت له على م لا تكاتب ابي او اخي فاعلم اخبارك منهما . ثم انه يسرني ان  
اكتب السيدة دورا اذا شاءت فامرّ ن انكايزيتي . قالت ذلك متبسمة  
فامسك بيدها وقال انا ذاهب الآن في شغل شاغل ولكنني لا انسى هذه الساعة  
وسأبدل جهدي حتى اصير اهلاً لمكاتبتك وستبقى صورتك نصب عيني ما دمت في  
هذا السفر الى ان اعود ثانية في الخريف التالي وعسى ان تنظري الي حينئذ كما انظر  
اليك الآن

فلم تجبه بل نظرت من الكوة الى الشمس وقد كادت تتوارى في الحجاب ممثلة  
آمال النفس تختفي في ليل بهيم ثم تشرق بالضياء والبهاء فراعتها الظلمة المدلّمة بين  
ذاك البهاء وهذا الاختفاء

## الفصل الخامس

### شؤون مختلفة

لما كان هنري وبهية واقفين ينظران الى الشمس وقد آذنت بالمغيب ونفساهما  
طارتان على جناح الآمال في فضاء هذا الكون وقف امين مع دورا يسألها عما شاهدته  
هي واخوها في مصر من الاثار ويقابل معها بين صفاء مصر وضباب لندن ولا سيما في  
هذا الفصل وهي ترى من ادبه وظرفه وواسع اطلاعه فوق ما كانت تتظنه من المشاركة  
ولا سيما لما سمعته يستشهد لها باقوال كتّاب الانكايز وشعراهم . فدُهِشت من ذلك  
وقالت في نفسها ان كانت اخته مثله فهي خير قرينة لآخي . وخطر لها حينئذ ما قرأته  
عن الشعوب القديمة وهو ان اصول التهذيب راسخة في نفوسهم تظهر باقل صقال  
كالجوهر المكنون في النصل لان عمران اربعة آلاف عام لا يزول اثره اذا خبت ناره  
الف سنة . ولقد كان قائماً في ذهنها ان المشاركة كلهم سمر الالوان الى السواد فرأت

التأثيل والآنية ما كان يوضع في الهياكل المصرية القديمة ويلبس زوجها لبس كاهن مصري ويجتمع حولها اناس من المعتقدين اعتقادها قصد ارجاع عبادة ايسس .  
وعندهما وعند المعتقدين التعمص من اهلي اوربا واميركا ان نفس الميت تحل في جنين آخر حالما يتصور والا فمن اين تأتي النفوس الى الاجنّة . وفاتهم انه لو كان الامر كذلك لوجب ان تكون نفوس البشر الف وخمس مئة مليون نفس من اول عهد الانسان كما هو عدد الناس الآن وان يبقى عددها كذلك ما دام الانسان على هذه البسيطة . ومهما يكن في عقيدة التعمص من الغرابة والسخافة فاني لا انكر عليك شعوري باني رأيت قبلاً كثيراً من المناظر التي اراها الآن ولا سيما انت فانه حالما وقع نظري عليك في سراي عابدين شعرت كأني رأيتك من قبل وقلي يدلي على انك تشعرين بشيء من ذلك ان لم اكن مخطئاً او مغترّاً بنفسي

فصبغ الحياء جبينها ووجنتها واطرقت هنيئة كأنها تحارب نفسها وتحاول التغلب على حياها الفطري ثم نظرت اليه وتبسمت وقالت ظنك في محله . وعادت فاطرقت ثانية كأنها ندمت على ما قات ولكن العواطف لا تخضع لاساطان الارادة فقال لها اسمحين لي ان اسألك سواء لا نخشى ان نسأله في بلادنا وكان يمكنني ان اسأله لغيرك واعرف جوابه منه . ثم صمت منتظراً الجواب . فقالت نعم سل ما بدا لك

فقال مخطوبة انت

فنظرت اليه هنيئة وكأنها تقول في نفسها على م هذا السؤال ولماذا توقفتني في هذا الموقف الحرج . ثم جاوبته جواباً صريحاً بقولها لا والتفتت تريد الافلات منه فقال عفوك يا مولاتي ان كان سواء لي هذا قد غاظك فارجو العفوة فقالت كلاً ولكننا لم نعتد ان نسأل مثل هذا السؤال ولقد اصبحت في قولك انك كنت تستطيع ان تعرف جوابه من غيري على اسهل سبيل ولذلك لم ار ما نأ من اجابتك عنه . وعاد الحياء الى وجهها فتورد

فقال وهنا سؤال آخر اصعب من الاول هل تسمحين لي ان اكتبك في سفري

حديقة كبيرة ولا يدلُّ ظهْرهُ على ما فيه من دلائل الرفاهة والغنى وقد ظنُّهُ هنري من البيوت الشرقية الساذجة فلما دخل ردهته رأى فيها من الاثاث والرياش ما لا يرى الا في قصور الملوك فان ارض الدار كانت مفروشة ببساط واحد من الغوبلين الغالي الثمن وفوقهُ ثرياً كبيرة جداً يبلغ محيطها ستة امتار او سبعة فيها مصابيح للغاز وللكهر بائية وعلى الابواب ستائر من الحرير المعرَّق وكل ذلك بل كل اثاث البيت من سراي الجزيرة وسراي الجزيرة وبعضه كان لم يزل في صناديقه لما عرض في المزاد . واستقبلت مدام واصف بك ضيوفها في غرفة جنوبية غربية تدخل شمس الشتاء فتغنيها من ايقاد النار وحضر ابنها امين حينئذٍ ومعه حليم بك وجلسوا كلهم يتجادبون اطراف الحديث بالفرنسوية تارة والانكليزية اخرى واقبل الخدم بصحاف الكعك والمربيات والمسكَّرات وجعلت مدام واصف بك تصب الشاي في فناجين من الصيني القديم والخدم يقدمونها الى الحضور وتبادل الجميع مجالسهم مراراً الى ان جالس هنري الى جانب بهية في زاوية من زوايا الغرفة وكان النور المستطير واقعاً على وجهها ومنعكساً عن شعرها فبانَت كايسس متجلية في مجدها وبهاثها حتى كاد يشغله النظر اليها عن الكلام معها . وحاولت هي افتتاح الحديث معه لان آداب المعاشرة تقتضي ذلك فقالت له أهذه اول مرت زرت فيها هذه الديار فقال نعم ولكنني لا ارى نفسي غريباً ولا كل ما فيها غير مألوف لديّ وكأني زرتها من قبل مراراً لكثرة ما قرأته عنها ورأيتهُ من صورها او لسبب آخر تستغرينهُ اذا ذكرته لك

فقات وما هو

فقال ان اناساً من الاوربيين والامركيين اخذوا يشيعون عندنا معتقد القدماء بالتقدم وهو المعتقد الذي لا يزال شائعاً في الهند والصين ويسلم به نحو ثلث بني البشر . ويقول بعضهم انهم يتذكرون ازمنة غابرة حينما كانوا عائشيين في هذا القطر او غيره من الاقطار وقد رأيت سيدة تدعي انها كانت في عصر من العصور الغابرة كاهنة من كهنة ايسس في هذا القطر وهي الآن في باريس تلبس لبس الكاهنات المصريات وقد اعدت في بيتها غرفة في شكل الهياكل المصرية ووضعت فيها من

فيها لم يبقَ بينهم فارق يُذكر . ولماذا يتزوج اشرافنا ووزراؤنا في بلادنا بالاسرائيليات وهنَّ من اصرح الشرقيات نسباً ولا نرى وجهاً للمعارضة وبنات فرعون كنَّ ملكات لما كانت بنات اسرائيل مستعبدات . ثم تجلَّت لها صورةُ بهية بقامتها الهيفاء وعينيها النجلوين فقالت انها تشبهه وما اكثر هذه المشابهة بين الازواج . واستمرت هذه الافكار تلقاها الى ان ران الكرى على جفنيها واستولى عليها سلطان الوسن ونهضت في الصباح حين نهض اخوها فاستحمَّ ولبسها وجلسا يقرآن بريد المساء وكان فيه كتاب مختصر من امها وكتاب مطوّل من ابهما وهو يستحسهما فيه ليطمئا شغلها في مصر باسرع ما يمكن ويذهبا الى بلاد اليابان رأساً ولا يقيما في الهند ولا في غيرها ومما كتب اليهما به قوله

« لا بدّ من البحث والاستقصاء عما يمكن فعله لاحياء الارض الموات في الوجه البحري والواحات البحرية فقد بلغنا ان فيها اكثر من مليون فدان يمكن احيائها وزرعها قطناً وكذلك اراضي الصعيد يمكن زرع القطن فيها كلها اذا دُبّر ريهما حتى تصير تروى صيفاً كما تروى شتاء وفي السودان اراضٍ واسعة يمكن استخدامها لزرع القطن واذا كانت الحكومة المصرية غير قادرة ان تنفق على الاعمال الهندسية اللازمة لذلك ولا استطعن ان نخوّلها استعمال الاموال المتراكمة في خزائنها فعندنا شركات مستعدة لدفع النفقات اللازمة ولاصلاح الاطيان ايضاً . فبجئنا في هذا الامر مع العارفين به واجمعنا كل المعلومات التي تستطيعان جمعها باسرع ما يمكن وابعثنا بها بناحلاً ثم بادرا الى بلاد اليابان وانزلا في طوكيو في المنزل الملكي وسأكتب اليكما الى هناك بما يُطلب منكما . اعضاء النادي ولا سيما السر هنري جراي والسر كميل كار وزوجتاها يقرئونك السلام وقد كتب لورد بنشيلد الى المستر لاثي مع هذا البريد يكرر عليه التوصية بكما ويطلب منه ان يبذل جهده في ابلاغكما ما تطلبان »

ومضى النهار في مشاهدة الجوامع ونحوها من المباني القديمة الى ان كان العصر فانت استير وامها واخوها وساروا بهنري ودورا الى بيت واصف بك فالتقهم بهية وامها ورحبتا بهم . وبيت واصف بك في شارع الظاهر من البيوت القديمة تحيط به



فالق القلم من يده وقام يمشي في غرفته ذهاباً وإياباً وافكاره تائهة لا تستقر على شيء ثم جعل يراجع الكلام الذي سمعه منها وعنهما وحانت منه التفاتة الى صورة امه وكانت موضوعة امامه فوق مكتبته فنذكر حبها وحنوها ووصاياها فسحت الدموع من

عينيه وخلع ثيابه وانطرح في سريره واسلم جفنيه للكرى

ولم تكن الا دقائق قليلة حتى تغلب تعب الجسم والعقل على تهيج الاعصاب فخذر الدماغ وارتمت الاعضاء ونام هنري نوماً عميقاً انقطع فيه شعوره الى ان كاد يبرز الفجر فانتبهت حواسه بعض الانتباه والتفتت الى مدركات الليلة الفائتة فمزجتها بمدركات اخرى مما اختبره او قرأه او سمع عنه والفت من ذلك حلماً طويلاً عريضاً رأى فيه نفسه في قفر بلقع وهمية حاملة على ظهرها حملاً ثقيلاً وقد كاد يقضى عليها وهي تستغيث وتستجير ولا مغيث ولا مجير ففرع اليها عن بعد وناداه لكي يشدد عزائمها فخفت خطاها واسرعت اليه وهي متوشحة بثياب الحداد ولم يكذب يصل اليها حتى استيقظ من نومه واذا هو قد تضحى

اما دورا فانها دخلت غرفتها مبللة الافكار لا تعلم هل ما ابداه اخوها ناتج عن تأثر عميق في نفسه او هو غمامة صيف عن قريب تتشع. وهالها مناداته لها وقوله وجدتها وجدتها كأنه ارخميدس حين خرج من الحمام ومشى في الاسواق عارياً. ولكنها قالت نحن باثتون على سفر والبعاد خير مرهم لكوم النفس ثم استدركت بقولها ان صورتها راسخة في ذهنه وهو شديد التأثير فادراني انه لا يحلم بها الليلة بعد الليلة فتزيد رسوخاً لا سيما بعد ان رآها عياناً. ثم لماذا اعارضه في حب هذه الفتاة وقد صنع الله من دم واحد كل اممة من الناس يسكنون على وجه الارض ولماذا لا تستحق ابنة الفراعنة ان تكون زوجة لاسكوتلندي كان اسلافه يقطنون الغابات ويرتدون جلود الحيوانات حينما كان اسلافها يسكنون القصور ويقودون الجحافل. ولماذا هذه النعرة التي اخذتنا نحن الاوربيين بنوع عام والانكايز بنوع خاص نحن افضل من غيرنا جبلة هوذا النساء والرجال الذين شاهدتهم الليلة في عابدين من كل امه وشعب ولسان قد سمت بهم الحضارة حتى لا تجذبهم فارقاً الا فارق التربة والذين اشتركوا

فقال له الخواجه لاثي كن مطمئن ابال فاني ارى هنا كثيرين من نزلكم ولم يعد منهم احد حتى الآن ومع ذلك فالنوم الباكر اصلح للصحة — هلم نراين السيدات . وسار الثلاثة معاً الى ان التقوا بهن فقالت دورا لاختيها قد حان وقت النوم يا هنري ولا تنس انك سهرت البارحة الى ما بعد نصف الليل وربما تضطر ان تسهر غداً هلم نذهب ثم التفتت الى الذين حولها وودعتهم وودعهم هنري ايضاً وسار وراءها وهو كاسف البال مبلبل الافكار فنزلا الى غرفة الاربوية والتفأ بردائيهما وناديا المركبة التي احضرتهمما فركباها وعادا من حيث اتيا

## الفصل الرابع

### بداة البلبال

عاد هنري ودورا الى فندق ساقوى حيث اقاما منذ حضرا الى مصر ولم يتكلما في اثناء الطريق على غير عادتهما . اما هنري فكان يفكر في الفتاة التي رآها في سراي عابدين ويقول في نفسه هي عين الفتاة التي رأيتها في حلمي . وهما تقوأت دورا في تعليل ذلك الحلم . وعندى الآن شاهد آخر على صحة قولي وهو ما شعرت به حين رؤيتها ويظهر لي انها شعرت كما شعرت لانها اطرقت حياء وصبغ الدم وجنتيها وقلت بعد ذلك اراها تنظر اليّ كلما استرقت اللحظ ونظرت اليها فتعضي خجلاً

ولما وصلا الى غرفتيهما اعتما وافترقا ودخل كلُّ غرفته ورأى هنري ان النوم طار من عينيه فجلس امام مكتبه واخذ قلماً وقرطاساً وجمع افكاره وكتب لايه كتاباً طويلاً عن وصف البالو ومن اتى فيه وما يظهر على الذين راهم من دلائل الغنى الوافر والنعمة السابغة . وخطر على باله حينئذ كل ما قلّه له واصف بك عن زراعة القطن والري الصفي فكتبه حرفاً حرفاً كأن ذاكرته وعته كله على غير علم منه . ولما قرأ ما كتبه تذكر انه سمعه ولا م نفسه لانه ابدى عدم الانتباه والاكثرث وقال في نفسه ترى ما سبب ذلك وانالم أعدم عقلي . ثم خطر على باله بهية واعتدل قوامها وحوور عينيه ومشابهتها التامة للطيف الذي رآه في منامه فارتجفت مفاصله وبرد الدم في عروقه

صاحب جريدة لندن نيوز المشهورة اتى للسياحة والغرض هام جداً وهو البحث عن الوسائل التي يمكن العمل بها لتكثير زراعة القطن في القطر المصري فهل ترى يا واصف بك انه يمكن ان يتسع زمام زراعته في الوجه البحري وهل في الامكان زرعهُ في كل جهات الوجه القبلي ايضاً

واصف بك - ان توسيع نطاق الزراعة الصيفية يتوقف على وجود المياه الكافية صيفاً وعلى عمل الاعمال الهندسية اللازمة لذلك اما الآن فانه النيل الذي يرد مدة الصيف والذي يخزن في الخزان لا يكفي لاكثر مما يزرع في القطر المصري من القطن ولكن اذا عُلِّي الخزان حتى يتضاعف ما يخزن فيه من الماء وعمت اعمال هندسية في اعالي النيل حتى لا يضيع كثير من مائه زاد الماء الوارد والخزون وامكنا ان نزرع من القطن مضاعف ما نزرعه الآن اي امكنا ان نزرع ثلاثة ملايين فدان بدل مليون ونصف فيصير حاصل القطر المصري نحو اثني عشر او ثلاثة عشر مليون قنطار وهي تقوم مقام خمسة ملايين بالة من القطن الاميركي فنغني انكلترا عن اكثر ما تأخذهُ من القطن الاميركي هذا اذا لم يخطر لكم ان تنشؤوا معاهل الغزل والنسيج في القطر المصري نفسه . واذا ظهر بالامتحان انه يمكن زرع القطن الجيد في بلاد السودان فلا شبهة في انه يصير عندكم ما تستغنون به عن القطن الاميركي كله

وكان هنري قد تذاكر طويلاً مع الخواجه لاثي في هذا الموضوع وود ان يقف على شيء من الحقائق والتفاصيل التي كان واصف بك يذكرها له الآن ولكنه لم ينتبه اليها الانتباه الواجب وظهر عليه الملل بل كان يسمع ولا يفهم خلافاً لما عهد فيه الخواجه لاثي من التدقيق في السؤال والاستيعاب في البحث فتمل له اظناك نعمت الآن وربما انك سهرت البارحة . فادرك هنري حرج موقفه واعتذر عما بدا منه من قلة الانتباه وقال لواصف بك لا بد لي من ان اقبل حضرتك مرة اخرى واكتب كل هذه الامور التي قلتها لي الآن . ولي مسائل اخرى ارجو ان لا تبخل عليّ بالاجابة عنها حينئذ اما الآن فاظن انه حان لنا ان ننصرف ولا اعلم الى اي ساعة يبقى باب الفندق مفتوحاً

يقبل امضاءه على مئة الف جنيه وهي واخوها يعرفان الانكليزية ويتكلمانها مثل  
الانكليز فقد كان عندهم مربية انكليزية واخوها درس في انكلترا  
فقال هنري نعم سمعته يكلم اميراً هندياً بالانكليزية  
فقدت استير نعم وهم جيراننا هم همي فأعرفكما بهما

وسارت استير وهنري ودورا الى ان التقوا بهية واخيها وهنري لا يصدق عينيه  
فنظرت استير الى هنري وبهية وقالت الشريف المستر هنري برؤن بن السر ادورد  
برؤن صاحب جريدة لندن نيوز المدام ازابيل بهية واصف . ثم التقت الى امين ودورا  
وقالت امين بك واصف مس برؤن . فتصافح الاربعة وشعر هنري كأنه عاد الى  
الحلم الذي حلم به منذ شهر من الزمان فامتقع وجهه اولاً ثم احمر وخفق فؤاده وارتجفت  
مفاصله واراد ان يتكلم فأرتج عليه وغضت بهية طرفها واطرقت لانتكلم وكأنها خجلت  
مماً بدا منها فتوردت وجنتها حياء ولم يخف ذلك على دورا واستير اما دورا فكانت  
تعلم سببه واما استير فظنته من قبيل الحياء العادي المتغلب على الفتيات الشرقيات

ودار الحديث على محاسن البالو وكثرة السياح في مصر واشتداد البرد في اوربا  
وتغالي السيدات بالاولوء والزمرش وشيوع الزبرجد حديثاً بعد ما وجد منه الشيء الكثير  
في جزائر البحر الاحمر ولم تكن دورا قد رآته فارتها بهية اياه معلماً بقلادة في عنقها  
فابتدت استحسانها له . وكان بين الحضور بعض النساء الانكليزيات الشريقات  
فاشارت دورا اليهن وذكرت اسماءهن والقاهن وما يقال عن وفرة حلاهن . ثم مر  
واصف بك وزوجته فاستوقفهما امين وقدمهما الى هنري واخيه وكانا يتكلمان الفرنسية  
فدعت مدام واصف بك دورا واخاها واستير واخاها لتناول الشاي عندها عصر اليوم التالي  
واني الخواجه لاثي حينئذ فسلم على واصف بك واعاد تعريف هنري به وجعل  
الثلاثة يتكلمون بالفرنسية ومشوا معاً وجلسوا على مقعد في احدى غرف السراي  
وجرى بينهم الحديث التالي

قال الخواجه لاثي لهنري ان واصف بك من اقدر الناس على ارشادك الى ما  
تريد الاستعلام عنه . ثم قال لواصف بك ان المستر برؤن بن السر ادورد برؤن



كأن المصور اراد ان يصور الشكل المصري وهو في اجمل حالاته وابدع معانيه  
فجاءت صورته المجردة من صور الخيال مشابهة لصورة هذه الفتاة . انها جميلة جداً لا  
اخالفك في ذلك ولكنني على رأيي الاول وهو ان رسم الصورة التي عندنا ارتسم في  
مخيلتك فرأيتُه في نومك وهذه الفتاة بريئة مما تراءى لك لا يد لها فيه

فقال دعيني من التعليقات العلمية . هذه الفتاة تستحق ان تُعبد ولا سيما اذا  
كانت اخلاقها مماثلة لخلقها فما السبيل الى التعرف بها

فقات ما دمنا في القاهرة فلا نعدم سبيلاً الى ذلك فقد رأيتها منذ ساعة تتكلم مع  
ابنة المستر لاثي الذي اتناه بمكاتيب التوصية من لورد بنشيلد فسألمها عنها  
فقال احسنت نعم لقد رأيت مس لاثي هنا وكتبتها وهي جميلة ايضاً ولكن جالها  
اوربي لا شرقي

فقات كيف ذلك واليهود من اصح امم المشرق نسباً  
فقال نعم ولكن بعضهم اقام في اوربا مئات من السنين ففعل بهم الاقليم فعله  
بالاوربين كما ان يهود بلاد الحبش صاروا سوداً مثل الاحباش  
فقات ولكن جمهور العلماء على ان هيئة اليهود لم تزل واحدة في كل البلدان التي  
تفرقوا فيها ولو تغير لون بشرتهم

فقال اتركي لي التعليقات العلمية كما اترك لك التعليقات الفلسفية . من قال ان  
جمهور العلماء قالوا ذلك ومن اثبت ان الحق في جانبهم ولكن ما لنا ولهذه المباحث  
الآن هلمي نفتش عن مس لاثي ونسألها عن هذه السيدة

وسارا في غرف السراي من غرفة الى اخرى الى ان التقت باستير ابنة الخواجه  
لاثي فسلما عليها وعلى امها ووقفوا معها هنيهة يتكلمان عن الرقص وملابس النساء وحلاهن .  
ثم قالت دورا لاستير من هذه الفتاة الطويلة القامة السوداء الشعر التي كنت تتكلمين  
معاها منذ نصف ساعة . ثم وصفت لها ثيابها وحلاها . فقات استير نعم نعم هذه بهية  
بنت واصف بك رجل قبطني من اغني اهالي هذا القطر عند ايها خمسة آلاف فدان  
من اخصب الاراضي وقد اشترى خمسة آلاف اخرى من الدائرة السنية ويقول ابي انه

مثلم ونال انه يرجي بلاده خيراً كبيراً . واراد بعض الحضور ان يستطلعوا طعمه فسألوه من اين يأتي هذا الخير وعلى يد من فقال الله كريم ولم يزد وفتحت غرفة المائدة حينئذٍ وهرع اليها الناس افواجاً حتى امتلأت بهم على رجبها ودخل امين واخته اليها ووقفا مبهورين مما رأياهُ فيها من النقش البديع . وكان امين مغرماً بكل ما هو شرقي فقال لاخته انظري ما ابهى النقش الشرقي وانتساق الالوان فيه . فشغلا عن الاكل بروية نقوش الجدران والسقف وحاول قراءة الاشعار المكتوبة تحت السقف فقرأ بعضها ولم يستطع قراءة البعض الآخر لانها مكتوبة بحروف معلقة متداخلة فتعذر قراءتها على من لم يمارس قراءة الخط المعلق ورأى في غرفة المائدة اميراً هندياً لباساً حلة عسكرية بديعة الزركشة وحوله جماعة من الوطنيين وهو يخاطبهم بقوله « لا اله الا الله » ويقف عند هذا الحد لانه لا يعرف من العربية غير كلمة الشهادة وهم مسرورون به مدهشون من منظره يودون ان يسألوه عن بلاده وقومه ولكنهم يجهلون لغته فخاطبه بالانكليزية فابرت اسرة الامير وهش اليه وجعل يكلمه ويكلم الجميع بواسطته وهو يترجم لهم وله وبقوا على هذه الصورة نحو نصف ساعة فسألوه عن امور كثيرة تتعلق ببلاده وقومه وتطرقوا الى بعض المسائل السياسية فقال الى هنا فانه يباح لي ان اتكلم في كل موضوع الا هذه المواضيع . ورأت بهية اخاها يكلم الامير الهندي فوقفت الى جانبه تسمع ما يقوله والعيون شاخصة الى محياها الجميل

وكان في الجمع شاب انكليزي من كبار السياح الذين يدعون عادة الى البالو الخديوي فرأى جمماً محتشداً حول كولونل هندي فدنا منه ولما وقعت عينه على بهية وقف جامداً كالصنم ثم هربول يفتش عن اخته واخذها من كبل كانت تمشي معه بعد ان اعتذر اليه وقال لها بصوت خافت وقلب خافق وجدتها وجدتها . فقالت من هي فقال الفتاة التي زارتني في الحلم وانا ساحب لتفتيش عنها تعالي انظريها . قل ذلك واتى مع اخته الى حيث الجمع المحتشد حول الامير الهندي فظرت الى بهية ورأت انها تشبه الصورة التي في بينهم فبسمت وقالت لاختها اصبت فانها تشبهها تمام المشابهة

يا استاذ وانا ايضاً اكره هذا الرقص ولكن المثل يقول مع السوق سوق . فقال واحد من الحضور وما قول الامام في شرب الخمر

فتبسم الامام وامرّ يدهُ على لحيته وقال « ان الحسين بن موسى استحضر ابن عيَّاش وابن ادريس فسألهما عن النبيذ فقال ابن عيَّاش حلال وقال ابن ادريس حرام فقال ابن عيَّاش ادركنا ابناء الصحابة والتابعين بهذه المدة يشربونها في الولايم حلالاً او حراماً وبكأؤنا على اصل الدين اشد من بكأؤنا على النبيذ » وانا اقول قوله فاننا اضعنا اصول الدين فلعينها الكفاء لا على شرب الخمر وقد شر بها اكثر خلفائنا من بني امية وبني العباس . ولا شبهة عندي في انها ضارة وقد نهى الشرع عنها اضرها شأنه في كل المناهي فان كل احد لا يأنف من ان يشرب سمّاً يسمُّ بدنه فهو وشأنه ولكن اذا كان السمُّ قليلاً لا يضرُّ لقلته فقد امتنع ما يوجب المنع . واذا كان نافعاً في بعض الاحوال و اشار به الطيب فلا بدّ من الاخذ بقوله . والمسألة مسألة نفع وضرر اذ لا يُعقل ان تكون الخمر محرّمة لذاتها سواء نفعت او ضرت ومع ذلك فذهبي الامتناع عن المسكرات كلها الا اذا امر بها الطيب دواءً وحينئذ يكون فيها منافع للناس . والا لكحول الصرف اكبر فائدة واسلم عاقبةً بالمقادير التي يشير بها الطيب

ثم مرّ الجناب الخديوي من تلك الجهة فنهض له الجلوس وقوفاً على الاقدام خجياً بعضهم مصافحة ولا سيما الامام احمد فانه خصه بالتفاته وتكلم معه هنيئة

وسار بعض الحضور الى غرفة الاستقبال الكبرى فرأوا فيها وزيراً من وزراء المغرب الاقصى مرّ بالقطر المصري في رجوعه من الحج فجلسوا اليه وكان بينهم رجال عرفهم من قبلُ فعرف به رفقه وجلسوا يتحدثون في احوال الدول الاسلامية بنوع عام والبلاد العربية بنوع خاص وتوسعوا في الحديث الى المغرب الاقصى واحواله الحاضرة وما ينتظر له في المستقبل التريب . وكان الوزير شديد الحذر لكنه لم يخف اعجابه بما رأى من التقدم الباهر في القطر المصري وودّ ان يتنفع ابتاؤه كلهم من الفرص المباحة لهم فيأخذوا اخذ الاوربيين ويتعلموا تعلمهم ويزاولوا الاعمال

انتهى دور الرقص وسار امين واخته الى غرفة الاشربة فشر با كأسين من القهوة  
 المثلوجة والتقى باستير واخيها هناك فلم بمضهم على بعض ومشى يوسف اخو استير  
 مع بهية ومشى امين مع استير وساروا الى دار الرياحين وجلسوا يتسامرون  
 ومرّ الخواجه لاثي بجماعة من العلماء اصحاب المأمم وبنهم الامام احمد وهو  
 استاذ مشهور بالعلم والفضل وكان الخواجه لاثي يتودّد الى الوطنيين ويقول ان معرفة  
 لغتهم العربية لازمة كـمعرفة العبرانية والنرم من معرفة الفرنسية والانكليزية والايطالية .  
 وكان الامام احمد منذ ست سنوات رقيق الحاشية على اشتهار بالعلم والفضل فاستخدمه  
 الخواجه لاثي لتعليم ابنه وابنته فدرّسهما العربية قراءة وكتابة وصرفاً ونحواً واعطاه  
 الخواجه لاثي فوق اجرتي العادية عشرين سهماً من اسهم الدائرة السنوية التي اخذها  
 المؤسسون كان السهم منها يساوي جنهماً فصار يساوي مئة جنيه فاقبلت الدنيا عليه  
 وصلاح حاله ودعي الى منصب علمي رفيع ويقال ان الخواجه لاثي لم يعطه تلك الاسهم  
 جزاء تعليمه لولديه بل لكي يساعده في انشاء شركة لضمان الحياة واقناع العلماء  
 للافتاء بجوازها . وهما يكن من الامر فتمد صار الامام احمد بعد ان صلحت حاله قطب  
 دائرة لجماعة كبيرة من العلماء والمريدين فلا يجلس في مجالس لا تألبوا حوله  
 يسمعون اقواله

لما اقبل الخواجه لاثي نهض الامام احمد اجلالاً له فنهض الذين حوله ايضاً  
 ثم جلسوا معاً وقال الامام موجهاً الخطاب الى الخواجه لاثي كنا نتكلم الآن عن  
 الرقص وغيره من العادات الاوربية فقلت لـاخواننا ان الرقص لا يختص بالاوربيين  
 بل هو شائع في كل البلدان وبين كل الامم وقد كان شائعاً من قديم الزمان . ويقال  
 ان بعض العجماءات تظهر سرورها بالرقص لكن عاداتنا القومية تستهجنه اذا كان على  
 هذه الصورة . وقد بلغني ان كثيرين من الاوربيين والاميركيين يستهجنونه ايضاً وهما  
 يكن من امره فنحن في غنى عنه ولو كنا اقتبسنا كل الباب من حضارة الاوربيين  
 وبقي علينا القشر لنظرنا في تحليل اقتباسه ومع ذلك لا انكر على ابناء وطننا من  
 اسرائيليين ومسيحيين الاقتداء باخوانهم الاوربيين . فقل الخواجه لاثي الحق معك



من هذا القبيل

فضحكت وقالت أهدا اعتقادك في ما اقل الاخوة الذين يعتمدون الكمال في اخواتهم الى هذا الحد

فقال وانت تعلمين انني شديد الاعتقاد فلا اتكلم عن الهوى . ولكن ما لنا ولهذا الحديث الآن تعالي ارقصي معي لئلا يأتي آخر ويدعوك الى الرقص معه وابي لا يريد ذلك

وقبل ان يتم كلامه دنا منهما شاب طويل القامة كبير العينين اسود الحاجبين عالي الجبين يجري في عروقه الدم العربي والدم التركي فسلم عليها مصافحة ثم سأل بهية عما اذا كانت تتنازل الى الرقص معه فنظرت اليه وقالت لقد وعدت غيرك قبلك فقال الرقصة التالية فقالت ان لم اتعب كثيراً . فادرك انها تفضل ان لا ترقص معه لكنه شكرها وبقي واقفاً يرى جمالها الفتنان ويعجب باعتدال قوامها ودعج عينيها وعذوبة منطقتها ويقول في نفسه ما ضرر حليمة لو اتت الى هذا المكان وشاهدت اخوتها واخواتها ابناء آدم وبناته . وكيف يحجب النظر عن رؤية اجمل مخلوقات الله وافضلها . يقولون ان القلب يغوى . وهذا صواب ولكن الالفة تزيل الغواية ففي اول نوبة دخلت مرقصاً وشاهدت النساء مكشوفات السواعد والصدور دهشت واشمازت واستغربت وصرت احجب طرفي لئلا اغوى ثم قل هذا الاستغراب في المرة الثانية والثالثة الى ان زال وانا ارى الآن المرأة العارية النحر والصدر كما ارى الزهرة والحلية فاستحسنها اذا كانت حسناء واستقبحها اذا كانت شنيعة وقد لا التفت الى كونها جميلة او شنيعة بل الى انها فلانة او فلانة وسواء عندي لبت ثياب البلبو او ثياب الحداد وسواء رأيت وجهها فعرقتها منه او رأيت حبرتها فعرقتها منها

هذه الخواطر جالت في بال حلیم وهو واقف ينظر الى امين وبهية يرقصان مع عشرات غيرها وكأنه لا يشعر بما امامه ثم تنبه لها ولغيرها من الراقصين والراقصات فلم يفقه الا الى حركات الرقص ومن يحسنها ومن يسيئها شأن غيره من الذين افوا هذه المشاهد

بعضهم بالحلال المقصبة تتألق النباشين على صدورهم واكثرهم بالثياب السوداء التركية او الاوربية على نسق واحد او بالعمائم والجلبب . هذا من قبيل الرجال . اما النساء فلا تسأل عن ازيائهن وحلاهن وحلاهن ولا تكاد اثنتان تماثلان في شيء وهن في ذلك على درجات متفاوتة فمن سيدة في حلة من الحبك الارلندي لا يقل ثمنها عن مئات الجنيهات وتاج من الماس البراق وعقد من الدر النضيد ومشابك واساور يتألق ماسها ويقوتها وزمردها كالدراري ويقدر ثمنها بالوف الجنيهات - الى سيدة غنيت بجمالها عن مظاهر الغنى فلم تلبس الا ثوباً من الشاش الرقيق ولم تتحل الا بزهرة وضعتها في صدرها واخرى شكاتها في شعرها . والناس يعجبون بجمال هذه وبساطة لبسها وسلامة ذوقها كما يعجبون بآبهة تلك وما عليها من دلائل الغنى والمجد

بعد هنيهة من الزمن التفتت بهية الى اخيها وقالت له انظر يا امين جارتنا استير وما اجمل هذا العقد في عنقها فهو لؤلؤة حر على غلاء اللؤلؤ في هذا الوقت فقال نعم وماذا يهمها فقد ربح ابوها بصعود القطن لا اقل من مئة الف جنيه ويقال انه ساع في مشتري مئة الف فدان من الحكومة لشركة انكليزية وسيكون ربحه منها مئة الف جنيه اخرى . مئتا الف جنيه في سنة واحدة عدا ربحه العادي من السمسة

فتمتحت بهية عينها ورفعت حاجبها وقالت مئتا الف جنيه في سنة واحدة هذه ثروة طائلة

فقال ألا تتذكرين ما قرأناه في التوراة من ان اليهود سيعودون الى بلادهم بثروة الامم وهم الآن من اغنى الناس في كل بلاد استتب فيها الامن وروعت الحقوق فتبسمت وقالت له هذه فرصة لا تفوت فليس لاستير الا اخ واحد والحواجه لافي يجها ويقال انه يستشيرها في كل اموره على حدائة سنه ولا بد من ان يورثها نصف امواله

فقال ولكن ابناء اعمامها كثيرون فلا يدعونها تذهب الى اجنبي ثم اني لا اكرم هذه الفتاة واسر بجديتها لغناها وغنى ابيها بل لجمالها وذكائها ودعتها وعندي انها مثلك

## الفصل الثالث

## البالو الخديوي

القمر بدر والسماء صحو وجو القاهرة خالٍ من الرطوبة فتبين الكواكب فيه ولا يحجب القمر منها إلا ما قرب منه . والشوارع مزدحمة بالمركبات تسير فيها الهوينا وتلتقي صفوفها في ساحة عابدين ورجال المشاعل وقوف حول الساحة في صفيين مستديرين متوازيين فيدفع حر مشاعلهم الهواء ويظهر لهبها احمر ضئيلاً امام انوار الكهر باء وفرسان الشرطة على صهوات خيولهم يأذنون للمركبات في المسير من هذا الصف ومن ذلك دواليك . والسير بطيء حسب نزول الركاب من المركبات امام باب السراي فمل بعضهم الانتظار ونزلوا من مركباتهم وساروا على الاقدام حتى لا يتأخروا عن الاستقبال حين يقدم الحضور الى سمو الخديوي

قالت بهيئة على م لا ننزل نحن ايضاً ونمشي مثل هؤلاء فقد عيل صبري وهملت الانتظار فقال اخوها انزلي فانزل معك وقالت امها انزلا اما انا وابوكما فنبقي في المركبة . ثم تذكروا ان ورقة الدعوة واحدة باسماء الاربعة وقد تطلب منهم عند الدخول فلا يحسن ان يفترقوا فظلوا في المركبة الى ان وصلت بهم الى باب السراي وبادر الغلمان وهم بالثياب الحمراء المقصبة وفتحوا بابها واقبل رجال التشریفات فتأبط اثنان منهم ذراعي بهيئة وامها وسارا بهما الى حيث وضعا ردايهما وسار ابوها واخوها وراءها ثم صعدوا سلماً كبيراً من الرخام الناصع البياض مد عليه بساط احمر مخملي وقام على طرفيه درابزون من النحاس الاصفر كانه الذهب الابريز الى ان بلغوا دار السراي العليا واختلطوا بالجمع . وكانت الساعة الحادية عشرة وقد وصل اكثر المدعوين فغصت بهم دور السراي وغرفها على رحبها وهم من طوائف شتى واجناس مختلفة فيهم امراء العائلة الخديوية ونظار الحكومة المصرية وكبار الموظفين والمتقاعدين واعيان الوطنيين والتزلاء ووكلاء الدول وضباط جيش الاحتلال وجمهور من السياح من انكليز وفرنسيين وروسيين والمان واسبانيول وطليان واميركيين وفرنس وهنود ومغاربة بازياء مختلفة

ولكن البون شاسع بين ما تقوله نحن ونعترف به وما يُنسب إلينا فلا يحسن ان نسير  
الآن على تمام الحذر

الرئيس — اخبرني السر ادورد انه واثق بتعقل ابنه وحسن نظره في العواقب  
نائب الرئيس — هذا من جهة الشاب اما اخته فهل تعلم عنها شيئاً  
الرئيس — هي سرُّ ابيها ومثاله كأنها نسخة ثانية منه في الاخلاق والاطوار مع  
زيادة في الحذر والتوقي ولين في العواطف كما تقتضيه حال المرأة  
احد الاعضاء — اذاً لا نرى مانعاً من الاقتراح عليهما

وجرى الاقتراح السري فنالا من الاصوات ما يجيز لها الانتظام في نادي  
الصحافة والاطلاع على اغراض اصحابه وعين للاحتفال بدخولها اليوم السابع من الشهر  
وفي اليوم المعين اجتمع اعضاء النادي من اصحاب الصحف اليومية والمجلات  
الاسبوعية والشهرية وروساء محرريها رجالاً ونساء وهم نخبة قليلة لا يزيد عددهم على  
مئة وستين نفساً . والنادي وراء شارع اكسفرد الجديد مما يلي المتحف البريطاني وهو  
مبني بالمرمر السماقي وقد أنفق على بنائه وفرشه نحو مئة الف جنيه . وفي الساعة المعينة  
أتى بهنري واخته وأدخلا غرفةً كبيرة لم يريا فيها غير ابيهما والضامنين اللذين  
ضمناهما وربطت عصابة على عيني كل منهما وأدخل الى مجلس كبير فيه اعضاء النادي  
وطرحت عليه مسائل شتى سياسية واقتصادية وكان الكاتب يكتب ما يجيب به  
ارتجالاً وتناولت المسائل حقوق الدول وحاصلات البلدان ومتاجرها وشاكل العمال  
واصحاب الاموال وتاريخ البلاد الانكازية بنوع خاص وتاريخ البلدان التي استولت  
عليها . ولما تبين الحضور ان الطالبين يصلحان لان يكتبتا جريدة من جرائد انكلترا  
المشهورة وينفعا بلادهما وامتهما قبلوهما بينهم وكلفوا الضامنين ان يشرحا لها اغراض  
النادي بالتفصيل ثم خرجوا بهما الى غرفة المائدة وكانوا قد اولوا لها ولحمة فاخرة فكلوا  
وشرّبوا وخطبوا الخطب الحسان ترحيباً بهما واطناً في العمل العظيم الذي قام به ابوهما



اني لا اطلب منك الا ما تستطيعانه  
 فاحمرَّ وجهها خجلاً وقالت اصب يا ابي ولكنني شاعرة بما يتردد في صدرك  
 وبقيني ان ايدينا ملامى والزيادة على ما عندنا تزيدنا همًّا وتعباً  
 فقال ولكن نحن الآن في معرض البقاء او الفناء ومناظرونا يتهددون ممالكنا  
 ومتاجرنا والدم السكسوني لا يرضى بالذل . ولما قال ذلك احمرَّ وجه هنري ولحظ ابوه  
 ذلك فقال ولا يرضى به دم حرّ اياً كان فاجلسا الآن فابسط لكما ما اریده منكما  
 فجلسا وكلمهما كلاماً طويلاً عن زراعة القطن في اميركا واستبداد الاميركيين  
 بالاسعار حتى كادت معامل لنكشير تخرب من جرّاء ذلك واهلها يموتون جوعاً وعن  
 رفع العلم الروسي على منشوريا كلها وتحصين مرافئها وتهديد التجارة البريطانية فيها  
 وفي الصين وكوريا واطال الحديث الى الظهر . ثم وضعوا خطة السفر وقام وسار الى  
 نادي الصحافة واجتمع بكثيرين من ارباب الصحف اليومية وذاكرهم نحو ساعة من الزمان

### الفصل الثاني

#### نادي الصحافة

الرئيس — رشح السر ادورد برون صاحب لندن نيوز ابنته وابنته للدخول في  
 نادي الصحافة وعرض اسميهما علينا وقد زكّى طلبه السر هنري غراي صاحب لندن  
 بوست والسر كمبل كار صاحب مجلة المشرق . والفتى والفتاة عازمان على السياحة في  
 مصر والهند والصين واليابان ويقال في الشهادات الواردة عنهما انهما عالمان حرج  
 الحالة الحاضرة ويُنتظر منهما نفع كبير

نائب الرئيس — عرفت هنري برون في المدرسة وهو شاب حسن الاطوار كريم  
 الاخلاق يحب وطنه وامته لكنه شديد التأثير فقد يحمّل على المجاهرة بما لا نودُّ المجاهرة به  
 احد الاعضاء — هل بقي شيء لا نودُّ المجاهرة به وكل ما نسرُّ وكل ما نعلن  
 معروف عند الجميع بل صرنا نتهم باكثر مما نقصد او نضمّر

نائب الرئيس — اصب في ان مقاصدنا كلها معروفة ولولم نجاهر بها في جرائدنا

وقام الاثنان وذهبا الى غرفة امهما وعرضا عليها الامر فقالت اذا اذن ابوكما لكما في ذلك فلا مانع عندي ولو عز علي فراقكما وكنت اود ان نذهب كلنا معاً ولكنني عالمة ان اباكما لا يذهب هذه السنة لانه ينتظر امراً جليلاً من وراء تحالفنا مع اليابان ولقد سمعته بالامس يكلم احد الوزراء في ذلك . فلا بد له من البقاء ههنا حيث دفعة السياسة . ولا ادري اي متى يمكنني ان اخلصه من هذا الشغل المنهك للقوى وقد كنت اظن ان تحويل الجريدة الى شركة مساهمة يخلصنا من متاعبها فزدنا تعباً ولا سيما بعد ان انتهت حرب البوير وعقد الصلح فقد انحط المبيع من الجريدة من مليون وثلاث الى نصف مليون وابوكما لا يسكن له روع ولا يهدأ له بال لانه يخشى ان يعود المساهمون عليه باللامّة ولو كانت تسعة اعشار الاسهم في يده وقد انشأ جرائد اخرى فزادت اشغاله ومتاعبه فاذهبا اليه وانا اساعدكما وعمى ان لا يكون نصيبكما مثل نصيبه المكذ والتعب لغيركما

فقام الاثنان وانطلقا الى مكتب ابيهما وطلبا منه ان يأذن لهما في السياحة سنة كاملة فقال لهما وما هي خطة سياحتكما فقال هنري نذهب من هنا الى مصر ونقيم فيها شهراً من الزمان ثم نمضي الى الهند فالصين فاليابان ونعود بطريق امريكا ونشاهد معرض سنت لويس

فاطرق هنيهة يفكر في الامر ثم رفع رأسه والتفت اليهما وقل أهذه السياحة للنزهة فقط ام ممزوجة بعمل مفيد تخدمان به اباكما وبلادكما . فقالا أمر بما تريد . قل اذا لا مانع من سفركما . اما العمل فهام جداً ولا ابالغ اذا قلت لكما ان حياة الامبراطورية البريطانية بنوع عام وحيات بيت ابيكما بنوع خاص متوقفة عليه فهل انتم مستعدان لمساعدتي فيه

فقال هنري نعم يا ابي اما دورا فوفقت صامته . فقال لهما ابوها وانت ماذا تقولين . فقالت ربما لا استطيع ان افعل شيئاً مما تطلبه منا فكيف أعد قبلما اعرف المطلوب . فقال اصبت من وجه واخطأت من آخر اصبت لانه لا يحسن باحد ان يعد بشيء الا وهو قادر على الوفاء به واخطأت لانه كان يجب عليك ان تثقي بايك وتعلمي

ودخلت زوجته غرفتها . ومرّ نحو ساعة وهزري ودورا لا يفوهان بكلمة الا ان هزري لم يكن يقرأ بل كان شاخصاً الى صورة خيالية معلقة امامه واخيراً قال لاخته اتعلمين يا دورا اني حملت في الليلة الفائتة حاملاً لا يزال شاغلاً بالي . حملت ان فتاة تشبه هذه الصورة في قوامها وملاحظتها ايقظتني من نومي وقالت لي هلم ورائي اني قرينتك المخلوقة لك هلم فقتش عني في ديار المشرق . وللحال استيقظت والتفت الى ما حولي حاسباً ان ما رأيته حقيقة لا حلم فلم ار احداً . ثم نمت فتكرّر الحلم ثانية ورأيت تلك الفتاة عينها وقالت لي ما قالته اولاً هلم ورائي الى ديار المشرق هلم فقتش عني فيها . فاستيقظت مضطرب البال وكان الوقت صباحاً . ولا شبهة عندي في صحة ما يقال عن الالفة والقرينة فان لكل انسان الفاً او قريناً يوافقه ويوافقهما ولا يهنا لهما عيش ما لم يجتمعا ويقترنا وهذا سر ما نراه من الالفة والوثام بين بعض الأزواج والنفور والنشوز بين غيرهم

فتبسمت دورا وقالت يظهر لي ان طيف هذه الغانية فتتك ولا اكره لك السياحة في بلاد المشرق اذا اخذتني معك ولكن التفتيش عن الزوجة فيها ضرب من المحال الا ان تكون فتاة من بنات جلدتنا القاطنات هناك فقال ولكن الفتاة التي رأيت طيفها سمراء الوجه سوداء الشعر كهذه الصورة ليس فيها شيء من ملامح الانكليزيات فلا يُعقل ان ادعى للاقتران بفتاة شرقية ثم اقترن بفتاة غربية

فقات اليك عن هذا الخيال الآن فاننا اهل جد لا اهل هزل وقد كدنا نرتاب في الحقائق فهل نصدّق الاحلام

فقال لست من اهل الخيال كما تزعمين ولكن ما تعليل ما نراه من الوفا مرة والخلاف اخرى ولماذا لا يكون بين الناس الفة مختلفة الدرجات كما بين العناصر الكيماوية ولماذا لا نقول ان الحب والالفة الكيماوية من قبيل واحد فقالت ان اختلفنا في هذا الموضوع فنحن متفقان في فائدة السفر وفي اني اسير معك الى بلاد المشرق فهلم نستأذن والدينا فقد وعدانا بسياحة مثل هذه منذ ثلاث سنوات

# فتاة مصر

## الفصل الاول

### السفر الى المشرق

في حيٍّ من احياء لندن الجديدة حيث يقلُّ الازدحام وتتسع الرحاب المتروكة من غير بناء بمساعي اربل ميث لتجديد الهواء وتطهير الدماء وانعاش الابدان بيت كبير بل قصر فخيم مبني على نسق القلاع القديمة تحيط به حديقة غناء واسعة الارجاء ملتفة الاشجار هبت رياح الخريف على اشجارها ورياحينها فتوردت واغنتها عن الازهار حتى خُذع النحل بها وصار يقع عليها ايتعلل بشيء من الاري يجده فيها في غرفة كبيرة من غرف هذا البيت شاب طويل القامة نحيف الجسم اقنى الانف اسيل الخلد اسود الشعر والعينين واختمه وهي اصغر منه سنًا واشدُّ بياضاً شقراء معتدلة القوام تخالف اخاها خلقاً وخلقاً آخذة عن ابيها وهو اسكتلندي كما ان اخاها آخذ عن امه وهي فرنسوية الاصل وهذا هو الغالب في وراثة الاخلاق العقلية والايوصاف البدنية كانت الغرفة مدفأة بالبخار الجاري في انايب متصلة باسفل البيت حيث يولد ويدفع الى غرف البيت كلها ومنازة بالكهر بائية وفيها كلُّ اسباب الراحة والرفاهة فوق ما فيها من فاخر الاثاث والرياش مما يدل على بسطة عيش ونعمة وافرة . ولا غرابة في ذلك فان رب البيت السر ادورد برؤن ابا الفتى والفتاة صاحب جريدة لندن نيوز اثنى من جريدته ثروة وافرة اذ بلغ ما يطبع منها في اليوم الواحد ايام حرب البوير مليوناً وثامثة الف نسخة فحوّلها الى شركة مساهمة رأس مالها ثمان مئة الف جنيه وانشأ جرائد أخرى مختلفة الاشكال كثيرة الزواج ولم يكن له غير هذين الولدين واسم الفتى هنري واسم الفتاة دورا . وكان الوقت صباحاً وقد جلس هنري في كرسي كبير مفكراً وجلست دورا تقرأ جرائد الصباح . وكان ابوها قد قام عن المائدة وذهب الى مكتبته



[www.alkottob.com](http://www.alkottob.com)

الدقيقة مما هو غاية في بابه . وليس لي شيء أقوله في انتقاد هذا الموضوع إلا تحفظ الكاتب وهو ما يتطلبه العلم وحنكة السن وخير للكاتب ان يعرف القارئ ما يريد ان يقوله من غير ان يقوله

والخلاصة ان هذه الرواية بديعة في بابها واسلوبها البلاغي وابعائها . والذي اعتقده انه لم ينسج بعد احسن منها ولا مثلها وقد خلت من كل تضليل تاريخي يمكن ان يقع في الروايات التاريخية ووقع شيء منه في رواية قلب الاسد وما هو على شاكلة من الروايات كما انها خلت ايضاً مما قد لا تخلو منه رواية فكاهية مما يحرك النفس الشهوانية او عاطفة الحب الطبيعي بما يضر الشبان والشابات ويدفعهم الى ما وراء الحد الذي لا يحمده اندفاعهم اليه . وغاية ما أقوله في هذا الصدد اني لا اخشى مغبة من قراءتها على تلميذي او على ابني او ابنتي او . او . جزى الله مؤلفها خيراً ولا أقول ما أقول تقرُّباً من كاتبها فانه أستاذي بكل ما تحتمله هذه اللفظة من المعنى الحقيقي للاستاذ وأنا تلميذه بكل ما يجب ان تتضمنه لفظه تلميذ من المحبة والاعتبار وليس بين الاستاذ والتلميذ اذا كان على هذه الصورة ما يصوغ ان يتوهم فيه انه من قبيل التقرب ومجرد حب الزلفى بوجه من الوجوه والسلام

هذا ما قاله حضرة استاذي الفاضل وهو مطابق لما قاله كل من طالع هذه الرواية من العلماء والادباء حتى ومن عامة القراء فعسى ان تكون اعادة نشري لها خدمة للجمهورم  
اسحق صروف

تنبيه : كل نسخة من هذه الرواية لا تكون محتومة بختم معيد طبها تعد مزورة وحقوق الطبع محفوظة له

بك وابنتيهما وحليمة ودورا ما يفي بها . فان كل ما وصف به هؤلاء السيدات  
 او أسند اليهن من الاقوال والافعال كان غاية في بابه في انه يرفع النفس في  
 النساء الفتيات وربات البيوت ويحبب اليهن الفضيلة والتعقل والطهارة  
 وسلامة النية المقرونة بالفهم وصحة النظر ويرغبهن في كل ذلك . وكل ما قيل  
 عن امين بك وما اصابه واصاب اهله واصحابهم من النغم والحزن هو مما يكره  
 بالبورصة وامثالها من المضاربات التي استغوت كهولنا وشباننا . وهنا اذ كر  
 اني بعثت بهذه الرواية الى ابني في مدرسة الشوير فقرأها ولما رأته في مساحمة  
 عيد الفصح رأيت انه اثار فيه جدًّا ما قيل عن امين بما كرهه اليه البورصة  
 وبدالي منه ما يشف عن شدة احتقاره لها ولمن يتطوح جهلاً في اشغالها  
 مع انه لا يتم الثانية عشرة من عمره قبل يونيو القادم . ولا اقول انه فهم  
 كل ما فيها من المطاوي الفلسفية ولكني اقول انه قرأها فتفكك بقرائتها  
 واستفاد منها وأقل ما استفاده ( وهو من اعظم الفائدة ) انه تولد فيه مقت  
 ونفور شديد من هذه المغواة الجهنمية التي ذهبت بأموال الكثير من تجارنا  
 وابناء الاغنياء والكبراء منا

وكل ما قيل عن هنري برون هو في بابه خير للشبان والطلبة من  
 عشرين خطاباً موضوعها الترغيب في الجدّ وعلو الهمة والتجافي عن البذخ  
 والاسراف وانصراف النفس الى المعالي وبذلها في الواجب وخدمة البلاد  
 والأمة والحكومة

واما بقية الاغراض العمرانية من قوة المال والمالين واسباب الثروة  
 الروسية فيكفي الفهم اللبيب ما اودعه الكاتب فيها من الحقائق والمباحث

(ج)

فلا مجد في الدنيا لمن قلَّ ماله ولا مال في الدنيا لمن قلَّ مجده  
وهنا اشكر لاستاذي الدكتور صروف واضع هذه الرواية لانه اجاب  
ملتزمي في طبعها على حدة لينتفع بها التلامذة خصوصاً وانها وفّت بالغاية التي  
من اجلها التمت منه طبعها على حدة وهي الآن كتاب مطالعة لاكثر من  
ستين بل سبعين طالباً يترنون بمطالعتها على تطبيق قواعد النحو على ما يقرأونه  
ويتحدّون اساليبها في الكتابة والانشاء وقد وفّت بهذين الغرضين فضلاً عما  
يجده فيها الطلبة من الفوائد العمرانية والاخلاقية المقصودة رأساً من تأليفها

### موضوع فتاة مصر وأبحارها

موضوعها او الغاية منها فكاهي تهذيبي وابحائها اجتماعية عمرانية . اما  
الفكاهة فيها فاحكم ان الكاتب وفاها حقاً من تشوُّق القراء الى الرواية  
وحديثهم فيها والذي اعرفه في هذا الصدد انما اعرفه من نفسي واهل بيتي  
وبعض اصدقائي الذين يقرأون المقتطف وهو لاء كلهم كانوا اذا تأخروا عنهم  
المقتطف يوماً خالوه اسبوعاً ومعظمهم على ما اعلم كانوا يبادرون حين وصوله  
اليهم الى فتاة مصر . وقد لحظتُ ممن اشرت اليهم جميعهم ان غضبهم على  
عزرا كان شديداً وبلغ استيائهم مبلغه عند ما قرأوا الفصل الثامن والعشرين  
والثلاثين الاول في التهيج والثاني في المرافعة واشتموا منها نجاة عزرا  
من الحكم عليه . فلما ظهرت الحقيقة سري عنهم وبدت عليهم امارات  
الرضى والابتهاج

واما الغاية التهذيبية ففي وصف امرأة الخواجه لاثي وامرأة واصف



( ب )

في مطاويها من افكاره العمرانية وانتقاداته البديعة الفلسفية إن في ما يتعلق  
بأسباب الحرب الروسية العمرانية او في ما يتعلق بأحوال مصر الاجتماعية  
والزراعية او في ما يتعلق بالمليين وتأثيرهم في هيئة المدينة الحاضرة

والحق يقال اني كثيراً ما كنت أقدم قراءتها على قراءة بقية مقالات  
المقتطف لا لمجرد الفكاهة واللذة المرادة من كتابة اغلب الروايات بل لما  
كنت ارى فيها من الحقائق العمرانية والسياسية وما ترمي اليه من اصلاح  
الاخلاق والعادات والتعريض ببعض ما اضر بنا من الإقبال على ما كاد  
يشرف بنا على شفا جرف من الافلاس والخراب واشتدّت غوايتنا به حتى  
عمّ او كاد عمُّ غنيّنا وفقيرنا عالماً وجاهلنا تاجرنا وصانعنا وأعني بذلك مضاربات  
البورصة والتقحم فيها على الخراب ونحن لا نشعر

واقول ايضاً اني بعد ان قرأتها اجزاءً وقت صدورها عدت فقرأتها  
مجددةً مرتين فما زادتي قراءتها الا إعجاباً بها ويقيني انها من خير ما ألف  
لتهذيب شباننا وانها اجدرُّ كتابٍ لحدّ الآن يحسُن بنا ان نضعه بين ايدي  
شباننا وطلبة مدارسنا يقرأونه أولاً لما فيها من حسن الاسلوب ودقة التعبير  
مضافاً الى ذلك فصاحة الالفاظ وبلاغة التركيب وسلامة النوق . وثانياً لما  
فيها من المرامي والمقاصد الحكيمّة والفلسفة العمرانية ولا سيما ما ينبغي تنبيه  
اذهان الشبان اليه من قوّة المال والمليين وانه لا تقوى أمة او تصير شيئاً  
مذكوراً ما لم يجتمع عندها بكثرة افرادها واقتصادهم رأس مال يعدونه  
لطوارق الحدّثان يغالون به بقية الامم ويزاحمونهم على موارد التجارة والانتفاع  
وينازعونهم بكثرة السطوة والوجاهة

## كلمة

## في فناء مصر

طارت شهرة هذه الرواية وهي لا تزال في المهد من افصاء هذا القطر الى اقصائه واخترقت البحار الى سائر البلدان حيث خفق للغة العربية علمٌ . وما كادت تتم الحول الاول في الوجود حتى نفذ كل ما طبع منها ووردت الرسائل على حضرة شقيتي الدكتور يعقوب صرّوف من رجال العلم والفضل الراغبين في تنشئة الطلاب على تحدي الانشاء الفصيح الخالي من كل تعقيد طالبين اعادة طبعها . ولما كانت اعماله الكثيرة تحول دون اجابة الطاب استأذنه في اعادة طبعها فأذن لي في ذلك

ومن حسن الاتفاق ان حضرة استاذي العالم الفاضل جبرافندي ضومط أستاذ اللغة العربية في المدرسة الكلية السورية في بيروت بعث بمقالة الى مجلة المقتطف الغراء وصف فيها هذه الرواية ابلغ وصف فلم اجد بداً من نقل بعض ما جاء فيها . وليس نقلي له تقريباً للرواية وانما لكي يلم من يريد قراءتها والانتفاع بقوائدها ببعض موضوعاته

قال الاستاذ :

« قبل ان أبدأ بانتقاد هذه الرواية البديعة في بلبل اقول اني كنت أقرأ فناء مصر كما كنت أقرأ بقية مقالات المقتطف الرائجة وأعيد النظر فيها كما أعيد النظر في تلك فتأخذني نشوة من حسن اسلوبها وما اودعه الكاتب

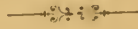
SEP  
25  
1984

www.alkottob.com

رواية

# فتاة مصر

فكاهية تهذيبية اجتماعية عمرانية  
وفيها بحث ضاف عن اسباب الحرب  
بين الروس واليابان



تأليف

الدكتور يعقوب صروف  
صاحب المقطم والمقطف



﴿ حقوق الطبع محفوظة لمعيد طبعها ﴾

اسمى صروف

احد محرري المقطم

مطبعة المعارف والشاع لغيره بمصر



FOR USE IN  
LIBRARY ONLY

PLEASE DO NOT REMOVE  
CARDS OR SLIPS FROM THIS POCKET

---

UNIVERSITY OF TORONTO LIBRARY

---

SEEN BY R.T.  
PRESERVATION  
SERVICES  
DATE AUG. 1, 85

[www.alkottob.com](http://www.alkottob.com)